إسعاف المطالع

بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع

(قسم العقيدة)

تأليف:

الشيخ العلامة المحدث المقرئ الأصولي

محمد محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان الترمسي الشافعي

(ت: ١٣٣٨ هـ)

رحمه الله -تعالى- ونفعنا بعلومه في الدارين

المجلد الثالث

تحقيق وتعليق:

ابن حرجو الجاوي

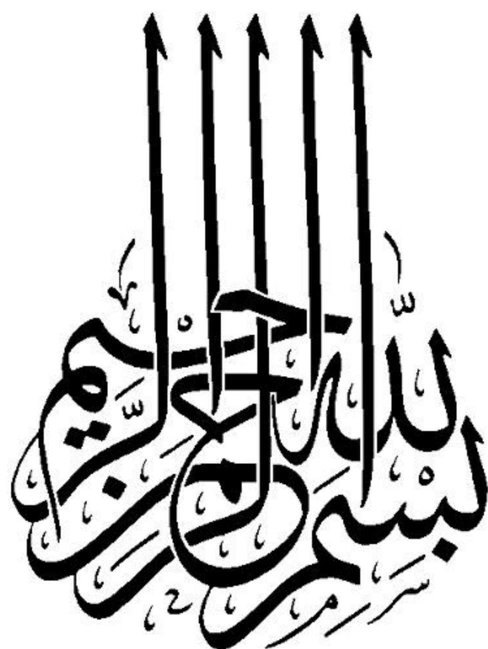
غفر الله -تعالى- ذنوبه وستر في الدارين عيوبه

طبع للمرة الأولى

اسم الكتاب : «إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع»
المؤلف : الشيخ محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي الجاوي الشافعي (ت : ١٣٣٨ هـ)
المحقق : ابن حرجو الجاوي
المصمم : ابن حرجو الجاوي

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

على نفقة :
مكتبة ابن حرجو الجاوي


بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المحقق]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع هداه، أما بعد :

فهذا تحقيق باب العقيدة لكتاب «إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم الجمع الجوامع» تأليف الشيخ العلامة المقرئ المحدث الأصولي محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي الجاوي الشافعي -رحمه الله تعالى-.

أقدمه للقراء الكرام معتمدا على نسخة خطية سبق بيان تفصيلها في مقدمة تحقيقي لباب الاجتهاد، وعدد أوراق نسخة هذا الباب ٤٦ ورقة.

وكان منهجي في تحقيق هذا الكتاب مثل ما ذكرته في مقدمة تحقيقي لباب الاجتهاد له. والأعلام التي سبق ذكر ترجمتها في باب الاجتهاد وتكرر ذكرها في هذا الباب لم أتطرق إلى بيان ترجمتها، وكذا المراجع التي سبق ذكر تفاصيلها في الأبواب التي سبق أن حققتها وتكرر ذكرها هنا لم أتطرق إلى تفصيلها في فهرس المراجع.

هذا، وأسأل الله -تعالى- أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وينفعني به وكل من يتلقاه بقلب سليم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

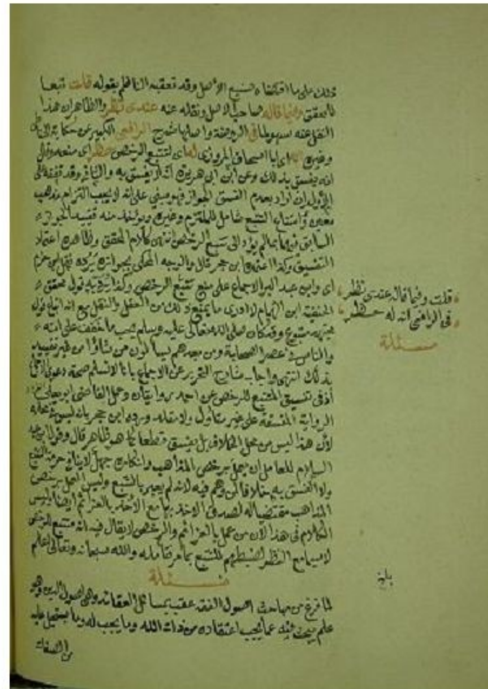
حرره في سوكابومي

كثير الذنوب والمساوي

ابن حرجو الجاوي

نهار يوم الأحد : ٢٧/ ٣/ ٢٠١٦ م

[نماذج صور المخطوطات التي تم الاعتماد عليها]



صورة الصفحة الأولى من مخطوط كتاب :

«إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع» قسم العقيدة.

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوط كتاب :

«إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع» قسم العقيدة.

نص محقق لكتاب :

إسعاف المطالع

بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع

(قسم العقيدة)

تأليف :

الشيخ العلامة المحدث المقرئ الأصولي

محمد محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان الترمسي الشافعي

(ت : ١٣٣٨ هـ)

رحمه الله -تعالى- ونفعنا بعلومه في الدارين

تحقيق وتعليق :

ابن حرجو الجاوي

غفر الله -تعالى- ذنوبه وستر في الدارين عيوبه

(مسألة)

هل في أصول الدين تقليد [وقع][1] *** خلف وقيل: نظر فيه امتنع

والأشعـــري عنه لا يصح *** إيمـــان من قـــلّد والأصح

قول القشيري أن هــذا مفترى *** عليه والتحقيق إن كان جــرى

أخـــــذ بغير حجة مع ضعف **** بشك أو وَهم فليس يكفي

أو كان ذاك باعتقاد جـــــازم *** فإنه كاف سوى أبي هاشم

فليجزم العقد بأن العالَما *** له الحدوث جـــــاء وصفا قائما

ذو صانع ليس لـــــه معاند *** وذلك الله الإله الواحد

والواحد الشيء الذي لا ينقسم *** ولا بوجه مــــا بشبه يتسم

والله جل ذو دوام وقدَم *** ما لــــــوجوده انتهاءٌ وعدم

حقيقة الخالق للحقائق *** تخـــــالف المحققوا الطرائق

لم تُعلَم الآن وفي المعـــاد هل *** يمكن أن نعلمها خلف حصل

ليس بجـــــوهر ولا جسم ولا *** بعرض ما زال وحده علا

ولا [مكانا][2] أي ولا [زمانا][3] *** كـــــلا ولا قطرا ولا أوانا

أحدث ذا العـــالم لا لينفعه *** من حاجة ولو يشا ما اخترعه

ولم يكن يُحدث بابتداعه *** في ذاته من حـــــادث فذا عه

فعـــال ما يريد من رشد وغي *** ليس كمثله من الأشياء شي

[1] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٠): (يقع)
[2] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١): (زمانا)
[3] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١): (مكانا)

القدر الذي قضاه في الأزل *** خيرا [أو][4] شرا منه بالخلق نزل

قدرته لكـــــــل مقدور تصل *** وعلمه لكل معلوم شمل

فيعلم الدقـــــــــائق الجزئية *** كعلمه الحقائق الكلية

وكل ما علم أنه يقع *** أراده مـــــــــا لا وقوعه امتنع

بقاؤه جـــــــــلّ بلا بدايه *** و [مستمر][5] لا إلى [نهاية][6]

فلم يزل بأسمائه [العظيمة][7] *** وبصفات ذاتـــه [القديمة][8]

ما دل فعـــــــــــله عليها كل تي *** إرادة علم حياة قدرة

تنزيه نقص مـــن كلام وبصر *** سمع [بقاء][9] قلت في البقا نظر

وما كتابنا [أو][10] السنة قد *** أثبته من الصفـــــــــات يُعتقد

منه الذي معناه باد وجلى *** تنزيهه عند سمـــــــــاع المشكل

وهل نفوض منزهـــــين أو *** [نجنح][11] للتأويل رأيين رأوا

قلت : وبالتفويض إذن السلف *** والأخذ بالتأويل رأي الخلف

مع اتفاقهم بأن لن يقدحا *** أن يجهل التفصيل من قـــد انتحى

إن تقصد التعريف للقرآن *** فهو كـــــــــلام ربنا النفساني

ليس بمخلوق وذا ينطلق *** حقيقةً بلا مجـــــــــاز يُرمق

يُقرأ بالألسن في الصدور *** يحفظ يكتتب في السطـــــــــور

[4] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (و)
[5] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (مستمرا)
[6] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (النهاية)
[7] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (الكريمه)
[8] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (العظيمه)
[9] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (تعالى)
[10] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (و)
[11] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠١) : (يجنح)

[يُجرى][12] على طاعته الثوابا *** كذا على عصيانه العقـــــابا
إلا إذا غفر غير الشرك *** له تعـــــــالى الصريح المسلك
إثابة العاصي وأن يوجّعا *** بالنكـــــــر من عذابه المطيعا
ويؤلم الدواب والأطفالا *** ووصفه بالظالم استحـــــالا
يراه مؤمنون في القيـــــــامة *** وهل يرى الآن وفي المنامة
قلت أرى الإمكان فيهما أسد *** أمـــا الوقوع يقظة فالجل رَد
نعم لطـــــه وقعت على الجلى *** ووقعت في النوم لابن حنبل
قضى [سعادة سعيد][13] أزلا *** وعكسه الشقـــــي فلن يبدلا
ومن جرى في علمه أن يلقى *** بالمـــــوت مؤمنا فليس يشقى
لم يزل الصديق منه بالرضا *** أعـــــــده لكل أمر مرتضى
رضا محبة سوا إراده *** مشيئة قلت كـــــــــــذا أراده
ومـــــــذهب الجمهور وهو الأسنى *** أن جميع هذه بمعنى
رازقنا والرزق ما ينتفع *** به ولو كان حـــــــــراما يقع
بيده الهدى مع الإضلال *** أي خلق الهدى كـــــما الضلال
والاهتدا الإيمان والتوفيقُ أن *** يخلق للطـــــاعة قدرة البدن
وخلق طاعـــــــــة فتى الجويني *** وضده الخذلان بالرأيين
واللطف ما للعبد عنده يقع *** صلاحـــــه أُخرى بفعل ما يقع
والختم والطبع والأكنةَ اعــــدد *** خلق الضلالة بقلب المُبعَد
والجعل ماهيـــــــــــات ممكن ضبط *** ثالثها مركباتها فقط
أرسل جلَّ رُسله للخلق *** بالمعجزات البــــــاهرات الصدق

[12] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٢) : (يجزى)
[13] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٢) : (سعيدا لسعيد)

وخصَّ طه أنه له خَتَم *** وأن بعثه جميع الخـــــــــــلق عمْ
قلت : انتفا البعث إلى الملائك *** أقوى بل الإجماع في هذا حُكي
فضله على الأنـــــــــــام المالِكُ *** فالأنبياءُ بعد فالملائك
قلت : الخواص إذ عوام البشر *** أفضل من عوامهم في الأشهر
معجزة خارق عـــــــــادة قرن *** به التحدي ومعارض أمِن
تحدن الدعـــــــوى والإيمان يرى *** تصديق قلبه ولن يعتبرا
بلا الشاهادتين [إن هو قدر][14] *** ذا شرط أو شطر تردُدٌ صدر
أعمالنا [الجوارحي][15] الإسلام *** وحيث لا إيمـــان لا تنقام
وقال في الإحســـــــان سيدُ البشر *** أن تعبد الله كأنك الخبر
والفسق لا يزيل إيمــــــانا ومن *** هلك ذا فسق بإيمان قرن
تحت المشيئة فإمـــــــــــــا نقمه *** ثم النعيم أو سماح رحمه
إمـا بمحض الفضل أو معه حبي *** شفاعة النبيّ أو غير النبي
أوّل شـــــــافع و [أولاه][16] أحمد *** والموت قبل أجل لا يوجد
قلت : رأى الكعبي أن من قتل *** ذو اختلاس وهو رأيٌ ما قبل
والنفس بعد الجسم تبقى ثم هل *** تفنى لدى البعث تردّدٌ حصل
وما له الشيخ الإمام قد ذهب *** لا أبدًا قولان في عجب الذنب
والمزَنيُّ عنه تصحيح البِلَى *** من ذين والحديث قـــــد تأولا
قلت : لـــــه نجل قتيبة قَفَا *** والأخذ بالحديث أحرَى بالوفا
حقيقة الـــــروح النبيُّ أمسكا *** عن كشفها فلائق أن نتركا

[14] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٣) : (نطقا إن قدر)
[15] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٣) : (الجوارح)
[16] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٣) : (أولى)

كرامة الوليّ حق حـــاصله *** قال القشيريّ وليست واصله

لنحو فرع دون الولد و أن *** يُحي ميتا قلت قـــد حكى عنْ

رأي [لأستاذ][17] وهذا فاسد *** إذ هو إنكــــــار لما يشاهد

ومـــــا نكفر امرأً ببدعته *** من أهل قبلة الهدى أي شِرْعته

ولا نُجوّز الخروج أصلاً على *** سلطاننــا وذو اعتزال فصّلا

وعندنا أنّ عذاب القبر حق *** مع سؤال ملكيه [فهو][18] حق

والحشر والصراط والميزانا *** نــــار الجنان مخلوقتان الآنا

ومـــــا عليهما فلم يطرأ فنا *** ولا على من فيهما قد أسكنا

وواجب على الأنام قـــولا *** نصب إمام أي ولو مفضولا

وما على الرب العلي شيء وجب *** ومحض فضل ما عليه قد كتب

نعتقد المعـــــــاد بالأجسام *** حتى يقينا بعد ذا الإعدام

وأن خير أمة المختـــــــــار *** من بعده رفيقه في الغار

حقيقة الصديق والخـــــلافه *** بالحق وهو ابن أبي قحافه

فعمر الفاروق ثمةَ الولي *** عثمان ثـــــم المرتضى المولى علي

وبرّأ الله العليم عائشه *** فيكفر الـــــــرامي لها بفاحشه

نمسك عن تشـــــاجر الصحابه *** كلا نراه محرزا ثوابه

والشافعي [ومالك][19] نعمان مع *** إسحاق الأوزاعي وداود الورع

سفيان ثور والإمـــــام أحمدا *** باقي الأئمة على نهج الهُدى

[17] كذا في نسخة «البدر اللامع» (١٠٤)، وفي الأصل : (الأستاذ)
[18] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٤) : (اللذ)
[19] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٥) : (مالكا)

والأشعريَّ المكتنى [أبو][20] الحسن *** نراه في الدين على [أولى][21] سنن

وكيف لا وهو إمام السنة *** وحـــــافظ الدين بأوفى جنة

طريقة الجنيد فــــي التصوف *** وصحبه قويمة التصرُّف

[من][22] الذي عرفــــانه لنفع *** ولا يضرّ جهله في الشرع

أنّ الأصح [المستبــــان][23] زَينه *** أنّ وجود كل شيء عينه

وقـــال غيره كثير منا *** قلت : لدى التحقيق هذا الأسنى

والفيلسوف عينه في الواجب *** قد فعلى أول ذي المــذاهب

الممكــــن المعدوم لا شيء ولا *** ذات وليس ثابتا كذا على

ثـــــــان لدى أكثرهم ذا أما *** وأنه الاسم هو المسمى

وأن أسمــاء الإله الحسنى *** قصر على التوقيف أعني الإذنا

ومؤمن إن شـــاء ربي يحكي *** لخوف سوء الختم لا للشك

وأنه تلذذ الكفـــــــــار * لمحض الاستدراج لا [أبرار][24]

وأنّ ما له يشـــــار بأنا *** الهيكل المخصوص أعني البَدَنا

قلت : المناسب وأن النفسا *** الهيكل المخصوص أي ما حسّا

ثمة ذا واه وأيضا ناقضا *** [إمســـاكه][25] عن نفسنا فيما مضى

والجوهــــر الفرد أي الجزء الذي *** لا يتجزا ثابت فيما احتذى

وأنه لا حال بين ذي العدم *** وذي الوجود خلف ما القاضي حكم

---

[20] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٥) : (أبا)
[21] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٥) : (أوفى)
[22] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٥) : (مما)
[23] في الأصل (المستباق)، والمثبت هنا من نسخة «البدر اللامع» (١٠٥)
[24] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٥) : (الأبرار)
[25] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٥) : (لامساكه)

وابن الجويني قلت : لكن [نخبا][26] *** رجوعه عنه وأن [النِسَبَا][27]

مع الإضافات أمور تعتبر *** في الذهن لا [ذات وجود][28] استقر

مـــــــا عرض بعرض يقوم *** ولا زمانين معا يدوم

ولا محلين يحل في الأصح *** قلت الجواز الفخر في الأولى [جنح][29]

وأنه المثـــلان كالضدين لا *** يجتمعان في [المحل][30] مستجلا

دون الخـــــلافين [و][31] أما ما جرى *** بينهما تناقض فلا يُرى

أنهما عـــــلى الوجود اجتمعا *** ولا معا عن الوجود ارتفعا

وأنه أحـــــــــد شقي ممكن *** ليس به أولى بقاء الممكن

يحتـــــاج للسبب وينبني على *** أن [عليّة][32] احتياج ما انجلى

من أثر إلى المؤثر بها *** إمكـــــــــانه أو الحدوث أو هما

[تركبا][33] أو أول فعّال *** والثان شرطـــــــــــه وذا أقوال

قلت : اقتضى هذا علو الأوّل *** لكن لدى الجمهور ثانيها العلي

قيل : المكان سطح حاوٍ بطنا *** مس من المحوي سطحًا عَلَنا

وقيل : بعـــد ذو وجود معلمي *** ينفذ فيه بعد ذات الجسم

وقيل : مفروض وذا البعد الخلا *** ثم الخلاءُ جائزٌ وقيل : لا

ذا كــــــون جسمين تباعدا وما *** بينهما شيء مما يمسسهما

---

[26] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) : (انتخبا)

[27] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) : (السببا)

[28] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) : (ذاتا وجودا)

[29] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) : (لمح)

[30] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) : (الوجود)

[31] مابين المعقوفتين غير موجود في الأصل، وزدته هنا لأنه ثابت في نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) وبه يتم وزن البيت.

[32] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) : (علة)

[33] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٦) : (تركب)

وجـــــوهر قد قيل في الزمان *** جرد لا جسم ولا جسماني

قلت : ارتضى الإمام ذا ولفلك *** معدل النهار بعضهم سلَك

وقيل : بل حــــركة لفلكه *** وقيل : بل مقدار تلك الحركه

واختير قــــــــــرن متجدد وهم *** بمتجدد تجدد اعلم

إزالة لــــــــــــذلك [الإبهام][٣٤] *** ممتنع تداخل الأجسام

وإن عن الأعراض يخلو جـــوهر *** تركيبه منها كذاك يحظَر

ويتناهى بعد كــــــــل جوهر *** وقارن المعلول عند الأكثر

علته في وقتها والمجتبى *** بالـــــــوفق للشيخ الإمام عَقبا

ذي مطلقا ثــــــــالثها الرتبيه *** وضعية لا ما ترى عقلية

أمـــــــــــا التقدم عليه مرتبه *** فلا خلاف مانع ترَتبه

وحصر اللذة في المعـــارف *** الفخر والشيخ الإمام [يقتفي][٣٥]

وهي لدى ابن زكريا عدمي *** وهو الخلاص عن شباك [الألم][٣٦]

وقيل : ذي إدراك مـــا يلائم *** والحق الإدراك لهذي لازم

قلت : الصواب أن هذه تعد *** كـــالريّ وجدانية فلا تحد

قابلها الألم ثم مـــــــا جُمع *** في العقل إمّا واجب أو ممتنع

أو ممكــــن لأن ذاته [قضت][٣٧] *** في أنها إما وجوده اقتضت

في خارج أو اقتضت أن يَعدِما *** أو ما اقتضت شيئا هناك منهما.

---

[٣٤] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٧) : (الإيهام)

[٣٥] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٧) : (ذا قفى)

[٣٦] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٧) : (ألم)

[٣٧] كذا في الأصل، وفي نسخة «البدر اللامع» (١٠٧) : (مضت)

[نص شرح المصنف]

[قال المصنف -رحمه الله تعالى ونفعنا به في الدارين-] :

[ذكر مسائل أصول الدين]

(**مسألة**)

لما فرغ من مباحث أصول الفقه عقب بمسائل العقائد وهي أصول الدين : وهو علم يبحث فيه عما يجب اعتقاده من ذات الله، وما يجب له، وما يستحيل عليه، من الصفات، وبعثة الرسل، وأحوال المعاد، على قانون الإسلام. وبعضهم يسميه علم الكلام؛ إذ أول مسألة وقعت فيه مسألة الكلام.

[تقسيم علم أصول الدين]

وقد قسمه الناظم[38] كـ «أصله»[39] إلى قسمين :

١) علمي عملي : وهو ما يجب اعتقاده.

٢) وعلمي لا عملي : وهو ما لا تجب معرفته في العقائد، وإنما هو من رياضات العلم.

وقد ميز بينهما، وضم إلى الثاني جملة من علم الحكمة، والطبيعي. والتحقيق كما قاله السيوطي[40] أن القسم الثاني لا يسمى أصول الدين، وإنما هو من علم الكلام، والأول إن اقترن به نصب الأدلة العقلية مع حكاية أقوال أهل البدع والفلسفة فهو علم الكلام أيضا، وإلا فأصول الدين. هذا فرق ما بينهما.[41]

[38] هو الإمام الأشموني، وقد سبقت ترجمته.

[39] المراد به كتاب «جمع الجوامع» لتاج الدين السبكي، وقد سبقت ترجمته.

[40] سبقت ترجمته في باب الاجتهاد.

[41] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٣١)، «الغيث الهامع» (٧٢٤)، «تشنيف المسامع» (٤/ ٦١)

وقد افتتح الأول بذكر الخلاف في جواز التقليد في أصول الدين لمناسبة ارتباطه بما قبله، فهو من حسن التخلص[42]، حيث قال :

[اختلاف العلماء في التقليد في أصول الدين]

(هل) يجوز (في أصول الدين) أي مسائل الاعتقاد (تقليد)؟ المراد به مقابل النظر في الدليل، وهو المراد هنا بالاجتهاد، ولو كان الناظر عاميا بالمعنى المتقدم، أعني مقابل المجتهد، وهو ذو الدرجة الوسطى إلخ، كما صرح بذلك جمع منهم صاحب[43] «الأصل» أم لا؟، (وقع) فيه (خلف) بين الأئمة.

[مذهب الجمهور تحريم التقليد في أصول الدين]

فقال الجمهور والمحققون، كالقاضي[44]، والإمامين[45]، والأستاذ أبي إسحاق[46]، والآمدي[47] وغيرهم[48] : إنه لا يجوز، بل يجب النظر.

[الأدلة على عدم جواز التقليد في أصول الدين]

لأن المطلوب فيه اليقين، قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقد علم ذلك. وقال تعالى للناس : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨]،

---

[42] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٣١)، «الغيث الهامع» (٧٢٤)، «تشنيف المسامع» (٤/ ٦١)

[43] هو الإمام تاج الدين السبكي، وقد سبقت ترجمته.

[44] هو القاضي الباقلاني المالكي، وقد سبقت ترجمته.

[45] لعل المراد بهما، الإمام الرازي وإمام الحرمين، وقد سبقت ترجمتهما. انظر : «البدر الطالع» (٤١٠) «المحصول» (٦/ ٩١)

[46] هو الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، وقد سبقت ترجمته.

[47] هو الإمام سيف الدين الآمدي، وقد سبقت ترجمته. فقد قال في «الإحكام في أصول الأحكام» (٤/ ٢٢٣) : اختلفوا في جواز التقليد في المسائل الأصولية المتعلقة بالاعتقاد في وجود الله تعالى، وما يجوز عليه، وما لا يجوز عليه، وما يجب له، وما يستحيل عليه. فذهب عبيد الله بن الحسن العنبري ، والحشوية ، إلى جوازه، وربما قال بعضهم: إنه الواجب على المكلف، وإن النظر في ذلك والاجتهاد فيه حرام. وذهب الباقون إلى المنع منه، وهو المختار.

[48] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٢)، «البدر الطالع» (٢/ ٤١٠)

ويقاس غير الوحدانية عليها.[49]

ولذمه -تعالى- للتقليد في ذلك[50]؛ إذ قال حكاية عن الكفار : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٣]. وقال : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [النجم: ٢٣].

وحث على التقليد في الفروع بقوله : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

[مذهب العنبري جواز التقليد في أصول الدين]

وقيل -وعليه العنبري[51] وغيره[52]- : يجوز؛ إذ كان -صلى الله تعالى عليه وسلم- يكتفي من الأعراب بالتلفظ بكلمتي الشهادة المبني على العقد الجازم، وليسوا أهلا للنظر؛[53] إذ المعتبر النظر على طريق العامة، وهم يقولون إذا رأوا ما يعجبهم : «سبحان الخالق»، فهم يستدلون بالصنعة على الصانع[54].

---

[49] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٠)

[50] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٢)، «الغيث الهامع» (٧٢٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦١)

[51] سبقت ترجمته.

[52] نسبه الرازي في المحصول (٦/ ٩١) إلى كثير من الفقهاء.

[53] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٣)، «الغيث الهامع» (٧٢٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦١) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٠)

[54] انظر : «حاشية العطار على جمع الجوامع» (٢/ ٤٤٤)

[المذهب الثالث تحريم النظر في أصول الدين]

(**وقيل : نظر فيه**)، أي فيما ذكر من أصول الدين (**امتنع**)[٥٥]؛ لأنه مظنة الشبه، والوقوع في الضلال، لاختلاف الأذهان والأنظار، بخلاف التقليد.[٥٦]

وفيه أن هذا يوجب امتناع النظر على المقلد -بفتح اللام- أيضا؛ لأنه مظنتهما، فتقليده فيما يحتملهما أجدر بأن يمتنع، لأن فيه ما في الأول، مع زيادة كذب الإمام وإضلاله مقلده، فإن نظر الإمام فقد ذكرتم أنه حرام ممتنع لكونه مظنة الشبه إلخ، وإن قلد غيره انتقل الكلام إليه ويتسلسل، لا يقال : ينتهي إلى الوحي مثلا؛ لأنا نقول : اتباع الرسول ليس تقليدا، بل علم نظري، فلا يصح أن التقليد واجب، والنظر حرام مطلقا[٥٧].

[٥٥] قال الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٢٤) : " وظاهر كلام الشافعي يوافق هذا المذهب حيث قال : رأيي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد وينادى عليهم في العشائر : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بعلم الأوائل، لكن هذه العبارة تدل على أنه إنما ذم الناظر فيه من غير كلام الله بل بالنظر في علم الأوائل الذي هو جهل وضلال، وكيف يريد الإنسان الاهتداء بكلام من لم يدله عقله على معرفة الله تعالى فوافى على الكفر به، وإذا غضب النبي صلى الله عليه وسلم من النظر في التوراة التي هي هدى ونور إلا أنها منسوخة كيف لا يغضب ممن يروم معرفة ربه بكلام أعدائه".

وقال الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٢) : "وقد يتوهم أن هذا مذهب الشافعي رضي الله عنه وغيره من السلف لنهيهم عن علم الكلام والاشتغال به، ولا شك أن منعهم منه ليس هو لأنه ممنوع مطلقا، كيف؟ وقد قطع أصحابه بأنه من فروض الكفايات وإنما منعوا مه لمن لا يكون له قدم صدق في مسائل التحقيق فيؤدي إلى الارتياب والشك والكفر".

[٥٦] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٠). وقال الإمام السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٣) : "وعلى هذا ما سبق عن الشافعي وغيره من الأئمة".

[٥٧] انظر : «حاشية الشربيني مع حاشية العطار» (٢/ ٤٤٤)

[التحقيق في حكم الخوض في علم الكلام]

قال المحقق[٨] : أما النظر على طريق المتكلمين، من تحرير الأدلة، وتدقيقها، ودفع الشكوك والشبه [ها هنا][٩] ففرض كفاية في حق المتأهلين له، يكفي قيام بعضهم به.

وأما غيرهم ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه والضلال فليس له الخوض فيه. وهذا محمل نهي الشافعي وغيره من السلف -رضي الله تعالى عنهم- عن الاشتغال بعلم الكلام، [وهو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية][١٠]. وعلى كل من الأقوال الثلاثة تصح عقائد المقلد، وإن كان آثما بترك النظر على الأول[١١].

[الرد على من افترى على الإمام أبي الحسن الأشعري]

(و) أما الشيخ أبو الحسن (**الأشعري**)[١٢] فنقل (**عنه**) أنه قال (**لا يصح إيمان من قلد**)؛ لعدم حصوله عن النظر، وقد شنع عليه أقوام بسبب ذلك، لأنه يلزم منه تكفير العوام، وهم غالب المؤمنين[١٣].

وأجيب عنه بوجوه :

منها : أنه ليس المراد النظر على طريقة المتكلمين، بل على طريقة العامة، وذلك يتأتى حتى من العوام والأعراب، فهم عارفون بالدليل الإجمالي كما مر.[١٤]

---

[٨] هو الإمام جلال الدين المحلي، وقد سبقت ترجمته.
[٩] كذا في الأصل، وفي المطبوع (عنها). انظر «البدر الطالع» (٢/ ٤١١)
[١٠] ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل وهو موجود في المطبوع فأثبته هنا.
[١١] انظر : «البدر الطالع في حل جمع الجوامع» (٢/ ٤١١)
[١٢] سبقت ترجمته في باب الاجتهاد.
[١٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٣)، «الغيث الهامع» (٧٢٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤١١)
[١٤] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٤)

ومنها : أن مراد الشيخ أن من اختلج في قلبه شبهة في حدوث العالم، أو النبوة، أو الحشر، أو نحو ذلك وجب أن يجتهد في إزالته بالدليل العقلي، فإن استمر على ذلك لا يصح إيمانه[١٥].

(و) منها : ما ذكره الناظم بقوله : (الأصح) في دفع التشنيع (قول) الأستاذ أبي القاسم (القشيري)[١٦] في رسالته المسماة «شكاية أهل السنة»[١٧] : (أن هذا) القول (مفترى عليه)، أي مختلق، وملبس على الشيخ[١٨].

وعبارتها : «فإن قالوا فالأشعري يقول إن العوام إذا لم يعلموا علم الكلام فهم أصحاب التقليد، فليسوا بمؤمنين. قيل : هذا أيضا تلبيس، ونقول : إن الأشعري لا يشترط في صحة الإيمان ما قالوا من علم الكلام، بل هو وجميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون : يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده، واستحقاق نعوت الربوبية، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين، من الجوهر، والعرض، وإنما المقصود حصول النظر، والاستدلال المؤدي إلى معرفة الله -تعالى عز وجل-، وإنما استعمل المتكلمون هذه الألفاظ على سبيل التقريب، والتسهيل على المتعلمين»[١٩].

(و) منها : ما قاله صاحب «الأصل» : (التحقيق) في المسألة الدافع للتشنيع أنه (إن كان جرى) التقليد الذي هو (أخذ) لقول الغير (بغير حجة مع) احتمال (ضعف) فيه (بـ) عدم الجزم به كـ (شك أو وهم)، فيكون الحاصل عنده الظن فقط،

---

[١٥] انظر : «الغيث الهامع» (٧٢٥)

[١٦] سبقت ترجمته في باب التصوف.

[١٧] ذكر تاج الدين ابن السبكي هذه الرسالة في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى». انظر مجلد ٣ صفحة ٣٩٩ من هذا الكتاب.

[١٨] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٤)، «الغيث الهامع» (٧٢٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤١١) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٣) «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٣)

[١٩] انظر نص هذه الرسالة في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٤٢٠)

كما في تقليد إمام في الفروع، مع تجويز أن الحق في خلافه، (فـ) هذا (ليس يكفي) في الإيمان قطعا[70].

فإنهم اتفقوا على أن الإيمان متى اعتراه شك أو اختلجه أدنى ريب زال، وكان ذلك الطارئ كفرا، وأن الواجب عقد مصمم لا يزحزحه رياح الشبهات.[71]

وآثر التعبير بـ «غير حجة» هنا، على «من غير معرفة دليله» الأوفق بما تقدم، لدقيقة ذكر صاحب («الأصل» أنها من دقائقه، وهي أن إيمان المقلد الذي حكي عن الشيخ[72] نفي صحته هو إيمان مقلد من يجوز عليه الخطأ، أما مقلد رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- فإن ذلك إما أن لا يسمى مقلدا، فيخرج بقولنا : «المقلد»، أو يسمى فيخرج بقولنا : «من غير حجة»؛ لأنه حجة في نفسه.

ونحن قد قدمنا اختيار أنه يسمى، أو احتمال أنه يسمى، وعند ذلك فيحسن إذا فرض الكلام في تقليد من يجوز عليه الخطأ تعين أن يقول : «من غير حجة»؛ ليخرج مقلد رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-، فإن إيمان ذلك أصح الإيمان، وأقواه، وآكده[73].

وقولهم هناك : «إن بغير حجة» لإخرج اتباع العامي للمجتهد فإنه بحجة، إنما هو لظنهم أن المجتهد حجة على العامي، لكون قوله يورث ظن هذا حكم الله - تعالى- في حقه.

---

[70] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٥)، «الغيث الهامع» (٧٢٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤١١) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٤) «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٣)

[71] انظر : «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٤)

[72] أي الإمام أبي الحسن الأشعري.

[73] انظر : «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٣)

وأما أنا[74] فأقول : ليس من يجوز عليه الخطأ بحجة على أحد، وإن وجب تقليده، فإنما يقلد مع احتمال أنه مخطئ[75]، تأمل.

(**أو كان ذاك**) التقليد أخذا لقول الغير بغير حجة، لكن (**باعتقاد جازم**) لا لموجب، وهذا هو المعتمد، (**فإنه كاف**) في إيمان المقلد عند الأشعري وغيره.[76]

[مذهب أبي هاشم المعتزلي أن الإيمان لا يصح إلا بالنظر]

ولم يخالف فيه (**سوى**) أي غير (**أبي هاشم**)[77] -بحذف همزة أبي للوزن- من المعتزلة، حيث قال : «لا يكفي، بل لا بد لصحة الإيمان من النظر»[78].

وأهل السنة متفقون على خلافه، قال صاحب «الأصل» : ومن الغريب أنه يقول مع ذلك الاعتقاد الجازم المطابق لا يكفي، إلا إذا كان عن دليل، وقد خالف في الأمرين طوائف الإسلام، وأدلة العقل والنقل، فهذا خلاف لا يعبأ به.[79] انتهى.

[وجوب الاعتقاد بأن العالم محدث]

وإذا قد علم أن التقليد الجازم كاف في الإيمان وغيره، (**فليجزم**) أي المكلف (**العقد**)، هو لغة : الربط، نُقل لتصميم القلب على إدراك تصوري أو تصديقي. والمراد بالعقيدة هنا : ما يدين الإنسان به، واعتقد كذا عقد عليه قلبه.

---

[74] القائل هنا الإمام ابن قاسم.

[75] انظر : «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٣)

[76] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٥)، «الغيث الهامع» (٧٢٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤١١) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٤) «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٣)

[77] سبقت ترجمته في باب الاجتهاد.

[78] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٥)، «الغيث الهامع» (٧٢٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤١١) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٤) «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٣)

[79] انظر : «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٦)

(**بأن العالما**) -بفتح اللام- وهو ما سوى الله -تعالى- مشتق من العلامة؛ لأنه علامة على وجود صانعه. ومنهم من يقول: ما سوى الله وصفاته، ولا حاجة لهذه الزيادة؛ فإن الصفات ليست غيره، كما أنها ليست عينه.[٨٠]

(**له الحدوث**) وهو الوجود بعد العدم، (**جاء**) بإجماع أهل الملل، إلا الفلاسفة[٨١]، (**وصفا قائما**) به.[٨٢]

[الأدلة على حدوث العالم]

للبراهين القاطعة على ذلك، منها تغيره، أي عروض التغير له، كما نشاهده، وكل متغير محدث؛ لأنه وجد بعد أن لم يكن.

وهذه طريقة إبراهيم الخليل -صلى الله تعالى على نبينا وعليه وسلم- في استدلاله على حدوث الكواكب، بتغير حالها وأفولها بعد إشراقها، وقد سماها الله -تعالى- حجة، وأثنى عليها بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وطردنا ذلك في جميع العوالم لتساويها في علة الحدوث، وهي الجسمانية.[٨٣]

وفي «الصحيح»[٨٤] جاء نفر من اليمن فقالوا: يا رسول الله، جئناك نتفقه في الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر. فقال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: «كان الله

---

[٨٠] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٥) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٨)

[٨١] ومنهم الفارابي وابن سينا، كما نقله الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٢٧)

[٨٢] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٥)، «الغيث الهامع» (٧٢٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٤) «الآيات البينات» (٤/ ٢٨٣)

[٨٣] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٥)، «الغيث الهامع» (٧٢٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ٦٤)

[٨٤] أي صحيح الإمام البخاري كما أشار إليه الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٢٧)

ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض»[85].

وحيث تقرر أن العالم حادث فهو (**ذو صانع**) له، ضرورة أن المحدث -بفتح الدال- لا بد له من محدث -بكسرها-، كما صرح به بقوله من زيادته: (**ليس له معاند**)، فالعلم بتلك القضية ضروري.[86]

قال الإمام[87]: «مركوز في [طبع الصبيان][88]، فإنك إذا لطمت وجه الصبي من حيث لا يراك، وقلت له: حصلت هذه اللطمة من غير فاعل لا يصدقك البتة، بل في فطرة البهائم، فإن الحمار إذا أحس بصوت خشبة فزع؛ لأنه تقرر في فطرته أن صوت الخشبة بدون الخشبة محال»[89].

[جواز إطلاق الصانع على الله تعالى]

(**وذلك**) الصانع هو (**الله**) -عز وجل-، وإطلاق الصانع عليه -تعالى- شائع عند المتكلمين،[90] واعترض بأنه لم يرد في أسمائه -تعالى-، وأسماؤه -تعالى- توقيفية كما سيأتي[91].

---

[85] الحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٦٩٨٢) (٣٠١٩) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما. والفريابي في «القدر» (٨٢) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٦٣٠) وابن حبان في «صحيحه» (٦١٤٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٠) وغيرهم من الحفاظ.

[86] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٦)، «الغيث الهامع» (٧٢٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٢)

[87] المراد به الإمام فخر الدين الرازي كما صرح به العلامة العطار حيث نقل هذا الكلام في كتابه «حاشية العطار» (٢/ ٤٤٧) من كتاب «المعالم».

[88] في «حاشية العطار»: (فطرة طبع الصبيان)

[89] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٤٧)

[90] انظر: «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٤): «البدر الطالع» (٢/ ٤١٢)

[91] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٩) «حاشية العطار» (٢/ ٤٤٩)

وأجيب : بأنه مأخوذ من قوله -تعالى- : ﴿صُنْعَ اللَّـهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] على طريقة من اكتفى بورود المادة مصدرا أو فعلا، فإن الآية قرئت أيضا في الشواذ : ﴿صنعه الله﴾[٩٢].

وتعجب[٩٣] السيوطي[٩٤] من الأئمة، كيف لم يحفظوا ذلك؟! وهو وارد في الحديث، وهو قوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «إن الله صانع كل صانع وصنعته»[٩٥]. رواه الحاكم[٩٦] بسند صحيح.

لكن رده المحقق ابن حجر[٩٧] بأنه لا دليل في هذا الحديث؛ لأن الشرط أن لا يكون الوارد على جهة المقابلة، نحو : ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة : ٦٤]. والحديث من هذا القبيل[٩٨].

[٩٢] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٤) : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٢) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٩)

[٩٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٩)

[٩٤] سبقت ترجمته.

[٩٥] الحديث رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ٤٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٧) والبزار في «مسنده» (٢٨٣٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٧) وغيرهم من الحفاظ.

[٩٦] رواه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٨٥) (٨٦) وصححه.

[٩٧] سبقت ترجمته في باب الاجتهاد.

[٩٨] انظر : «تحفة المحتاج» (٩/ ٨٥)

قال : نعم صح في حديث الطبراني[99] والحاكم[100] : «اتقوا الله فإن الله فاتح وصانع»[101] وهو دليل واضح لهم هنا؛ إذ لا فرق بين المنكر والمعرف، أي فإن تعريف المنكر وعكسه لا يغير معناه، فليتأمل.

[برهان كون الإله واحدا]

وهو (**الإله الواحد**)؛ إذ لو جاز كونه اثنين لجاز أن يريد أحدهما شيئا والآخر ضده الذي لا ضد له سواه، كحركة زيد وسكونه، فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما، لاستحالة ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما، وجواز المحال محال، فلا يرد إمكان اتفاقهما، وحينئذ فيتعين وقوع أحدهما، فيكون مريده هو الإله دون الآخر، لعجزه، فلا يكون الإله إلا واحدا.[102]

فلا يقال : الممكن ربما صار ممتنعا بحسب شرط، ككون الجسم في هذا الحيز حال كونه في الآخر؛ لأنا نقول : الممكن في ذاته ممكن على كل حال، ضرورة امتناع الانقلاب، والممتنع في حديث التحيز هو كونه في آن واحد في حيزين، فكذا هنا يمتنع

---

[99] هو الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ) : من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته. ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان. له ثلاثة (معاجم) في الحديث، منها (المعجم الصغير) و(التفسير) و (الأوائل) و (دلائل النبوة) وغير ذلك. انظر «الأعلام» (٣/ ١٢١)

[100] هو الإمام محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) : من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع. قال ابن عساكر: وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفا وخمسمائة جزء. منها (تاريخ نيسابور) و (المستدرك على الصحيحين) و (الإكليل) و (المدخل) و (تراجم الشيوخ) و (الصحيح) و (فضائل الشافعي) و (تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم) و (معرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه. انظر «الأعلام» (٦/ ٢٢٧)

[101] الحديث بهذا المعنى رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٦٤٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٣) وأحمد في «مسنده» (٢٣٩٨٢) والبزار في «مسنده» (٢٧٥٨) وغيرهم من الحفاظ.

[102] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٢) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٩)

اجتماع الإرادتين، وهو لا ينافي إمكان كل منهما، فتبين أن لزوم المحال إنما هو من وجود إلهين[103].

قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّـهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقال تعالى : ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٣].

ورد في حديث مرسل[104]، لما نزلت هذه الآية تعجب المشركون، وقالوا : إلها واحدا إن كان صادقا فليأتنا بآية. فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤].

[معنى الواحد والوحدة عند الأصوليين]

(**والواحد**) يعَرَّف كما نقل[105] عن اصطلاح الأصوليين بأنه (**الشيء الذي لا ينقسم**) أي لا يقبل القسمة بوجه، لا بالفعل، ولا بالوهم، ولا بالفرض؛ لأن ما قبل الانقسام قبل الزيادة والنقصان[106].

(**ولا بوجه ما**) من الوجوه، (**بشبه يتسم**)، يعني لا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء، حتى في الوجود.[107]

والوحدة تطلق عليه -تعالى- من ثلاثة أوجه :

١ - بمعنى نفي الكثرة.

---

[103] انظر : «حاشية الشربيني مع حاشية العطار» (٢/ ٤٤٨)

[104] الحديث رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٩)

[105] نقله إمام الحرمين كما أفاده الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٤) والولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٢٨)

[106] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٤) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٣) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٧) «الغيث الهامع» (٧٢٨) «حاشية العطار» (٢/ ٤٤٩)

[107] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٣) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٧) «الغيث الهامع» (٧٢٨)

٢- وبمعنى نفي النظير عنه في ذاته وصفاته.

٣- وبمعنى التفرد بالخلق والإيجاد والتدبير.[١٠٨]

فهو -تعالى- واحد في ذاته، وفي صفاته، لا شبيه له، وفي ألوهيته، وملكه، وتدبيره، لا شريك له.

فنفى الانقسام نفي للكم المتصل وهو المقدار، وما بعده نفي للكم المنفصل وهو العدد، والمعنى أن التركيب الحاصل بسبب اجتماع الأجزاء، والعدد الحاصل بفرض نظير منفيان عنه تعالى، فقولهم : «لنفي الكم» أي لنفي ما يحصل به الكم. تأمل[١٠٩].

(**والله**) عز و (**جل ذو دوام**) أي بقاء، وهو عبارة عن نفي العدم اللاحق، فهو من صفات السلوب، وهو الأصح.

وقيل : هو نفسي، أي عبارة عن الوجود المستمر فيما لا يزال.

وقيل : صفة معنى، أي موجود زائد على وجود الذات، كالعلم ونحوه، وسيأتي ما يعلم منه ردهما.

(**و**) الله جل ذو (**قدم**) -بكسر القاف وفتح الدال- يقال : قَدُم كـ كَرُم قداما وقدما بزون عِنَب فهو قديم.

وقد فسرهما بقوله : (**ما**) أي ليس (**لوجوده**) -تعالى- (**انتهاء**)، هذا راجع للدوام، (و) لا لوجوده (عدم)، هذا راجع للقدم؛ لأنه لو لم يكن قديما لكان حادثا، إذ لا واسطة بينهما في حق كل موجود، لكن كونه حادثا محال، لأنه يوجب افتقاره إلى محدث لما عرفت من وجوب افتقار كل حادث إلى محدث، ثم تنقل الكلام إلى محدثه

---

[١٠٨] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٥) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٧) «الغيث الهامع» (٧٢٨)

[١٠٩] انظر : «حاشية الشربيني» (٢/ ٤٤٩)

فيكون حادثا كالأول، فيفتقر أيضا إلى محدث، فإن كان محدثه هو الأول الذي كان أثرا له لزم الدور، أو غيره لزم في هذا الغير ما لزم فيه وتسلسل، والدور والتسلسل محالان، هذا برهان القدم.[1]

وأما برهان البقاء فلأنه لو قدر لحوق العدم له -تعالى- لكانت ذاته العلية تقبل الوجود والعدم؛ لفرض اتصافه بهما، ولا تتصف ذاته بصفة حتى تقبلها، لكن قبوله -تعالى- للعدم محال؛ إذ لو قبله لكان هو والوجود سيان، إذ القبول للذات نفسي لا يختلف، فيلزم افتقار وجوده إلى موجد يرجحه على العدم الجائز، فيكون حادثا، كيف وقد ثبت قدمه بالبرهان القطعي كما تقرر، فوجوب القدم يستلزم وجوب البقاء، وأن تجويز العدم اللاحق يوجب ثبوت العدم السابق.

والحاصل أن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه؛ لأن القدم لا يكون أبدا إلا واجبا للقديم، وعلم من تفسيره القدم بما ذكره أنه من صفات السلوب، وهو الأصح الذي اختاره المحققون، وقيل : هو صفة نفسية أي ليس بزائد على الذات، ومرجعه إلى الوجود المستمر أزلا.

ورد : بأنه لو كان نفسيا للوجود لما عَرِي عنه، كيف؟ والجوهر في أول أزمنة وجوده لا يتصف بالقدم، وإنما يطرأ بعد ذلك إذا توالت على وجوده الأزمنة، والصفة النفسية لا تكون طارئة وقيل هو صفة معنى أي صفة وجودية زائدة على الذات كالعلم ورد بأنه يلزم أن يكون هذا القدم الموجود في حقه تعالى قديما لاستحالة اتصافه تعالى بالحوادث وبمثل هذين الردين يرد القولان المتقدمان في صفة البقاء، فتأمله.

---

[1] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٤٩)

[حقيقة الخالق مخالفة لسائر الحقائق]

(حقيقة الخالق) عز وجل (لـ) سائر (الحقائق تخالف) مخالفة مطلقة من جميع الوجوه، فليس مماثلا لشيء منها، لا في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال؛ لأنه لو كان مماثلا لشيء من الحوادث لكان حادثا مثله، لكن كونه حادثا محال لما تقدم من وجوب قدمه -تعالى-.[١١١]

وتعبيره كـ «أصله» بالحقيقة للمشاكلة، وإلا فقد منع بعض المحققين من استعمال الحقيقة كالماهية في الله -تعالى-؛ لعدم وروده.[١١٢]

فلو عبر بالذات كأن يقول : وذاته -تعالى- للحقائق إلخ لكان أحسن، وهي بمعنى الحقيقة، إلا أنها واردة، ففي «الصحيح»[١١٣] في قصة إبراهيم -عليه السلام- : «إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله -تعالى»[١١٤].

وقول خبيب[١١٥] : «وذلك في ذات الإله».[١١٦]

و ورد موقوفا على ابن عباس : «تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله».[١١٧]

---

[١١١] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٧٩) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٣) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٠) «الغيث الهامع» (٧٢٩)

[١١٢] انظر : حاشية العطار (٢/ ٤٤٩)

[١١٣] الحديث رواه البخاري في «صحيح البخاري» (٣١٧٩) (٤٧٩٦)

[١١٤] الحديث رواه غير الإمام البخاري كل من الإمام مسلم في «صحيحه» (٦٢٢١) والترمذي في «سننه» (٢٤٣٤) (٣١٤٨) وأحمد في «مسنده» (٩٢٤١) وغيرهم من الحفاظ.

[١١٥] هو خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري والأوسي شهد بدرا واستشهد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. انظر «الاستيعاب» (٢/ ٤٤٠)

[١١٦] هذا صدر بيت لخبيب وتمامه : (وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع). انظر «معرفة الصحابة» لأبي نعيم : ٢/ ٩٨٦، «الاستيعاب» : ٢/ ٤٤١، «أسد الغابة» : ٢/ ١٥٤ وغيرها)

[١١٧] الأثر رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٦١٨) (٨٨٧) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢) وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٨) وحكم عليه السيوطي بأنه موقوف جيد الإسناد. انظر «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥١)

وحديث أبي الدرداء : «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله».[118]

وأما إنكار جمع كون الذات بمعنى الحقيقة وأنها لا تعرف بمعنى صاحبة فمردود بهذه التصريحات وغيرها.

[اختلاف العلماء في إمكانية العلم بذات الله للبشر في الدنيا]

قال (**المحققو الطرائق**) كالقاضي أبي بكر[119]، والإمامين[120]، والغزالي،[121] وإلكيا الهراسي[122] : (**لم تعلم الآن**) أي أنه لا يمكن العلم بذات الله -تعالى- للبشر في الدنيا.[123]

قال الشافعي -رضي الله تعالى عنه- : من انتهض لطلب مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه، وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو معطل، وإن اطمأن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد. وهذا معنى قول الصديق رضي الله تعالى عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك.[124]

وقال كثير من المتكلمين : إنها معلومة لهم الآن؛ لأنهم مكلفون بالعلم بوحدانيته، وهو متوقف على العلم بحقيقته.

---

[118] رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٥١٥) وقال : " صدقة بن عبد الله هذا يعرف بالسمين، هو ضعيف عندهم مجمع على ضعفه، وهذا حديث لا يصح مرفوعا وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء".

[119] أي الباقلاني، وقد سبقت ترجمته.

[120] هما إمام الحرمين والإمام الرازي كما أشار إليه الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٣٠)

[121] سبقت ترجمته.

[122] سبقت ترجمته.

[123] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٨٠) «الغيث الهامع» (٧٣٠) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٣)

[124] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٨٠) «الغيث الهامع» (٧٣٠) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٨)

وأجيب بمنع التوقف على العلم بالحقيقة، وإنما يتوقف على العلم به بوجه، وهو -سبحانه وتعالى- يعلم بصفاته، كما أجاب بها موسى -عليه السلام- فرعون السائل عنه -تعالى- حيث قال : ﴿وما رب العالمين قال رب السموات والأرض﴾ [الشعراء : ٢٣-٢٤] الآية.[١٢٥]

[اختلاف العلماء في إمكانية رؤية حقيقة الله تعالى في الآخرة]

(**وفي المعاد**) أي الآخرة (**هل يمكن أن نعلمها**) أي ذات الله -تعالى-؟ (**خلف حصل**) لهؤلاء المحققين.

فقيل : نعم؛ لحصول الرؤية في الآخرة كما سيأتي.

وقيل : لا؛ لأن الرؤية لا تفيد الحقيقة، وعليه الغزالي وإمامه[١٢٦].

وتوقف القاضي أبو بكر.[١٢٧]

قال الكمال[١٢٨] : والصحيح كما قاله البلقيني أنه لا سبيل للعقول إلى ذلك مطلقا، وهذا هو الحق.

[من لوازم مخالفة الله تعالى للحوادث]

ويندرج في وجوب مخالفته -تعالى- للحوادث اعتقاد أنه -تعالى- (**ليس بجوهر**) يتحيز، بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز، (**ولا**) بـ (**جسم**) مؤلف من

---

[١٢٥] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٨١) «الغيث الهامع» (٧٣١) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٩)/

[١٢٦] أي إمام الحرمين كما أشار إليه الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٣١)

[١٢٧] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٨٣) «الغيث الهامع» (٧٣١) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٤٩) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٤)

[١٢٨] هو الإمام محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود، السيواسي ثم الإسكندري، كمال الدين، المعروف بابن الهمام (٧٩٠ - ٨٦١ هـ) : من علماء الحنفية. عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب واللغة والموسيقى والمنطق. أصله من سيواس. ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة. وأقام بحلب مدة. وجاور بالحرمين. ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر. وكان معظما عند الملوك وأرباب الدولة. توفي بالقاهرة. من كتبه (فتح القدير) و (التحرير) و (المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة) و (زاد الفقير). انظر «الأعلام» (٦/ ٢٥٥)

جواهر فردة، وهي الأجزاء التي لا تتجزأ، (ولا بعرض) قائم بجسم؛ لأنه -تعالى- منزه عن الحدوث.

وهذه كلها حادثة، إذ الجوهر ما يتركب منه الجسم، والجسم مركب يقبل الزيادة والنقصان. قال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].[129]

والعرض: ما يفتقر إلى محل يقوم به، ويستحيل بقاؤه، كاللون والطعم، والله -تعالى- واحد ليس بأصل لغيره يتركب منه ثابت البقاء.[130]

قال السبكي: صانع العالم لا يحل في شيء؛ لأنه لو حل في شيء إما عرضا أو جوهرا أو صورة، والجميع محال ضرورة افتقار الحال لما حل فيه ولا شيء من المفتقر بواجب الوجود وكل حال في شيء مفتقر فلا شيء من واجب الوجود بحال وهو المطلوب.

(مازال) الإله (وحده) أي متفردا متوحدا جل و (علا)، وقولي: «متفردا» بالتاء أحسن من قول بعضهم: «منفرد» بالنون؛ لأن الإمام أبا منصور البغدادي[131] منع إطلاقه على الله -تعالى-، قال: وقد نطق الكتاب والسنة بأنه -تعالى- واحد، وفي معناه متوحد، ومتفرد، أي بالتاء، ولذلك قال أصحابنا: إن الإله متفرد بالإلهية، متوحد بالفردانية. انتهى.

---

[129] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٢)

[130] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٢)

[131] هو الإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، ابو منصور (ت: ٤٢٩ هـ): العالم المتفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. وتوفي في اسفرائين. كان يدرس في سبعة عشر فنا. وكان ذا ثروة. من تصانيفه " أصول الدين " و " الناسخ والمنسوخ" و "تفسير أسماء الله الحسنى" و "فضائح القدرية" و " التكملة، في الحساب" و "تأويل المتشابهات في الأخبار والآيات" و " تفسير القرآن " و " فضائح المعتزلة " و "الفاخر في الأوائل والأواخر " و " معيار النظر " و " الإيمان وأصوله " و "الملل والنحل" و " التحصيل " و " الفرق بين الفرق" و "بلوغ المدى في أصول الهدى" و "نفي خلق القرآن" و "الصفات". انظر «الأعلام» (٤/ ٤٨)

[الله تعالى منزه عن المكان والزمان]

(**ولا**) أي وليس (**مكانا أي ولا زمانا**)[١٣٢]، وقوله من زيادته : (**كلا**) يحتمل أنه بفتح الكاف كلمة زجر وردع عن توهم أنه فوق السماء مثلا، ويحتمل أنه بضمها على أن المعنى ولا كلا ولا جزأ.[١٣٣]

وقوله : (**ولا قطرا ولا أوانا**) من عطف الخاص على العام لأن القطر مكان مخصوص كالبلد، والأوان زمان مخصوص، كزمان الزرع والحصاد. والحامل على هذا العطف المبالغة في التنزيه، أي هو -سبحانه وتعالى وحده- قبل المكان والزمان، فهو منزه عنهما[١٣٤]، وتقدم حديث : «كان الله ولم يكن قبله شيء إلخ».

قال الإمام[١٣٥] : واجب الوجود سابق على العالم بالذات والوجود؛ إذ لولاه لما وجد. ولا يجوز أن يكون وجوده معه بالذات والوجود جميعا؛ لأن قبل ومع بالذات والوجود لا يجتمعان في شيء واحد، فهو إذن متأخر. ولا يجوز أن يكون مع واجب الوجود بالزمان؛ لأنه يوجب أن يكون واجب الوجود زمانيا، لأن قولنا «مع» من جملة الإضافات، كالأخوة والبنوة في أحد الشيئين، إذا كان مع الثاني بالزمان كان الثاني معه بالزمان أيضا، بل بكل اعتبار ثبتت المعية في أحد الشيئين، وجب عليك أن تثبتها في الشيء الثاني، فظهر أن واجب الوجود وجائز الوجود لا يكونان معا بوجه من الوجوه واعتبار من الاعتبارات، وصح قولنا : كان الله ولم يكن معه شيء، انتهى.[١٣٦]

---

[١٣٢] كذا في الأصل، وفي المطبوع (ولا زمانا أي ولا مكانا)

[١٣٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٢)

[١٣٤] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٤)

[١٣٥] أي الإمام فخر الدين الرازي كما أشار إليه العطار في «حاشيته» (٢/ ٤٥١)

[١٣٦] ذكره العطار في «حاشيته» (٢/ ٤٥١) وقال بأنه نقله من كتاب «الأربعين» للرازي.

ثم (**أحدث**) وأنشأ هـ (**ذا العالم**) العلوي والسفلي وما بينهما بعد عدمه المحض، إظهارا لقدرته الباهرة، وتحقيقا لما سبق من إرادته الأزلية، ولما حق في الأزل من كلمته التي لا تبدل، (**لا لينفعه من حاجة**) وافتقار، تعالى الله عن ذلك، بل هو الغني المطلق، وكل موجود سواه مفتقر إليه في وجوده، وبقائه، وسائر ما يمدوه به.[137]

(**ولو يشاء**) الله -تعالى- (**ما اخترعه**) فهو فاعل بالاختيار، متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب. قال -تعالى- : ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨].[138]

(**ولم يكن يحدث بابتداعه**) أي اختراعه للعالم على غير مثال سبق (**في ذاته**) سبحانه وتعالى، وقوله : (**من حادث**)[139] كنصب وتعب، من زائدة في اسم كان المنفية.[140]

(**فذا**) الكلام (**عه**) أي احفظه، فإن الله -تعالى- ليس محلا للحوادث، كما أنه ليس حالا فيه، ولا متحدا معه.[141]

وقول الناظم : (**فعال لما يريد**) مقتبس من قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج : ١٦].

وقوله : (**من رشد وغي**) بيان لما شوب بالتبعيض، (**ليس كمثله -من الأشياء- شيء**) ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١]، أي ليس مثله شيء منها يناسبه ويزاوجه، والمراد من مثله ذاته المقدسة، كما في قولهم : «مثلك لا يفعل كذا»

---

[137] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٤)

[138] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ٨٧)

[139] وإلا لزم النقص فيها لم يزل. انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٨٨) «الغيث الهامع» (٧٣٢)

[140] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٢)

[141] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٤)

على قصد المبالغة في نفيه بطريق الكناية، فإنه إذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه أولى.

وقيل : مثل صفته، أي ليس كصفته صفة، والمخالفة بينه وبين سائر الذوات لذاته -تعالى- المخصوصة، لا لأمر زائد.[142]

وأول هذه الآية تنزيه، وآخرها إثبات، فصدرها يَردّ على المجسمة، وعجزها يرد على المعطلة النافين لجميع الصفات، وبدأ بالتنزيه ليستفاد منه نفي التشبيه له -تعالى- مطلقا، حتى في السمع والبصر اللذين ذكرا بعده.[143]

[وجوه الرد على اعتراض المشبهة]

واعتراض بعض المشبهة على هذه الآية بأنها تقتضي إثبات مثل ونفي مثل عن ذلك المثل رده الأستاذ أبو منصور التميمي[144] بأن هذا جهل منهم بكلام العرب في مخاطباتها، وتناقض في نفس السؤال.

أما الأول فإن العرب تزيد المثل تارة في الكلام والكاف أخرى مع الاستغناء، كقول القائل : «أعرفك كالهين العاجز» أي هينا عاجزا، وقوله : «وقُل كمثل جذوع النخيل إلخ» أي كجذوع النخيل، فزاد المثل صلة للكلام، وقوله : «فصيروا كمثل عصف مأكول» أي مثل عصف، فزاد الكاف، وقد تزاد الكاف على الكاف كقوله : «وصاليات ككما توثقني» أي كما توثقني.[145]

قال : فقوله -تعالى- : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] الكاف فيه زائدة فيه صلة، والمراد : ليس مثله شيء، ومعناه : ليس شيء مثله.

---

[142] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٢)
[143] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٠) «الغيث الهامع» (٧٣٣)
[144] سبقت ترجمته، وهو الإمام عبد القاهر البغدادي.
[145] انظر : «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ١٢٢)

وأما الثاني فمن حيث إن السائل زعم أن له مثلا لا نظير له، وإذا لم يكن للمثل نظير بطل أن يكون مثلا له؛ لأن مثل الشيء يقتضي أن يكون المضاف إليه بالتماثل مثلا له، وذلك متناقض، وإذا تناقض السؤال في نفسه لم يستحق جوابا، تأمل.

[الكلام على القدر]

(**القدَر**) -بفتح الدال- وهو ما يقع من المخلوقات (**الذي قضاه**) الله -تعالى- وقدره (**في الأزل**) -بفتحتين- : هو الاستمرار في جانب الماضي، كما أن الأبد هو الاستمرار في جانب المستقبل، والأزلي ما لا يكون مسبوقا بالعدم، (**خيرا**) كان ذلك القدر، (**أو شرا**) صادرا (**منه**) -سبحانه وتعالى- (**بالخلق نزل**) أي وقع بخلقه -تعالى- وإرادته، قال -تعالى- : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصفات : ٩٦] أي وعملكم.[١٤٦]

وفي «الصحيح»[١٤٧] : «وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١٤٨].

وفي «مسلم»[١٤٩] : «إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة».

وفيه[١٥٠] عن جابر مرفوعا : «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار»[١٥١].

---

[١٤٦] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٥) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٣)

[١٤٧] أي «صحيح مسلم»، فقد رواه مسلم في «صحيحه» (١) بهذا اللفظ.

[١٤٨] الحديث بهذا المعنى رواه -غير مسلم- أيضا أبو داود في «سننه» (٤٦٩٧) والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٧٤) وابن حبان في «صحيحه» (١٧٣) والآجري في «الشريعة» (١٨٠) والطبراني في «الأوسط» (٦٣١٨) وفي «الكبير» (١٣٨) وغيرهم من الحفاظ.

[١٤٩] رواه مسلم في «صحيحه» (٦٨٤٢)

[١٥٠] الظاهر أن ضمير الهاء هنا يرجع إلى «صحيح مسلم»، وقد بحثت عن لفظ هذا الحديث في «صحيح مسلم» ولم أجده. والله أعلم.

[١٥١] رواه ابن ماجه في «سننه» (٢٩) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٨) والفريابي في «القدر» (٢١٩) والطبراني في «الأوسط» (٤٠٤٦) (٤٤٤٥) وفي «الصغير» (٦١٥) وغيرهم من الحفاظ.

وفي «أبي داود»[152] : «القدرية مجوس هذه الأمة»[153].

قال العلماء[154] : وذلك لجعلهم أنفسهم مستبدين بأفعالهم، خالقين لها، فأثبتوا خالقين، خالق للخير وخالق للشر، كما أثبت المجوس خالقين[155].

وقال الشافعي -رضي الله تعالى عنه- : القدرية إذا سلّموا العلم خُصِموا.[156]

ومعناه : أنهم إن أنكروا علم الله في الأزل بما يكون كفروا، وإن اعترفوا به فيقال لهم : هل يجوز وقوع الأمر على خلاف العلم القديم؟ فإن جوزوه لزم منه نسبة الجهل إليه -تعالى-، وإن لم يجوزوه فلا معنى للقدر إلا ذلك.[157]

قال ابن الحاجب : وهذا من أحسن الإرشاد إلى الدليل عليهم.[158]

(**قدرته**) -تعالى- (**لكل مقدور**) أي ما من شأنه أن يقدر عليه وهو الممكن (**تصل**)، بخلاف الممتنع فلا تتعلق به القدرة، لا لنقص فيها -معاذ الله- بل لعدم قابليته للوجود، فلا يصلح لأن تتعلق به[159].

---

[152] رواه أبو داود في «سننه» (٤٦٩٣)

[153] ورواه -غير أبي داود- الطبراني في «الأوسط» (٢٤٩٤) (٤٢٠٥) والحاكم في «المستدرك» (٢٨٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٣٩١) وغيرهم من الحفاظ.

[154] وهو قول الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٣٤) واختصره من كلام الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٢)

[155] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٦)

[156] انظر : «الغيث الهامع» (٧٣٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٣) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٦)

[157] انظر : «الغيث الهامع» (٧٣٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٣) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٦)

[158] انظر : «الغيث الهامع» (٧٣٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٣) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٦)

[159] انظر : «الغيث الهامع» (٧٣٦) «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٨) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٧)

ولم يخالف في ذلك إلا ابن حزم[160]، قال[161] : إن الله قادر على أن يتخذ ولدا؛ إذ لو لم يقدر عليه لكان عاجزا[162].

ورد بأنه محال، والمحال لا يدخل تحت القدرة، وعدم القدرة على الشيء قد يكون لقصورها عنه، وقد يكون لعدم قبوله لتأثيرها فيه بعدم إمكانه، والعجز هو الأول دون الثاني.[163]

ومثل الممتنع الواجب، فلا تتعلق القدرة به، لما يلزم عليه من تحصيل الحاصل.[164]

[علم الله تعالى شامل لكل معلوم]

(**وعلمه**) تعالى (**لكل معلوم**) أي ما من شأنه أن يعلم واجبا أو مستحيلا أو جائزا (**شمل**) بكسر الميم، قال تعالى : ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] ، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام : ٥٩] الآية. ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سبأ : ٣] الآية.[165]

---

[160] هو الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) : عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية ". ولد بقرطبة. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والأهواء والنحل " و " المحلى" و " جمهرة الأنساب" و " الناسخ والمنسوخ " و " حجة الوداع" و " ديوان شعر" و " جوامع السيرة" و "التقريب لحد المنطق والمدخل إليه" و " مراتب العلوم" و " الإعراب" و " ملخص إبطال القياس" و "فضائل الأندلس" و " أمهات الخلفاء" و " رسائل ابن حزم" و " الأحكام لأصول الأحكام" و " إبطال القياس والرأي" و " الفاضلة بين الصحابة" و "مداواة النفوس" و " طوق الحمامة". انظر : «الأعلام» (٤/ ٢٥٥)

[161] ذكر بهذا المعنى ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ١٣٨)

[162] انظر : «الغيث الهامع» (٧٣٦) «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٨) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٧)

[163] انظر : «الغيث الهامع» (٧٣٦) «تشنيف المسامع» (٤/ ٩٨) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٧)

[164] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٥)

[165] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٨)

ومن ثم قال: (**فيعلم**) المولى -سبحانه وتعالى- (**الدقائق الجزئية كعلمه**) -تعالى- (**الحقائق الكلية**) لا فرق بينهما.[166]

قال الإمام النووي: ومن أنكر علمه بالجزئيات فهو كافر[167].

[اختلاف العلماء في تغير علم الله تعالى]

ثم قال كثير من أهل السنة: إنه لا يحصل بذلك تغير في علمه -تعالى-، فإن العلم بأنه سيوجد هو العلم بوجوده في زمن الوجود، فإذا علم أن فلانا في الجزء الفلاني من النهار قاعد، وفي الجزء الفلاني مضطجع، وفي الجزء الفلاني قائم، فكانت حالته في كل جزء من النهار ما علم -تعالى- كونه عليه في تلك الحالة، فلا تغير في العلم، فإن العلم بتفاصيل ذلك قديم، وإنما يحتاج الخلق إلى علم آخر، لطرو الغفلة منهم.[168]

وقال آخرون منهم بالتغير، وقالوا: إنما يمتنع التغير في الصفات الحقيقية دون الإضافية؛ فإن التغير فيها لا يوجب تغيرا في الذات، فإذا قلنا الله عالم الآن بما نحن عليه، وقد كان عالما بما كنا أمس عليه، وسيكون عالما بما نكون عليه، فالتغير جار على أحوالنا، وهو -تعالى- أمس واليوم وغدا في معنى كونه عالما في جميع الأحوال على حد واحد، تأمل.[169]

---

[166] انظر: «البدر الطالع» (٢/٤١٦)

[167] ذكره الإمام النووي في «شرح المهذب» (٤/٢٥٣) ونقله السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/٤٥٨)

[168] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/٤٥٨)

[169] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/٤٥٩)

[إرادة الله تعالى تابعة لعلمه]

(**وكل ما علم**) -سبحانه وتعالى- (**أنه يقع**) ويوجد (**أراده**) أي أراد وقوعه ووجوده، وكل (**ما**) علم أنه (**لا**) يقع ولا يوجد فلا يريد وجوده، و (**وقوعه امتنع**)[170].

فالإرادة تابعة للعلم، ولكل منهما على التحقيق تعلق واحد فقط، وهو التنجيزي القديم، فيتعلق العلم بالممكن قبل وجوده، لكن محط العلم الوجود، وكل ما بقي من لوازمه، وتعلق الإرادة تعيينها في الأزل للمكن ببعض ما يجوز عليه، فتبعية تعلقها لتعلق العلم إنما هي بحسب التعقل؛ إذ لا يعقل في القديم ترتيب.[171]

(**بقاؤه**) أي بقاء وجوده -(**جل**) وعلا- أي وجوده الباقي الشامل للقديم الباقي (**بلا بداية، ومستمر لا إلى نهاية**) أي لا أول له ولا آخر.[172]

[أنواع الموجود الثلاثة]

قال جمع: الموجود ثلاثة أقسام لا رابع لها: أزلي أبدي، وهو الحق -سبحانه وتعالى-، ولا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، وأبدي غير أزلي وهو الأخرى، وعكسه محال لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، تدبر.

[صفات الله تعالى الذاتية أزلية]

(**فلم يزل**) -سبحانه وتعالى- (**بأسمائه**) بوصل الهمزة للوزن، أي بمعاني أسمائه (**العظيمة**)، وهي ما دل على الذات باعتبار صفة، كالعالم والخالق.[173]

---

[170] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٩) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٦)

[171] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٦) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٩)

[172] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤١٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٠٢) «الغيث الهامع» (٧٣٨) «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٦) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٥٩)

[173] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤١٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٠٣) «الغيث الهامع» (٧٣٨) «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٦) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٠)

والمراد هنا كما قاله بعضهم تلك الصفة، وإن حصل تداخل مع قوله : (و) لم يزل -سبحانه وتعالى- (**بصفات ذاته القديمة**) لأن المقام مقام خطابة.

فكل من أسمائه الذاتية وصفاته الذاتية أزلية أي قديمة[١٧٤].

[صفات الأفعال ليست أزلية عند الأشاعرة]

بخلاف صفات الأفعال، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة فليست أزلية عندنا، خلافا للحنفية، بل هي حادثة أي متجددة؛ لأنها إضافات تعرض للقدرة، وهي تعلقاتها بوجود المقدورات لأوقات وجوداتها، ولا محذور في اتصافه -تعالى- بالإضافات، ككونه قبل العالم ومعه وبعده.[١٧٥]

وأما أزلية أسمائه الراجعة إلى صفات الأفعال -كما تقرر في جملة الأسماء- فمن حيث رجوعها إلى القدرة لا الفعل، فالخالق -مثلا- إن إريد به من شأنه الخلق أي القادر عليه فقديم بلا خلاف، وإن أريد به من صدر منه الخلق فليس صدوره أزليا عندنا، وإلا لزم قدم الخلق كقدم العلم.[١٧٦]

---

[١٧٤] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٠)

[١٧٥] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٨) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦١)

[١٧٦] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤١٨) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦١)

قال الحافظ البيهقي[177] : أبى المحققون من أصحابنا أن يقال : لم يزل خالقا ورازقا، ولكن يقولون : لم يزل قادرا على الخلق والرزق، وإذا سمي خالقا بعد وجود الخلق لم يوجب ذلك تغيرا في ذاته.[178]

[ذكر مسألة من المسائل التي اختلف فيها الأشاعرة والحنفية]

فهذه من المسائل التي اختلف فيها الأشاعرة والحنفية، وهي قليلة، قيل : لا تبلغ عشر مسائل.[179]

وقد استوفاها صاحب «الأصل» في «النونية»[180]،

[177] هو الإمام أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) : ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن توفي. قال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى) و (السنن الصغرى) و (المعارف) و (الأسماء والصفات) و (ودلائل النبوة) و (الآداب) و (الترغيب والترهيب) و (المبسوط) و (الجامع المصنف في شعب الإيمان) و (مناقب الإمام الشافعي) و (معرفة السنن والآثار) و (القراءة خلف الإمام) و (البعث والنشور) و (الاعتقاد) و (فضائل الصحابة). انظر «الأعلام» (١/ ١١٦)

[178] ذكره البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ١٣٦) والمثبت هنا باختصار، ويبدو أن المصنف نقله من «شرح الكوكب الساطع» للسيوطي (٢/ ٤٦١) أو «الغيث الهامع» (٧٤٠)

[179] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦١)

[180] هذه القصيدة ذكرها تاج الدين السبكي في «طبقاته» (٣/ ٣٧٩) فقال عنها : "ولي قصيدة نونية جمعت فيها هذه المسائل وضممت إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها مع تصويب بعضهم بعضا فى أصل العقيدة ودعواهم أنهم أجمعين على السنة وقد ولع كثير من الناس بحفظ هذه القصيدة لا سيما الحنفية وشرحها من أصحابى الشيخ الإمام العلامة نور الدين محمد بن أبى الطيب الشيرازى الشافعى وهو رجل مقيم فى بلاد كيلان ورد علينا دمشق فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأقام يلازم حلقتى نحو عام ونصف عام ولم أر فيمن جاء من العجم فى هذا الزمان أفضل منه ولا أدين وأنا أذكر لك قصيدتى فى هذا الكتاب لتستفيد منها مسائل الخلاف وما اشتملت عليه".

لكن استقصاها جمع فأنهاها إلى نحو خمسين، وكأنه باعتبار تفاريعها، فليراجع[١٨١].

[أقسام صفات الذات]

ثم صفات الذات قسمان : (**ما دل فعله**) -تعالى- (**عليها**) لتوقف الفعل عليها (**كل تي**) الأربعة الآتية :

(**إرادة**) : وهي صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه.

و (**علم**) : وهو صفة أزلية لها تعلق بالشيء على وجه الإحاطة به، على ما هو عليه بدون سبق خفاء.

و (**حياة**) : وهي صفة أزلية تقتضي صحة العلم، وغيره من الصفات لموصوفها.

و (**قدرة**) : وهي صفة أزلية تؤثر في الممكن عند تعلقها إيجادا أو إعداما.[١٨٢]

أو دل عليها (**تنزيه نقص**) عنه -سبحانه وتعالى- (**من كلام**) وهو صفة أزلية قائمة بذاته -تعالى- تتعلق بما يتعلق به العلم ،لا تقبل العدم ولا ما في معناه، عبر عنها بالنظم المعروف المسمى بكلام الله -تعالى-، ويسميان بالقرآن أيضا، وسيأتي.

(**وبصر**) و (**سمع**) : وهما صفتان أزليتان زائدتان عن العلم، قائمتان بذاته -تعالى-، تتعلقان بالموجودات، فتدرك إدراكا تاما، لا على سبيل التخيل والتوهم،

---

[١٨١] وقد أفرد العلماء هذه المسألة في كتب مستقلة من بينها كتاب : «مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتردية» للشيخ ابن كمال باشا، و «نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتردية والأشعرية» للعلام شيخ زاده، و «رسالة في الخلافيات بين الحكماء والمتكلمين والأشاعرة والماتريدية» للشيخ مستجي زادة وهو مخطوط، و «العقد الجوهري في الفرق بين قدرة العبد وكسبه عند الماتردي والأشعري» للشيخ خالد النقشبندي وهو مخطوط أيضا.

[١٨٢] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٠) «الغيث الهامع» (٧٣٩)

ولا على طريق تأثير حاسة، ولا وصول هواء، ولا شعاع، وتعلقها بالموجودات هو ما عليه المحققون.

[اختلاف العلماء في اعتبار صفتي البقاء والقدم]

و (بقاء) : وهو استمرار الوجود.[١٨٣]

فيكون من صفات المعاني على ما هو ظاهر صنيع «الأصل»، وقد تعقبه الناظم بقوله :

(**قلت**) متوركا عليه : (**في**) عد (**البقا**) منها (**نظر**)؛ لأنه خلاف ما عليه المحققون من أن البقاء من الصفات السلبية، لأنه عبارة عن نفي الآخرية، وهو سلب محض، وكذا القدم، فإنه عبارة عن نفي الأولية، وقد تقدم الخلاف فيهما على ثلاثة أقوال.

قيل : إنهما صفتان نفسيتان.

وقيل : إنهما من صفات المعاني.

وقيل : إنهما من الصفات السلبية، وهو التحقيق.

[وجوب إثبات الصفات الواردة في القرآن والسنة الصحيحة]

(**و**) كل (**ما كتابنا**) أي القرآن العزيز (**أو السنة**) النبوية الصحيحة (**قد أثبته**) لله -عز وجل- (**من الصفات**) والأسماء (**يعتقد**) وجوبا.

(**منه الذي معناه باد**) أي ظاهر، (**وجلي**) أي واضح، بحيث لا يكون فيه إشكال أصلا، وهذا لا خلاف فيه، ويعتقد وجوبا (**تنزيهه**) -تعالى- (**عند سماع المشكل**) ظاهرها، بإيهامه تشبيها، كقوله -تعالى- : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه : ٥] ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن : ٢٧] ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه : ٣٩] ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح : ١٠].

---

[١٨٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٠) «الغيث الهامع» (٧٣٩)

وحديث «مسلم»[184] : «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن».[185]

وحديث «أبي عبيد»[186] : «الحجر الأسود يمين الله في أرضه»[187].

[وجوب اعتقاد أن المشكلات الواردة في الكتاب والسنة ليس المراد بها ظواهرها]

فيجب على كل مؤمن أن يعتقد من المشكلات الواردة في الكتاب والسنة أنه ليس المراد بها ظواهرها؛ لاستحالتها على الله -تعالى- لقيام الأدلة العقلية باستحالة ذلك عليه، والأدلة الشرعية إذا خالفت الأدلية العقلية وجب صرف الشرعية عن ظاهرها اتفاقا.[188]

[اختلاف العلماء في الآيات المتشبهات بين التفويض والتأويل]

(و) بعد ذلك اختلفت الأئمة (هل نفوض) معنى تلك المشكلات المراد إليه -تعالى- حال كوننا (منزهين) له -سبحانه وتعالى- بمعنى أنا نؤمن بها كما جاءت، ونفوض المراد منها إلى الله -تعالى-، ولا نفسرها مع تنزيهنا له -تعالى- عن حقيقتها.

---

[184] رواه مسلم في «صحيحه» (٦٨٤٤) بلفظ : «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء».

[185] وروى نحو هذا الحديث -غير مسلم- أيضا ابن ماجة في «سننه» (١٩٩)، والترمذي في «سننه» (٢١٤٠) وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٢) وغيرهم من الحفاظ.

[186] هو الإمام القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عبيد (١٥٧ - ٢٢٤ هـ) : من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدبا. من كتبه " الغريب المصنف" و "الطهور " و " الأجناس من كلام العرب" و " أدب القاضي" و " فضائل القرآن" و " الأمثال" و " المذكر والمؤنث " و " المقصور والممدود " و " الأموال" و " الأحداث " و " النسب " و " الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته". انظر «الأعلام» (٥/ ١٧٦)

[187] رواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس مرفوعا كما ذكره صاحب «كشف الخفاء» (١١٠٩)

[188] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١١) «الغيث الهامع» (٧٤١) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٨)

(**أو نجنح**) أي نميل (**للتأويل**) لتلك المشكلات، وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، حيث كان المحتمل الذي يراد موافقا للعقل والكتاب والسنة، كتأويل الاستواء بالاستيلاء، والوجه بالذات، والعين بالعلم، واليد بالقدرة.[١٨٩]

قال الإمام النووي : وإنما يسوغ التأويل لمن كان من أهله، بأن كان عارفا بلسان العرب، وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضة في العلم[١٩٠].

(**رأيين رأوا**)[١٩١] أي العلماء في ذلك، (**قلت**) مبينا لمن على ذينك الرأيين :

[التفويض هو مذهب السلف]

(**وبالتفويض**) أي تفويض علم تلك المشكلات مع التنزيه (**إذن السلف**) أي غالبهم، وهو المسلك المشهور عن أئمة الدين، مثل الأئمة الأربعة، والمحدثين الحفاظ، وأئمة القراءات وغيرهم، وآثروه لخلو زمانهم عما حدث من الضلالات الشنيعة، والبدع القبيحة، فلم يكن حاجة إلى الخوض فيها.

وإلى هذا المسلك ميل إمام الحرمين آخرا؛ إذ قال في «النظامية»[١٩٢] : والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة، للدليل القاطع أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتما فلا شك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم

---

[١٨٩] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٦) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١١) «الغيث الهامع» (٧٤٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٩)

[١٩٠] ذكره الإمام النووي في «شرحه على صحيح مسلم» (٣/ ١٩)

[١٩١] انظر في حكاية هذين القولين : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٥) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١١) «الغيث الهامع» (٧٤١) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٩)

[١٩٢] رأيته مطبوعا بتحقيق الدكتور محمد الزبيدي في درا سبيل الرشاد بنحو ٣٢٨ صفحة.

بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتبع.[١٩٣]

قال الحافظ ابن حجر[١٩٤] : كيف لا يوثق بما اتفق عليه القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة -صلى الله تعالى عليه وسلم-.[١٩٥]

[التأويل التفصيلي هو مذهب الخلف]

(**والأخذ بالتأويل**) أي التفصيلي (**رأي الخلف**) أي غالبهم أيضا، وهو مسلك المحققين منهم، وآثروه لكثرة المبتدعة القائلين بالجهة والجسمية وغيرهما، مما هو محال على الله -تعالى-، وإليه ميل إمام الحرمين في «الإرشاد» والعز بن عبد

---

[١٩٣] ذكره إمام الحرمين في «العقيدة النظامية» (١٦٦) غير أن المذكور هنا معناه، ويبدو أن المصنف نقله من عبارة ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤٠٧)

[١٩٤] هو الإمام أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) : من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) و (لسان الميزان) و (الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام) و (ديوان شعر) و (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف) و (ذيل الدرر الكامنة) و (ألقاب الرواة) و (تقريب التهذيب) و (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة) و (تهذيب التهذيب) و (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) و (تعريف أهل التقديس) و (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) و (المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس) و (تحفة أهل الحديث عن شيوخ الحديث) و (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر) و (المجالس) و (القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد) و (ديوان خطب) و (تسديد القوس في مختصر الفردوس للديلي) و (تبصير المنتبه في تحرير المشتبه) و (رفع الإصر عن قضاة مصر) و (إنباء الغمر بأنباء العمر) و (إتحاف المهرة بأطراف العشرة) و (الإعلام في من ولي مصر في الإسلام) و (نزهة الألباب في الألقاب) و (الديباجة) و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) و (التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) و (بلوغ المرام من أدلة الأحكام). انظر «الأعلام» (١/ ١٧٨)

[١٩٥] ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧)

السلام[196]، فقال : إن طريقة التأويل بشرطها أقرب إلى الحق. ويعني بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب.[197]

قال بعضهم : فمن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق، وقد قال -تعالى- : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّـهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ٧].

قال : فكأنه قال : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ٧] أيضا يعلمونه، ويقولون : آمنا به، فإن الإيمان بالشيء إنما يتصور بعد العلم، أما ما لا يعلم فالإيمان به غير متأت؛ ولذا قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- : أنا من الراسخين في العلم. انتهى.[198]

[اتفاق العلماء على عدم القدح في الجهل بالتأويل التفصيلي للآيات المتشبهات]

(**مع اتفاقهم**) أي العلماء سلفا وخلفا (**بأن لن يقدحا**) في اعتقادنا المراد منها مجملا (**إن يجهل التفصيل**) بها (**من قد انتحى**)؛ إذ لم ينقل عنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- ولا عن أحد من الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- من طريق صحيح بوجوب التأويل ولا بالمنع من ذكره، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله -تعالى- منها، ووجب تنزيه -تعالى- عن مشابهة المخلوقات بقوله -

[196] هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ) : الفقيه الشافعي بلغ رتبة الاجتهاد. من كتبه "التفسير الكبير" و " الإلمام في أدلة الاحكام" وقواعد الشريعة" و " الفوائد" و " قواعد الأحكام في إصلاح الأنام" و " ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام " و "بداية السول في تفضيل الرسول" و " الفتاوي" و " الغاية في اختصار النهاية" و " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" و " مسائل الطريقة" و " الفرق بين الإيمان والإسلام" و " مقاصد الرعاية". انظر «الأعلام» (٤/ ٢١)

[197] انظر : «الغيث الهامع» (٧٤٢)

[198] انظر : «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٤) «تفسير البغوي» (١/ ٤١٢) «تفسير الخازن» (١/ ٣٢٢)

تعالى- : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١]. فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم.[١٩٩]

[الرد على من قال بأن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أحكم]

قال بعضهم : وطريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم، وفي لفظ : أعلم.[٢٠٠]

ورده غيره : بأنه غير مستقيم؛ إذ ظن أن طريقة الخلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات.[٢٠١]

قال : فجمع هذا القائل بين الجهل بطريق السلف والدعوى في طريقة الخلف، وليس الأمر كما ظن، بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله -تعالى-، وفي غاية التعظيم له، والتعظيم لأمره والتسليم لمراده، وليس من يسلك طريقة الخلف واثقا بأن الذي يتأوله هو المراد، ولا يمكنه القطع لصحة تأويله. والله أعلم.[٢٠٢]

[تعريف القرآن عند أهل السنة والجماعة]

(**إن تقصد**) أيها المكلف (**التعريف للقرآن**) عندنا أهل السنة (**فهو كلام ربنا**) -عز وجل-، أي المعنى القائم بذاته -تعالى- المقدسة، ليس بحرف ولا صوت، وهو الكلام (**النفساني**).[٢٠٣]

---

[١٩٩] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٤) «الغيث الهامع» (٧٤٣)

[٢٠٠] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٦٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٤) «الغيث الهامع» (٧٤٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤١٩)

[٢٠١] انظر : «فتح الباري» (١٣/ ٣٥٢)

[٢٠٢] انظر : «فتح الباري» (١٣/ ٣٥٢)

[٢٠٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٠) «الغيث الهامع» (٧٤٣)

وقد يطلق ويراد به العبارات الدالة على الصفة القديمة وهي القراءة، ومنه قوله -تعالى- : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي القراءة فيه.[٢٠٤]

وحديث «يتغنى بالقرآن»[٢٠٥] أي بالقراءة.[٢٠٦]

وإطلاقه عليهما بالاشتراك اللفظي على المختار؛ لأنه قد استعمل فيهما لغة وعرفا، والأصل في الإطلاق الحقيقة فيكون مشتركا، ووجود الكلام النفساني من الوجداني الضروري.

ولذا قال بعض المحققين : ومن أنكره فقد أنكر أخص وصف الإنسانية، فإن الآدمي يشاركه البهائم في إدراك المحسوسات والوجدانيات، ويختص الآدمي عنها بالقدرة على استحضار العلوم في الذهن، وتركيبها وترتيبها ترتيبا يتوصل به إلى إدراك الغائبات، وكل ذلك يعتمد الكلام النفسي، انتهى.

والقرآن (**ليس بمخلوق**)؛ لأنه كلام الله -عز وجل-، وكلامه صفته، ويستحيل اتصافه -تعالى- بالحدوث.[٢٠٧]

وقد ذكر الله -تعالى- الإنسان في ثمانية عشر موضعا، وقال : إنه مخلوق، وذكر -تعالى- القرآن في أربعة وخمسين موضعا، ولم يقل : إنه مخلوق، ولما جمع بينهما نبه على ذلك، إذ قال : ﴿الرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ [الرحمن : ١-٣].[٢٠٨]

---

[٢٠٤] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٠) «الغيث الهامع» (٧٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٥)

[٢٠٥] الحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٤٧٣٥) (٤٧٣٦) (٧٠٤٤) ومسلم في «صحيحه» (١٧٩٧) (١٧٩٩) وغيرهما من الحفاظ.

[٢٠٦] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٠) «الغيث الهامع» (٧٤٤)

[٢٠٧] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٠) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢١)

[٢٠٨] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٠) «الغيث الهامع» (٧٤٤)

وورد عن ابن عباس بسند صحيح في قوله -تعالى- : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر : ٢٨] : إنه قال غير مخلوق.[٢٠٩]

قال الشافعي -رضي الله تعالى عنه- : إنما خلق الله كل شيء بـ «كن»، فلو كانت «كن» مخلوقة لكان مخلوق خلق مخلوقا.[٢١٠]

قال الأئمة : لو [كانت][٢١١] «كن» [الأولى مخلوقة][٢١٢] كان مخلوقا بـ «كن» أخرى، وهكذا إلى ما لا نهاية وهو محال.[٢١٣]

واستدل الإمام أحمد أيضا بحديث : «أول ما خلق الله القلم»[٢١٤] فإن الكلام قبل خلقه، فدل على أنه غير مخلوق.[٢١٥]

هذا في المعنى القائم بالذات المقدسة، أما العبارات الدالة عليه وهي القراءة فهي مخلوقة حادثة، ولكن امتنع العلماء من إطلاق الخلق والحدوث عليهما؛ إذا

[٢٠٩] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧١) «الغيث الهامع» (٧٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٩)

[٢١٠] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧١) «الغيث الهامع» (٧٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٩)

[٢١١] كذا في الأصل وفي «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧١) «الغيث الهامع» (٧٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٩) : (كان)

[٢١٢] كذا في الأصل، وفي«شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧١) «الغيث الهامع» (٧٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٩) : (الأول مخلوقا)

[٢١٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧١) «الغيث الهامع» (٧٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١١٩)

[٢١٤] الحديث رواه أحمد في «مسنده» (٢٢٧٠٥) وأبو داود في «سننه» (٤٧٠٢) والترمذي في «سننه» (٢١٥٥) (٣٣١٩) وغيرهم من الحفاظ.

[٢١٥] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧١)

سميت قرآنا لما فيه من الإيهام، وبدعوا القائل[216] : لفظي بالقرآن مخلوق، سدا للباب، تدبر.[217]

(و) هو مع (ذا)لك (ينطلق حقيقة) أي على سبيل الحقيقة (بلا مجاز يرمق) أي يلحظ أنه (يقرأ بالألسن) بحروفه الملفوظة المسموعة[218]. ومنه حديث : «لا يقرأ القرآن جنب ولا حائض»[219].

وأنه (في الصدور يحفظ) بألفاظه المخيلة، ومنه قوله -تعالى- : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت : ٤٩].[220]

وأنه (يكتتب في السطور) بأشكال الكتابة، وصور الحروف الدالة عليه،[221] ومنه حديث : «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو».[222]

فقوله : «حقيقة» راجع إلى كل من هذه الثلاثة، أعني القراءة، والحفظ، والكتابة، قدمه عليها للإشارة إلى ذلك.[223]

ونبه بقوله : «لا مجاز يرمق» على أنه ليس المراد بالحقيقة كنه الشيء كما هو مراد المتكلمين، فإن القرآن بهذه الحقيقة ليس في الألسنة، ولا في الصدور، ولا في

---

[216] هو الإمام حسين الكرابيسي الشافعي (ت : ٢٤٨) من أصحاب الإمام الشافعي.

[217] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧١) «الغيث الهامع» (٧٤٥) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٢٨)

[218] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٢) «الغيث الهامع» (٧٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٣٠) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢١)

[219] الحديث رواه ابن ماجه في «سننه» (٥٩٥) والترمذي في «سننه» (١٣١) وغيرهما من الحفاظ.

[220] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٢)

[221] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٢)

[222] الحديث بهذا المعنى رواه البخاري في «صحيحه» (٢٨٢٨) ومسلم في «صحيحه» (٤٨٧٢) (٤٨٧٣) وابن ماجه في «سننه» (٢٨٧٩) وغيرهم من الحفاظ.

[223] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢١)

السطور، وإنما المراد بالحقيقة مقابل المجاز، أي يصح أن يطلق على القرآن حقيقة أنه مقروء محفوظ مكتوب.[٢٢٤]

واستشكل بأنه : كيف يجتمع وصفه بهذه الثلاثة وبكونه غير مخلوق؟ وأجيب بأن ذلك وصف له باعتبار وجودات الوجود الأربعة، فإن لكل موجود وجودا في الخارج، ووجودا في الذهن، ووجودا في العبارة، ووجودا في الكتابة، فهي تدل على العبارة، وهي تدل على ما في الذهن، وهو على ما في الخارج.[٢٢٥]

فالقرآن باعتبار الوجود في الأعيان قديم قائم بالذات العلية، وباعتبار الوجود البياني مقروء بالألسن، وباعتبار الوجود في الذهن محفوظ في الصدور، وباعتبار الوجود البناني مكتوب في السطور.[٢٢٦]

فالحاصل حينئذ أن الكلام القديم يوصف بأنه مقروء وصفا حقيقيا، وإن كان كنهه ليس مقروءا ولا مكتوبا إلخ، وذلك لأن له وجودا في القراءة بمعنى أنه مدلول المقروء، فيوصف بأنه مقروء باعتبار هذا الوجود، كما يقال : «زيد مقروء» باعتبار وجوده القراءتي، فمعنى أنه مقروء أن له وجودا في القراءة، سواء كان الوجود مجازيا أو حقيقيا، وظاهر أن الوصف بأن له وجودا في القراءة وصف حقيقي؛ إذ معنى مقروء أنه موجود بوجوده القراءتي، وهكذا يقال في محفوظ ومكتوب، تأمل.

(**يُجري**) الله -تعالى- من الإجراء، لعباده (**على طاعته**)، أي على طاعة العباد المكلفين له (**الثوابا**) إجماعا، لكن عند أهل السنة فضلا منه ولا وجوبا.[٢٢٧]

---

[٢٢٤] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢١)

[٢٢٥] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٢) «حاشية العطار» (٢/ ٤٦٢)

[٢٢٦] انظر : «الغيث الهامع» (٧٤٧) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٢)

[٢٢٧] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٣) «حاشية العطار» (٢/ ٤٦٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٢)

قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «ما منكم من أحد يدخل الجنة بعمله» قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله -تعالى- برحمة منه وفضل». متفق عليه.[٢٢٨]

ولأن طاعات العباد لا تفي بالنعم المتوافرة عليهم الناجزة، فكيف يحكم العقل باستحقاق ثواب على عمل وقع عوضا عن نعيم أوتيه العبد في الدنيا؟[٢٢٩].

روى أحمد[٢٣٠] حديث : «لو أن رجلا يُجر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرما في مرضات الله -تعالى- لحقره يوم القيامة»[٢٣١].

والطبراني حديث : «إن الرجل ليجيئ يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله تعالى فتكاد تستنفد ذلك كله لولا ما يتفضل الله تعالى من رحمته»[٢٣٢].

(**كذا**) يجري سبحانه (**على**) من تجرأ عليه بـ (**عصيانه العقابا**) عدلا منه لإخباره بذلك.[٢٣٣]

قال -تعالى- : ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٣٧-٤١]

لكن العقاب على المعصية غير متحتم عندنا، بل هو موقوف على مشيئة الله -تعالى-، فإن شاء عذب وإن شاء غفر كل ذنب ما خلا الشرك كما قال : (**إلا إذا غفر**)

---

[٢٢٨] الحديث بهذا المعنى رواه البخاري في «صحيحه» (٥٣٤٩) (٦٠٩٨) (٦١٠٢) ومسلم في «صحيحه» (٧٢١٣) (٧٢١٥)(٧٢١٦)(٧٢١٨) (٧٢١٩) (٧٢٢٤) وغيرهما من الحفاظ.

[٢٢٩] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٣)

[٢٣٠] رواه أحمد في «مسنده» (١٧٦٤٩)

[٢٣١] ورواه أيضا الطبراني في «الكبير» (٣٠٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٧)

[٢٣٢] رواه الطبراني في «الأوسط» (١٥٨١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣١٩)

[٢٣٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٢)

الله -تعالى- (غير الشرك)؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].[٢٣٤]

فهذا مخصص لعمومات العقاب[٢٣٥].

وفي «الصحيحين»[٢٣٦]: «أتاني جبريل فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وسرق؟ قال: وإن زنى وسرق».

وشمل كلامه كـ «أصله» الإنس والجن.

[اختلاف العلماء في إثابة الجن]

لكن في إثابة الجن خلاف، فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: «كونوا ترابا مثل البهائم»، وهو محكي عن أبي حنيفة، وليث بن أبي سليم.

وقيل: يثابون، وعليه الجمهور؛ لقوله -تعالى-: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٣٢]

وقوله -تعالى- عنهم: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَـٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ [الجن: ١٤] إلخ.[٢٣٧]

[اختلاف العلماء في دخول الجن الجنة]

وعليه خلاف أيضا، هل يدخلون الجنة؟

الجمهور: نعم، أخذا من العمومات.

وقيل: لا، بل يكونون في رياضها، نراهم من حيث لا يروننا.[٢٣٨]

[٢٣٤] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٣)

[٢٣٥] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٢)

[٢٣٦] الحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٢٢٥٨) (٣٠٥٠) (٦٠٧٩) ومسلم في صحيحه (١٨٥) (٢٢٦٧)

[٢٣٧] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٥)

[٢٣٨] قال السيوطي: حكاه ابن تيمية عن مالك والشافعي وأحمد. انظر «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٦)

وقيل: إنهم في الأعراف.

وقيل: بالوقف[239].

[اختلاف العلماء في إثابة الملائكة]

وأما الملائكة فقيل: إنهم مثل الثقلين؛ لقوله -تعالى- فيهم: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]

ورد بأن الآية أريد بها إبليس خاصة، وعلى تقدير ذلك فإن ذلك لا يقع منهم[240].

وقيل: لا يجازون بالجنة، بل بنعيم يناسبهم، وهذا هو الأصح، وبه جزم العز ابن عبد السلام.[241]

قال: لأن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة، كالجهاد والصبر على البلاء والمحن، وتحمل مشاق العبادات لأجل الله، وقد ثبت أنهم يرون ربهم، ويسلم عليهم، ولم يثبت مثل هذا للملائكة[242].

وأما قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البروج: ١١] الآيات في الثواب والملائكة، فجوابه: أن هذا اللفظ مخصوص بمن آمن من البشر في عرف الشرع، فلا يندرج فيه الملائكة بعرف الاستعمال. انتهى.[243]

[يجوز لله تعالى إثابة العاصي عقلا]

و (**له**) -سبحانه- و (**تعالى**) عقلا كما أشار إليه بقوله من زيادته: (**لصريح المسلك**)، يعني الدليل العقلي، (**إثابة العاصي**) ويوليه نعما كثيرة عظيمة.[244]

---

[239] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٥)
[240] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٧)
[241] جزم به في «القواعد الصغرى» كما ذكره السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٨)
[242] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٨)
[243] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٧٨)
[244] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٣)

[يجوز لله تعالى تعذيب المطيع عقلا]

(و) له -تعالى- (أن يوجعا بالنكر من عذابه المطيعا) من عباده المؤمنين بفعل مأموراته، واجتناب نواهيه، وذلك لأنه ملكه يتصرف فيه كيف يشاء.[245]

لكنه لا يقع -تعالى منه- ذلك؛ لإخباره بإثابة المطيع وتعذيب العاصي كما تقدم.[246]

[المعصية والطاعة أمارتان على العذاب والثواب]

قال أصحابنا : وليست المعصية علة العذاب، ولا الطاعة علة الثواب، وإنما هما أمارتان عليهما، وأما إنكار المعتزلة ذلك بناء على أصلهم في التقبيح العقلي فإنه يؤدي إلى الظلم ،وهو نقص محال عليه -تعالى- فمردود بلزوم النقص على قولهم؛ إذ أوجبوا على الله -تعالى- حقا لغيره، ولو وجب ذلك لكان في قيده، وهو نقص، تعالى الله عنه.[247]

واحتج ابن عبد السلام بخبر : «إن الله يخلق في النار أقواما»[248]، وكذلك لا استبعاد في إثابة من لم يطع، ففي الخبر الصحيح : «إن الله -تعالى- ينشئ في الجنة أقواما»[249].

وكذلك الحور العين، والأطفال، وغيرهم ممن يتفضل عليهم من غير إثابة على عمل سابق، وليست الربوبية مقيدة بمصالح العبودية.[250]

---

[245] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٠)

[246] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٣)

[247] ذكره الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٥٠) والزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ١٣٦)

[248] الحديث بهذا المعنى رواه البخاري في «صحيحه» (٤٥٦٩) ومسلم في «صحيحه» (٧٢٧٧) وغيرهما من الحفاظ.

[249] الحديث بهذا المعنى رواه البخاري في «صحيحه» (٤٥٦٩) ومسلم في «صحيحه» (٧٢٧٧) وغيرهما من الحفاظ.

[250] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٠)

(و) له -تعالى- أن (يؤلم الدواب والأطفالا) في الآخرة، أما في الدنيا فنحن نشاهد من لا ذنب له يبتلى من أطفال ودواب، وذلك عدل منه -تعالى-؛ لتصرفه في ملكه بما يريد، وفي ذلك حِكم، لكنه لا يقع؛ إذ لم يرد إيلام الأطفال والدواب في الآخرة في غير قصاص، والأصل عدمه.[٢٥١]

أما في القصاص فقال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». رواه مسلم.[٢٥٢]

وقال : «يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء، وحتى للذرة من الذرة». رواه أحمد بسند صحيح.[٢٥٣]

وقال : «ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا». رواه أحمد أيضا بسند حسن.[٢٥٤]

ومقتضى هذه الأخبار أنه لا يتوقف القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز، فيقتص من طفل لطفل وغيره.[٢٥٥]

فليس العقاب والإيلام المذكوران بظلم منه -تعالى- كما قال الناظم : (ووصفه) -تعالى- (بالظالم استحالا) أي امتنع عقلا وسمعا؛ لأن الظلم إنما يعرف بالنهي عنه، ولا يتصور في أفعاله -تعالى- ما ينهى عنه، إذ لا يتصور له ناه، ولأن العالم خلقه وملكه، ولا ظلم في تصرف المالك في ملكه، ولأنه وضع الشيء في غير

---

[٢٥١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٣) «الغيث الهامع» (٧٥٠)
[٢٥٢] رواه مسمل في «صحيحه» (٦٦٧٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (١٨٣) والترمذي في «سننه» (٢٤٢٠) وغيرهم من الحفاظ.
[٢٥٣] رواه أحمد في «مسنده» (٨٧٥٦)
[٢٥٤] رواه أحمد في «مسنده» (٩٠٧٢)
[٢٥٥] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٣)

موضعه وذلك مستحيل على المولى المحيط بكل شيء علما.[256] وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّـهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]

وقد حكى الإجماع على أن أطفال المسلمين بعد ذلك في الجنة وكأنه لم يعتبر قول من توقف فيه، بل صرح بعضهم بخطئه،[257] وقد قال -تعالى- : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]

ولو سلم فحمله في غير أولاد الأنبياء[258] كما صرح به المأزري.

[اختلاف العلماء في تعذيب أولاد الكفار في الآخرة]

وأما أطفال الكفار فقيل : إنهم في النار، وقيل : إنهم في البرزخ بين الجنة والنار، وقيل : إنهم يصيرون ترابا، وقيل : إنهم يمتحنون في الآخرة، وقيل : تحت المشيئة، وقيل : إنهم في الجنة.

قال الإمام النووي : وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله -تعالى- : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وإذا كان لا يعذب الغافل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب أولى، والأحاديث في ذلك كثيرة.[259]

(**يراه**) -سبحانه وتعالى- (**مؤمنون**) من الإنس، وكذا الجن، والملائكة، والنساء (**في القيامة**)، قبل دخول الجنة وبعده؛ لقوله -تعالى- : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].[260]

---

[256] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥١)

[257] الذي حكى الإجماع هنا ابن أبي زيد كما ذكره السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٢)

[258] انظر : («شرح الكوكب الساطع ٢/ ٤٨٣)

[259] انظر : «شرح الكوكب الساطع (٢/ ٤٧٨)

[260] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٤)

وللأخبار الصحيحة الموافقة لهذه الآية، والمخصصة لآية : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].[٢٦١]

ووردت أحاديث الرؤية من جمع من الصحابة، حتى بلغ مبلغ التواتر.

وورد تفسير الزيادة في آية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بأنها النظر إلى ربهم،[٢٦٢] وأن الناس متفاوتون في ذلك، فأعلاهم من ينظر إليه كل يوم مرتين بكرة وعشيا، ويحصل بأن ينكشف انكشافا تاما بقدر ما يصل إليه إدراك العبد، لا بمعنى الإحاطة، منزها عن المقابلة، والجهة، والمكان.[٢٦٣]

وأما الكفار فلا يرونه؛ لقوله -تعالى- : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] الموافق لقوله -تعالى- : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام : ١٠٣].[٢٦٤]

[اختلاف العلماء في إمكانية رؤية الله تعالى يقظة في الدنيا]

(و) اختلف (هل) يمكن أن (يرى) -سبحانه وتعالى- (الآن) أي في الدنيا يقظة؟ على قولين للأشاعرة.

فقيل : لا؛ لأن قوم موسى -عليه الصلاة والسلام- طلبوها فعوقبوا، كما قال -تعالى- : ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّـهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٣].[٢٦٥]

---

[٢٦١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٤)
[٢٦٢] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٥)
[٢٦٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٥) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٦)
[٢٦٤] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٥)
[٢٦٥] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٥) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٧) «الغيث الهامع» (٧٥٣)

وقيل : يجوز؛ لأن موسى -عليه السلام- طلبها حيث قال : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وهو لا يجهل ما يجوز ويمتنع على ربه -تعالى،[٢٦٦] وسيأتي ترجيح الناظم له.

[اختلاف العلماء في جواز رؤية الله تعالى في المنام]

(و) هل يجوز أن يرى -سبحانه وتعالى- (في المنامه)؟ فيه قولان أيضا على ما حكاه جمع[٢٦٧].

فقيل : لا يجوز؛ لأن المرئي في المنام خيال ومثال، وذلك محال على الله -تعالى-.[٢٦٨]

والثاني : يجوز، وهو الصحيح،[٢٦٩] كما قال الناظم : (قلت) زيادة على الأصل ومبينا للصحيح في المسألتين : (أرى الإمكان فيهما) أي في اليقظة وفي المنام، (أسد) أي أصح؛ لما تقدم من سؤال موسى -عليه الصلاة والسلام-.

وأما عقاب قومه بذلك فلعنادهم، وتعنتهم في طلبها، لا لامتناعها، وإذا لم يستحل في اليقظة ففي المنام من باب أولى، بل حكى القاضي عياض كما في «شرح مسلم»[٢٧٠] اتفاق العلماء على جواز رؤية الله -تعالى- في المنام وصحتها، وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الأجسام، لأن ذلك المرئي غير ذات الله -تعالى-، ولا يجوز عليه التجسيم، ولا اختلاف في الحالات.[٢٧١]

---

[٢٦٦] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٦) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٧) «الغيث الهامع» (٧٥٤)

[٢٦٧] حكى هذا الخلاف الصابوني من الحنفية والقاضي أبو يعلى الحنبلي في كتابه ((المعتمد الكبير)) كما أفاده الولي العراقي في الغيث الهامع (٧٥٤)

[٢٦٨] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٥) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٧) «الغيث الهامع» (٧٥٣)

[٢٦٩] وهو رأي الجمهور وحكى القاضي عياض الاتفاق عليه، كما أفاده السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٧)

[٢٧٠] أي «شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم».

[٢٧١] انظر : «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٢٥)

ولا استحالة لذلك في المنام؛ إذ المستحيل التمثيل في الواقع، والرؤية المنامية مبنية على ضرب من التمثيل والتخيل، فيرى فيه من ليس بجسم ولا صورة ذا جسم وصورة، وترى المعاني على صورة الأجسام، كالعلم على صورة اللبن،[٧٧٢] والكلام في الجواز.

[اختلاف العلماء في وقوع رؤية الله تعالى يقظة في الدنيا]

(**أما الوقوع**) أي وقوع رؤية الله -تعالى عز وجل- (**يقظة**) بسكون القاف للوزن، (**فالجل**) أي أكثر العلماء (**رد**) ذلك، وقال بعدمه؛ لقوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، وقوله تعالى لموسى -عليه الصلاة والسلام- : ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف : ١٤٣].[٧٧٣]

وفي «صحيح مسلم»[٧٧٤] : «واعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت».

ولأن القوى البشرية لا تحتمل رؤيته -تعالى-.

قال جمع[٧٧٥] منهم ابن الصلاح : إنه لا يصدق مدعي رؤية الله -تعالى- في الدنيا يقظة، فإن شيئا منع منه موسى كليم الله -تعالى- واختلف في حصوله لنبينا -صلى الله تعالى عليه وسلم- كيف يسمح لمن لا يصل إلى مقامهما؟.[٧٧٦]

هذا مع قوله -عز وجل- : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] فإن الجمهور حملوه على الدنيا، جمعا بينه وبين أدلة الرؤية.[٧٧٧]

---

[٧٧٢] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٦٦)

[٧٧٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٦) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٨)

[٧٧٤] رواه مسلم في صحيحه (٧٤٦٤)

[٧٧٥] منهم أبو شامة كما أفاده السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٧)

[٧٧٦] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٧)

[٧٧٧] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٤)

[مذهب الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج]

(نعم) الرؤية في اليقظة (لـ) نبينا (طه) -صلى الله تعالى عليه وسلم- (وقعت) ليلة الإسراء، (على) القول (الجلي)، وهو قول ابن عباس وطائفة.[٢٧٨]

روى الحاكم[٢٧٩] وغيره[٢٨٠] من طرق عنه[٢٨١] أنه قال : نظر محمد- صلى الله تعالى عليه وسلم- إلى ربه، قال عكرمة فقلت له : نظر إلى ربه؟ قال : نعم، جعل الكلام لموسى، والخلة لإبراهيم، والنظر لمحمد -صلى الله تعالى عليه وسلم-.[٢٨٢]

وروى أحمد[٢٨٣] والحاكم أيضا : قال رسول الله -صلى الله تعالى عليه- وسلم : «رأيت ربي عز وجل».

قال في «الشفا» : وحجته أي ابن عباس قوله -تعالى- : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١١- ١٣].[٢٨٤]

وأنكرت ذلك عائشة وغيرها ففي «الصحيح»[٢٨٥] عنها قالت : «من حدثك أن محمدا رآى ربه فقد كذب».

وعن أبي ذر قال : سألت رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : هل رأيت ربك؟ قال : «رأيت نورا».[٢٨٦]

---

[٢٧٨] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٨)
[٢٧٩] رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٦) بلفظ «أتعجبون أن يكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم»
[٢٨٠] رواه أيضا ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٤٢) وابن حزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٧٩) والضياء في «الأحاديث المختارة» (٢٥٢) وغيرهم من الحفاظ.
[٢٨١] أي عن ابن عباس رضي الله عنهما.
[٢٨٢] هذا لفظ الطبراني في «الأوسط» (٩٣٩٦)
[٢٨٣] رواه أحمد في «مسنده» (٢٦٣٤)
[٢٨٤] انظر : «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (١/ ٣٧٧)
[٢٨٥] رواه البخاري في «صحيحه» (٤٥٧٤) (٦٩٤٥) ومسلم في «صحيحه» (٣٥٨)
[٢٨٦] رواه مسلم في «صحيحه» (٣٦٣)

وفي رواية : «نور أنى أراه».[287]

قال شيخ الإسلام[288] : ويجاب عن هذه الرواية بأنها ليست صريحة في عدم الرؤية، وبتقدير صراحتها فأبو ذر فيها ناف، وغيره مثبت وهو مقدم على النافي. مع أن دليل الرؤية يشعر بعلو شأن الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم-، وهو مقدم على ما لم يشعر به.[289]

(**ووقعت**) أي رؤية الله -عز وجل- (**في النوم**) (**لـ**) لإمام أحمد (**ابن حنبل**) -رضي الله تعالى عنه-.[290]

روى غير واحد[291] عنه أنه قال : رأيت رب العزة في المنام، فقلت يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون؟. قال : كلامي، فقلت : يا رب بفهم [و][292] بغير فهم؟ قال : بفهم وبغير فهم.

وكذا وقعت لأبي يزيد[293]، فإنه قال : رأيت ربي في المنام فقلت : كيف الطريق إليك؟ فقال : اترك نفسك وتعال.[294]

---

[287] رواه مسلم في «صحيحه» (٣٦٢) وغيره.

[288] هو شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

[289] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٦٧) وذكره أيضا البناني في «حاشيته» (٢/ ٤١١)

[290] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٤)

[291] منهم أبو يعلى الحنبلي كما أفاده الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٥٤) والزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ١٤٩)

[292] كذا في الأصل، لعل الصحيح (أو) وهو الثابت في «تشنيف المسامع» (٤/ ١٤٩)

[293] هو طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد (١٨٨ - ٢٦١ هـ) : الزاهد المشهور، له أخبار كثيرة. كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر. نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها، ووفاته فيها. قال المناوي: وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة. وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود، وأنه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء Nirvana ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية. انظر «الأعلام» (٣/ ٢٣٥)

[294] انظر : «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٦٢) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٧٥) «صفة الصفوة» (٢/ ٣٠٦) «بريقة محمودية» (١/ ١٦٦) «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٤/ ٤٨٥)

ورأى أحمد بن خضرويه[295] ربه في المنام فقال : يا أحمد، كل الناس يطلبون مني إلا إبا يزيد فإنه يطلبني.[296]

وقد ذكر المصنفون في تعبير الرؤيا[297] رؤية الله -تعالى- وتكلموا عليها.[298]

قال ابن سيرين[299] : إذا رأى الله -عز وجل- ورآى أنه يكلمه فإنه يدخل الجنة ،وينجو من هم كان فيه إن شاء الله تعالى. انتهى.[300]

[الكلام على السعيد والشقي]

(**قضى**) -سبحانه وتعالى- (**سعادة سعيد أزلا**)، فالسعيد من كتبه الله -تعالى- في الأزل -لا في غيره- سعيدا.

(**وعكسه الشقي**)، يعني وقضى شقاوة شقي أزلا، فالشقي من كتبه الله -تعالى- في الأزل -لا في غيره- شقيا.[301]

---

[295] هو أحمد بن خضرويه أبو حامد البلخي الزاهد الكبير، الرباني الشهير، أبو حامد البلخي، من أصحاب حاتم الأصم. قال السلمي: هو من جلة مشايخ خراسان. ومن كلامه: القلوب جوالة، فإما أن تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحش. قيل: إنه توفي سنة أربعين ومائتين. انظر «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٨٨)

[296] نظر : «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٦٣) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٧٥) «صفوة الصفوة» (٢/ ٣٠٧)

[297] قلت : من الكتب التي ألفت في تعبير المنام، كتاب «تفسير الأحلام» المنسوب إلى ابن سيرين، و «تعطير الأنام في تعبير المنام» لعبد الغني النابلسي، و«الإشارات» لان شاهين الظاهري، و«تعبير الرؤية» لابن قتيبة، و«المعلم على حروف المعجم» لابن غنام المقدسي، و«البدر المنير في علم التعبير» و «شرحه» للشهاب العابر، و«الألفية والوردية» لابن الوردي، و«القادري في التعبير» لنصر بن يعقوب الدينوري، و«تنبيه الأفهام بتأويل الأحلام». وغيرها.

[298] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٥)

[299] هو الإمام محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر (٣٣ - ١١٠ هـ) : إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعي. من أشراف الكتاب. مولده ووفاته في البصرة. نشأ بزازا، في أذنه صمم. وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك، بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. ينسب له كتاب (تعبير الرؤيا) وهو غير (منتخب الكلام في تفسير الأحلام). انظر «الأعلام» (٦/ ١٥٤)

[300] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٥)

[301] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٧) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٩) «الغيث الهامع» (٧٥٦)

(فلن) يتغير المكتوبان أزلا، ولن (يبدلا)، بخلاف المكتوب في غيره كاللوح المحفوظ، وصحف الملائكة، قال -تعالى- : ﴿يَمْحُو اللَّـهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩] أي أصله الذي لا يغير منه شيء.[٣٠٢]

روى أبو الشيخ[٣٠٣] بسند صحيح[٣٠٤] عن ابن عباس، أنه قال في تفسير الآية ليلة النصف من شعبان : يدبر أمر السنة، [فيمحو][٣٠٥] ما يشاء ويثبت غير الشقوة والسعادة، والموت والحياة.[٣٠٦]

وفي «الصحيح»[٣٠٧] : «إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا، وهم من أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلا، وهم من أصلاب آبائهم».[٣٠٨]

وروى الترمذي[٣٠٩] حديث : «فرغ ربك من العباد، فريق في الجنة، وفريق في السعير».[٣١٠]

إلى غير ذلك من الأحاديث المروية في هذا المعنى.

---

[٣٠٢] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٧) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٨٩) «الغيث الهامع» (٧٥٦)

[٣٠٣] هو الإمام عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني، أبو محمد (٢٧٤ - ٣٦٩ هـ) : من حفاظ الحديث، العلماء برجاله. يقال له أبو الشيخ. ونسبته الى جده حبان. له تصانيف، منها "طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها" و "أخلاق النبي وآدابه" و " ذكر الأقران ورواياتهم عن بعضهم بعضا" و " الأمثال" و " العظمة" و " كتاب السنة ". انظر «الأعلام» (٤/ ١٢٠)

[٣٠٤] قال الإمام السيوطي عن هذا الحديث : "إسناده صحيح لا غبار ولا مطعن فيه". انظر «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٩٠)

[٣٠٥] في الأصل (فيمحوا).

[٣٠٦] انظر :« تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٩) «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٩) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٩٠)

[٣٠٧] رواه مسلم في «صحيحه» (٦٨٦٢)

[٣٠٨] رواه أيضا ابن ماجه في «سننه» (٨٢) وأبو داود في «سننه» (٤٧١٥) وأحمد في «مسنده» (٢٤١٣٢) وغيرهم من الحفاظ.

[٣٠٩] روى بهذا المعنى الترمذي في «سننه» (٢١٤١)

[٣١٠] ورواه أحمد في «مسنده» (٦٥٦٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٤٨)

(**و**) إذا تقرر ذلك فـ (**من جرى في علمه**) -سبحانه وتعالى- (**أن يلقا**)ه -من اللُّقي- (**بالموت مؤمنا فـ**) هو سعيد (**ليس يشقى**)، وإن تقدم منه كفر، وقد غفر.

ومن جرى في علمه أن يلقاه بالموت كافرا فهو شقي ليس يسعد وإن تقدم منه إيمان وقد حبط.[٣١١]

قال السبكي : من آمن ثم ختم له بالكفر لم ينفعه ما مضى بالإجماع، لكن هل نقول : الإيمان الذي تقدم منه لم يكن إيمانا؟ أو أنه حبط بعد أن كان إيمانا؟ والأول قول الأشعري، والأقرب الثاني؛ لقوله -تعالى- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٣٧].[٣١٢]

لكن قد يقال : قد ينزل لعدم النفع به منزلة العدم فيصح نفيه مجازا.[٣١٣]

[السعادة هي الموت على الإيمان والشقاوة هي الموت على الكفر]

وبالجملة فالسعادة الموت على الإيمان، والشقاوة الموت على الكفر، والعياذ بالله -تعالى-.

ويترتب على الأول الخلود في الجنة، وعلى الثاني الخلود في النار، قال -تعالى- : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [هود: ١٠٨]. وقال : ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها﴾ [سورة هود : ١٠٦-١٠٧].[٣١٤]

وبذلك يعلم أنه لا تكرار في كلامه؛ لأن الذي تقدم ليس فيه بيان المراد بالسعادة، وإنما فيه بيان المعتد به من السعادة، وأنه الذي في الأزل، بخلاف ما هنا

---

[٣١١] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٩١) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٨)
[٣١٢] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٧)
[٣١٣] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٧)
[٣١٤] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٨)

ففيه بيان أن المراد بالسعادة الموت على الإيمان، ومنه يعلم وجه التفريع الذي قررت به، فليتأمل.

قال أبو الحسن الأشعري[٣١٥] : (**لم يزل**) السيد أبو بكر (**الصديق**) -رضي الله تعالى عنه- (**منه**) -تعالى- (**بـ**) حالة (**الرضا**) لعلمه -تعالى- بأنه سيؤمن، ويصير من خلاصة الأبرار، وهذا معنى قوله من زيادته : (**أعده لكل أمر مرتضى**) أي وإن لم يتصف بالإيمان قبل تصديقه بالنبي -صلى الله تعالى عليه وسلم-.[٣١٦]

وقال جمع[٣١٧] : لأنه لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن.

زاد السبكي : لعل حاله قبل البعث كحال زيد ابن عمرو بن نفيل وأقرانه.[٣١٨]

وعلى هذا فلا يتعدى كلام الأشعري إلى كل من ختم له بالإيمان.[٣١٩]

واستبعده الولي العراقي، واستظهر اطراد ذلك في حق كل من مات مؤمنا.[٣٢٠]

وأجاب بعضهم : بأنه على تقدير أن غيره شاركه في عدم ثبوت الكفر إلا أن أبا بكر -رضي الله تعالى عنه- كان في ذلك أحسن حالا وسيرة من غيره، فليتأمل.

[الرضا والمحبة غير المشيئة والإرادة عند بعض الأصوليين]

(**رضا**) و (**محبة**) من الله -تعالى- (**سوى إرادة**) و (**مشيئة**) منه -تعالى-، فإن معنى الأولين المترادفين أخص من معنى الثانيين المترادفين؛ إذ الرضا عدم الاعتراض، والإرادة أعم منه، والأخص غير الأعم.[٣٢١]

---

[٣١٥] سبقت ترجمته.

[٣١٦] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٩١)

[٣١٧] هذا كلام الإمام المحلي في البدر الطالع (٢/ ٤٢٨) ونقله الولي عن السبكي في «الغيث الهامع» (٧٥٧)

[٣١٨] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٥٦)

[٣١٩] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٧)

[٣٢٠] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٧)

[٣٢١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٨)

(**قلت**) متعقبا على صاحب «الأصل» : (**كذا أراده**) وجزم به مستدلا بقوله -تعالى- : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] ﴿وَاللَّـهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ، مع وقوع ذلك من بعضهم بمشيئته وإرادته؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].[٣٢٢]

[مذهب الجمهور أن الرضا والمحبة والمشيئة والإرادة بمعنى واحد]

(**و**) لكن (**مذهب الجمهور**)، أي جمهور أهل السنة منهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[٣٢٣]، ورجحه الناظم إذ قال : (**وهو الأسنى**) أي الأرجح (**أن جميع هذه**) أي الرضا والمحبة والإرادة والمشيئة (**بمعنى**) واحد.[٣٢٤]

وأجابوا عن قوله -تعالى- : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] بأنه لا يرضاه دينا وشرعا، بل يعاقب عليه، وبأن المراد بالعباد من وفق للإيمان، ولهذا أشرفهم بإضافتهم إليه في قوله : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وقوله -تعالى- : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّـهِ﴾ [الإنسان: ٦].[٣٢٥]

أخرج ابن جرير[٣٢٦] بسند صحيح عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- في قوله -تعالى- : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] قال : يعني لعباده الذين أراد

---

[٣٢٢] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٨)

[٣٢٣] سبقت ترجمته.

[٣٢٤] انظر : «الغيث الهامع» (٧٥٨) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٤٩٢)

[٣٢٥] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ١٥٨)

[٣٢٦] هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) : المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك) و (جامع البيان في تفسير القرآن) و (اختلاف الفقهاء) و (المسترشد) و (جزء في الاعتقاد) و (القراآت) وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحا. انظر «الأعلام» (٦/ ٦٩)

أن يطهر قلوبهم بقوله : لا إله إلا الله فأراد عباده المخلصين الذين قال فيهم : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].[٣٢٧]

وحكى النووي[٣٢٨] القولين ولم يرجح واحد منهما.[٣٢٩]

[أنواع الإرادة]

وقال بعضهم : الإرادة على قسمين :

١) إرادة أمر وتشريع.

٢) وإرادة قضاء وتقدير.

فالأولى تتعلق بالطاعة والمعصية، سواء وقعت أم لا، والثانية شاملة لجميع الكائنات، محيطة بجميع الحادثات، طاعة ومعصية.

وإلى الأولى الإشارة بقوله -تعالى- : ﴿يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وإلى الثانية الإشارة بقوله -تعالى- : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّـهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] انتهى.[٣٣٠]

[الله هو الرزاق]

والله -تعالى- (**رازقنا**) لا رازق غيره، كما قال -تعالى- : ﴿إِنَّ اللَّـهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨] أي لا غيره، وقرئ : ﴿إني أنا الرزاق﴾ أي لا غيري.[٣٣١]

---

[٣٢٧] انظر : «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٦٠) «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٢)

[٣٢٨] ذكر ذلك النووي في كتابه «الأصول والضوابط» كما أشار إليه السيوطي في «شرح الكوكب» (٢/ ٢٩٢)

[٣٢٩] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٢)

[٣٣٠] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٢)

[٣٣١] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٩)

ولا عبرة بقول المعتزلة : «إن من حصل له الرزق بتعب فهو الرزاق لنفسه، أو بغير تعب فالله هو الرازق له».[332]

(**والرزق**) -بكسر الراء- عندنا أهل السنة بمعنى المرزوق هو (**ما ينتفع به**) في التغذي وغيره.[333]

وعبر جمع بقولهم : الرزق ما يسوقه الله -تعالى- إلى الحيوان فيأكله، فيتناول الحلال والحرام، كما قال : (**ولو كان حراما يقع**) بغصب أو غيره.

[بطلان قول المعتزلة بأن الحرام لا يسمى رزقا]

خلافا لقول المعتزلة : «أن الحرام لا يسمى رزقا؛ لاستناده إليه -تعالى- في الجملة، والمستند إليه لانتفاع عباده يقبح كونه حراما يعاقبون عليه».[334]

قلنا : لا قبح بالنسبة إليه -تعالى- يفعل ما يشاء، وأما عقابهم على الحرام فلسوء مباشرتهم أسبابه. ويلزم المعتزلة أن المتغذي بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله أصلا، وهو مخالف لقوله -تعالى- : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّـهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ، لأنه -تعالى- لا يترك ما أخبر بأنه عليه.[335]

[دليل أن الرزق يطلق على الحرام]

ويدل على أن الرزق يطلق على الحرام حديث : «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم»[336].

---

[332] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٩)
[333] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٩)
[334] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٩)
[335] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤٢٩)
[336] الحديث رواه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠١٠٠) والقضاعي في «مسنده» (١١٥١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٦) والبغوي في «شرح السنة» (٤١١٢)

قال الولي العراقي: «ومَوّه بعض المعتزلة في بعض المجالس بقوله لنصرة مذهبه: الزرق مأمور بالاتفاق منه، ولا شيء من المأمور به بحرام ينتج أن الرزق ليس بحرام، [و][337] دليل الأولى قوله -تعالى-: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم﴾ [المنافقون: ١٠]، ودليل الثانية الإجماع، وكشف هذا التمويه أن الأولى فاسدة؛ لعدم تسويرها بكل، فلا يصح الإنتاج، ولو قيل: كل رزق مأمور بالانفاق منه لم يصح؛ لأن الحرام ليس مأمورا بالانفاق منه، والله أعلم».[338]

[الكلام على الهداية والضلال]

(**بيده**) أي بقدرته -سبحانه وتعالى- لا بيد غيره (**الهدي مع الإضلال**)، وقد فسرهما بقوله: (**أي خلق الهدى كما الضلال**) أي كخلقه الضلال وهو الكفر، لما ثبت أنه خالق لجميع أفعال العباد، قال -تعالى-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال -تعالى-: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّـهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] وقال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣] وقال -تعالى-: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّـهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].[339]

قال الحافظ البيهقي: «وهذه الآية كما هي حجة في الهداية والإضلال، فهي حجة في خلق الهداية والضلال؛ لأنه -تعالى- قال: ﴿يشرح﴾ و﴿يجعل﴾ وذلك يوجب الفعل والخلق».[340]

---

[337] ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل، وأثبته هنا لأنه موجود في «الغيث الهامع» (٧٥٩) للولي العراقي.

[338] انظر: «الغيث الهامع» (٧٥٩)

[339] انظر: «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٠) «الغيث الهامع» (٧٦٠)

[340] انظر: «الغيث الهامع» (٧٦٠) «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥)

وزعمت المعتزلة أن الهداية والإضلال بيد العبد يهدي نفسه ويضلها، وهذا منهم بناء على أصلهم من أن العبد يخلق أفعال نفسه.[٣٤١]

[الاهتداء هو الإيمان]

(**والاهتداء**) هو (**الإيمان**)، فكل ما صار به المرء مؤمنا فهو الهداية، كما قال -تعالى- : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، ومنه قوله -تعالى- : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].[٣٤٢]

فقال أصحابنا : الهداية حقيقة في الأول وهو خلق الهدى، مجاز في الثاني وهو بيان الطريق، وعكسه المعتزلة، ويرد عليهم قوله -تعالى- : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي خلق الإيمان في قلوبهم، فإن دعاءهم وبيان طريق الهدى لهم كان واجبا عليه -صلى الله تعالى عليه وسلم- بلا شك، وقال -تعالى- : ﴿وَاللَّـهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فعمم الدعوة وخص بالهداية من شاء.[٣٤٣]

[معنى التوفيق]

(**والتوفيق أن يخلق**) -سبحانه وتعالى- (**للطاعة**)، سواء كانت فعل مطلوب أو ترك معصية، (**قدرة البدن**).[٣٤٤]

وحذف قول «الأصل» : «والداعية» لأنه غير محتاج إليه للعلم به من خلق القدرة المقارنة للفعل، ثم التوفيق عزيز، ولعزته لم يذكر في القرآن إلا مرة في هود، وهو قوله -تعالى- : ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّـهِ﴾ [هود : ٨٨].[٣٤٥]

[٣٤١] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٠)
[٣٤٢] انظر : «الغيث الهامع» (٧٦٠)
[٣٤٣] انظر : «الغيث الهامع» (٧٦٠)
[٣٤٤] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٠)
[٣٤٥] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٦٩)

وفي الحديث : «لا يتوفق عبد حتى يوفقه الله -تعالى- »[346]. و «قليل من التوفيق خير من كثير من العلم أي الخالي من التوفيق»[347].

وليس منه كما قاله ابن حجر[348] ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢] ولا ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّـهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥] لأنهما من الوفاق الذي هو ضد الخلاف.[349]

هذا ما تقرر في تفسير التوفيق هو قول الأشعري والجمهور.[350]

وخالفهم إمام الحرمين فيه كما بينه الناظم بقوله : (وخلق) نفس (طاعة) لا خلق القدرة عليها قاله أبو المعالي عبد الملك (فتى) أي بن أبي أحمد (الجويني)؛ لأن القدرة الحادثة لا تأثير لها، والطاعة هيئة موافقة لأمر الله -تعالى-.[351]

---

[346] أخرجه ابن حجر في «تحفة المحتاج» (١/ ١٩) والرملي في «غاية البيان» (١/ ٤) وفي «نهاية المحتاج» ، (١/ ٣١) وابن سيده في «المحكم والمحيط الأعظم» (٦/ ٥٨٤) وفي «المخصص» (١/ ٢٥٧) والزبيدي في «تاج العروس» (٢٦/ ٤٨٠) وابن منظور في «لسان العرب» (٦/ ٤٨٨٤)

[347] أخرجه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ٢٢٧) والغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣١) و ابن حجر في «تحفة المحتاج» (١/ ١٩) والرملي في «نهاية المحتاج» (١/ ٣١) والشربيني في «مغني المحتاج» (١/ ٩٢)

[348] هو الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ): مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية (بمصر) تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة. له تصانيف كثيرة، منها (مبلغ الأرب في فضائل العرب) و (الجوهر المنظم) و (الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة) و (تحفة المحتاج لشرح المنهاج) و (الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان) و (الفتاوي الهيتمية) و (شرح مشكاة المصابيح للتبريزي) و (الإيعاب في شرح العباب) و (الإمداد في شرح الإرشاد للمقري) و (شرح الأربعين النووية) و (نصيحة الملوك) و (تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال) و (أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل) و (خلاصة الأئمة الأربعة) و (المنح المكية) و (المنهج القويم في مسائل التعليم) و (الدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة) و (كف الرعاع عن استماع آلات السماع) و (الزواجر عن اقتراف الكبائر) و (تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات) و (المنح المكية). انظر «الأعلام» (١/ ٢٣٤)

[349] انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ١٩)

[350] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٠) «الغيث الهامع» (٧٦١)

قال الآمدي: والأول أوفق للوضع اللغوي؛ إذ الموافقة إنما هي بالطاعة، وبخلق القدرة الحادثة يكون التهيؤ للموافقة، ضرورة حصول الموافقة عنده، وعدم حصولها عند عدمه، وإن لم تكن القدرة الحادثة مؤثرة في الإيجاد، وإنما خالف الإمام لعدم تأثير القدرة الحادثة في الطاعة كما تقرر، لكنه أبعد عن الوضع اللغوي من حيث إن الطاعة بها الموافقة لا التهيؤ للموافقة، والبحث لفظي. انتهى.[٣٥٢]

[ضد التوفيق الخذلان]

(**وضده**) أي التوفيق (**الخذلان**) -بكسر الخاء- فهو (**بالرأيين**) أي خلق قدرة المعصية على قول الجمهور، أو خلق المعصية نفسها على قول ابن الجويني.[٣٥٣]

[معنى اللطف]

(**واللطف**) -بضم اللام وسكون الطاء- قال النووي: وفتحها لغة[٣٥٤]، (**ما للعبد عنده يقع صلاحه أخرى**) أي في آخرته، (**بفعل ما يقع**) من الإيمان والطاعة، دون فساده من الكفر والمعصية.[٣٥٥]

وذكر ابن حجر أنه يساوي التوفيق ماصدقا لا مفهوما، قال: «وقد يطلق التوفيق على أخص من ذلك. ومن ثم، قال المتكلمون: اللطف ما يحمل المكلف على الطاعة ثم إن حمل على فعل المطلوب سمي توفيقا، أو ترك القبيح سمي عصمة، وصرح أهل السنة في بحث خلق الأفعال بأن لله -تعالى- لطفا لو فعله بالكفار لآمنوا اختيارا، غير أنه لم يفعله، وهو في فعله متفضل، وفي تركه عادل».[٣٥٦]

---

[٣٥١] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٦٩) «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٠) «الغيث الهامع» (٧٦١) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٥)

[٣٥٢] انظر: «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥) «الغيث الهامع» (٧٦١) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٥)

[٣٥٣] انظر: «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٥) «الغيث الهامع» (٧٦١) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٦)

[٣٥٤] انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ١٠٦)

[٣٥٥] انظر: «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣١) «الغيث الهامع» (٧٦٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٦)

[٣٥٦] انظر: «تحفة المحتاج» (١/ ١٩)

ونقل جمع عن المعتزلة أن اللطف لا يختص بخلق القدرة على فعل الصلاح والطاعة، بل كل ما علم الله -تعالى- أن صلاح العبد فيه فهو لطف به، قال الآمدي: والخلف لفظي.[٣٥٧]

[الكلام على الختم والطبع والأكنة]

(**والختم**) في نحو قوله -تعالى- : ﴿خَتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] (**والطبع**) في نحو قوله -تعالى- : ﴿طَبَعَ اللَّـهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] و (**الأكنة**) في قوله -تعالى- : ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام: ٢٥] (**اعدد**) كل ذلك أنها عبارات عن معنى واحد، وهو (**خلق الضلالة بقلب**) العبد (**المبعد**) عن الله -تعالى- كما تقدم في الإضلال، وقد مر خلاف المعتزلة فيه.[٣٥٨]

روى أصحاب السنن عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإذا تاب ونزع واستعتب صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلق قلبه ذلك الران الذي قال الله -تعالى- : ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».[٣٥٩] صححه الترمذي[٣٦٠] والحاكم[٣٦١].

---

[٣٥٧] انظر: «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٦) «الغيث الهامع» (٧٦٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٦)

[٣٥٨] انظر: «شرح الكوكب» (٢/ ٤٩٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣١) «الغيث الهامع» (٧٦٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٦)

[٣٥٩] الحديث رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٤٤) والترمذي في «سننه» (٣٣٣٤) وأبو داود في «الزهد» (٢٧١) وأحمد في «مسنده» (٧٩٥٢) وغيرهم من الحفاظ.

[٣٦٠] قال الترمذي في «سننه» (٣٣٣٤): هذا حديث حسن صحيح.

[٣٦١] قال الحاكم في «المستدرك» (٦): هذا حديث صحيح لم يخرج في «الصحيحين».

قال ابن جرير : «أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص».[٣٦٢]

وروى البزار[٣٦٣] حديث : «الطابع معلق بقائمة العرش فإذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله بعث الله الطابع فيطبق على قلبه، فلا يعقل بعد ذلك شيئا»[٣٦٤].

وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله -تعالى- : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة : ٨٨] قال : هي المطبوع عليها[٣٦٥].

وعنه أيضا قال : غلف أي أكنة.[٣٦٦]

وروى ابن أبي حاتم عن أبي مالك[٣٦٧] في قوله -تعالى- : ﴿خَتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] قال : طبع عليها.[٣٦٨]

[الماهيات مجعولة]

(**والجعل ماهيات**) أي حقائق كل (**ممكن**) بسيطة كانت أو مركبة (**ضبط**)، فكل ماهية بجعل الجاعل.[٣٦٩]

---

[٣٦٢] انظر : «تفسير الطبري» (١/ ٢٦١)

[٣٦٣] هو الإمام أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار (٢٩٢ هـ) : الحافظ من العلماء بالحديث. من أهل البصرة. حدث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام، وتوفي في الرملة. له مسندان أحدهما كبير سماه (البحر الزاخر) والثاني صغير. انظر «الأعلام» (١/ ١٨٩)

[٣٦٤] رواه البزار في «مسنده» (٥٩٨١)

[٣٦٥] انظر : «تفسير الطبري» (١/ ٣٢٦)

[٣٦٦] انظر : «تفسير الطبري» (١/ ٣٢٦)

[٣٦٧] هو أبو مالك الغفاري. تابعي معروف، اسمه غزوان، أرسل حديثا فذكره العسكري في الصحابة. قال ابن أبي حاتم : روى عن عمار بن ياسر وابن عباس وابن ابزى روى عنه سلمة بن كهيل والسدى وحصين بن عبد الرحمن. انظر «الإصابة» (٧/ ٣٣١) «الجرح والتعديل» (٧/ ٥٥)

[٣٦٨] انظر : «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٤١)

[٣٦٩] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣١) «الغيث الهامع» (٧٦٣) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٨)

والمراد بالماهية هنا: ما به الشيء هو هو كليا أو جزئيا، لا الماهية الكلية.[٣٧٠]

وزاد الناظم قيد الإمكان؛ لأنه محل النزاع في أن الماهيات لها تقرر قبل الوجود أولا المبني عليه أن الماهيات مجعولة أولا، أما الماهيات الممتنعة فليست متقررة اتفاقا.

وقيل: لا تكون الماهية مطلقا بجعل الجاعل، بل كل ماهية متقررة بذاتها، بمعنى أن تأثير المؤثر إنما يكون في وجود الأمر لا في ماهيته، وهذا مذهب جمهور المعتزلة والفلاسفة.[٣٧١]

قال الإمام[٣٧٢]: وهو باطل؛ لأن الوجود لا ماهية له، فلو امتنع أن يكون للقادر تأثير في الماهية لامتنع أن يكون له تأثير في الوجود.[٣٧٣]

و (**ثالثها**) أي الأقوال: التفصيل وهو (**مركباتها**)، أي أن الماهيات المركبة (**فقط**) مجعولة بتركيبها، بخلاف البسيطة كالجوهر غير مجعولة، فنظر إلى نفي حقيقته لأن الجوهر جوهر وجد الغير أم لا؟ وقال: المركبة كالسواد من اللونية مما يعينه البصر مجعولة؛ لأنه لا يكون سوادا بالاعتبار الأعم لذاته، بل لمقدماته، فإذا قطع النظر عن مقدماته لا يكون السواد والجزء غير الكل. انتهى.[٣٧٤]

[وجوب اعتقاد إرسال الرسل]

ومما يجب اعتقاده بعثة الرسل كما بينه بقوله: (**أرسل**) الرب (**جل**) وعلا (**رسله**) -بإسكان السين تخفيفا- جمع رسول، وهو: إنسان بعثه الله -تعالى- (**للخلق**) ليبلغهم ما أوحى إليه من الأحكام الشرعية، مؤيدين منه (**بالمعجزات**

---

[٣٧٠] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٧٠)

[٣٧١] انظر: «الغيث الهامع» (٧٦٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٧٠)

[٣٧٢] أي الإمام فخر الدين الرازي كما أشار إليه الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٦٤)

[٣٧٣] انظر: «الغيث الهامع» (٧٦٤)

[٣٧٤] انظر: «الغيث الهامع» (٧٦٤)

الباهرات) أي الغالبات لمن تحدى بهن؛ لأن البهر لغة : الغلبة أو الإتيان بما يتعجب منه، من البهر بمعنى العجب، والبالغا في الظهور الغاية، من قولهم : «ابتهر فلان في كذا» إذا بالغ فيه ولم يدع جهلا.

وبالجملة، فالمعجزات دالة على (الصدق) أي صدقهم؛ لإقامة الحجة على خلقه، كالناقة لصالح، والعصى واليد لموسى، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى، والقرآن وغيره لنبينا -صلى الله تعالى عليه وسلم.-

قال ابن حجر : وصح خبر : «إن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا»، وخبر : «إن عدد الرسل ثلثمائة وخمسة عشر».

وأما الحديث المشتمل على عدهما ففي سند له ضعيف، وفي آخر مختلط لكنه انجبر بتعدده فصار حسنا لغيره، وهو حجة، ومما يقويه تكرر رواية أحمد له في «مسنده»[٣٧٥] وقد قرروا أن ما فيه من الضعيف في مرتبة الحسن، انتهى.[٣٧٦]

[خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم]

(وخص) -سبحانه وتعالى- من بين الرسل نبينا (طه) -صلى الله تعالى عليه وسلم- بخصائص كثيرة لا تكاد تنحصر، ذكر الأئمة غالبها في المؤلفات المختصة بها، وقد أشار الناظم كـ «أصله» إلى بعض منها وهو (أنه) -صلى الله تعالى عليه وسلم- (لهم) أي للرسل والنبيين (ختم).

قال -تعالى- : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ اللَّـهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي «الصحيحين» حديث : «لا نبي بعدي».[٣٧٧]

---

[٣٧٥] انظر : «مسند أحمد» (٢٢٢٨٨)

[٣٧٦] انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ٢٦)

[٣٧٧] رواه البخاري في «صحيحه» (٣٢٦٨) ومسلم في «صحيحه» (٤٨٠١)

وفي حديث الإسراء عند البزار: «وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا»[378].

[نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقلين]

(**وأن بعثه**) -صلى الله تعالى عليه وسلم- (**جميع الخلق**) الثقلين الإنس والجن (**عم**) إجماعا[379] معلوما من الدين بالضرورة، فيكفر منكره كما صرح به ابن حجر.[380]

قال -تعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وفي «الصحيحين»: «بعثت إلى الأحمر والأسود»[381] إلى غير ذلك.

[اختلاف العلماء في إرسال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الملائكة]

واختلف في بعثه -صلى الله تعالى عليه وسلم- إلى الملائكة، فقال جمع من المحققين، كالشيخ الإمام[382]: إنه مبعوث إليهم، وهو ظاهر «الأصل».[383]

وقال آخرون: لا، ورجحه الناظم حيث قال: (**قلت**) زيادة على «الأصل»: (**انتفا البعث**) أي بعثه -صلى الله تعالى عليه وسلم- (**إلى الملائك**) كلهم أو بعضهم

---

[378] رواه البزار في «مسنده» (٩٥١٨)

[379] نقل هذا الإجماع الإمام الرازي كما أفاده الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٦٦)

[380] انظر: «تحفة المحتاج» (١/ ٢٥)

[381] هذا الحديث بهذا اللفظ ليس في «الصحيحين»، والموجود في «صحيح مسلم» (١٠٩٩) بلفظ: «بعثت إلى كل أحمر وأسود»، وإنما هو رواه أحمد في «مسنده» (١٤٢٦٤) (١٩٧٣٥) (٢١٢٩٩) (٢١٣١٤) والبزار في «مسنده» (٤٩٠٢) وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٦٢) وغيرهم من الحفاظ، ولفظ البخاري في «صحيحه» (٤٢٧): «بعثت إلى الناس كافة».

[382] هو الإمام تقي الدين السبكي، وقد سبقت ترجمته.

[383] انظر: «شرح الكوكب» (٢/ ٥٠١) «الغيث الهامع» (٧٦٣) «تشنيف المسامع» (٤/ ١٦٨)

(أقوى) من القول بأنه مبعوث إليهم، فقد فسر جماعة : ﴿العالمين﴾ في الآية بالإنس والجن فقط، كذا من في : ﴿ومن بلغ﴾.

(بل الإجماع في هذا) أي انتفاء البعث إلى الملائكة (حكي)، أي حكاه الإمام فخر الدين والبرهان النسفي[384] في «تفسيرهما».[385] ولذا مال إليه المحقق المحلى[386] واعتمده الرملي[387].

لكن رد ذلك الشيخ بأن الاعتماد على «تفسيرهما» في حكاية إجماع انفردا بحكايته لا ينهض حجة عند أئمة النقل؛ لأن مدارك نقل الإجماع إنما تتلقى من كلام أصحاب المذاهب المتبوعة، ومن يلحق بهم في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والإتقان والشهرة عند علماء النقل، ولذا لم يعول عليه ابن حجر، بل اعتمد القول الأول.[388]

قال[389] : وصريح آية ﴿ليكون للعالمين نذيرا﴾ [الفرقان :١] إذ العالم ما سوى الله، وخبر «مسلم» : «وأرسلت إلى الخلق كافة» يؤيد ذلك.[390]

---

[384] هو الإمام محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل برهان الدين النسفي (٦٠٠ – ٦٨٧ هـ) : العالم بالتفسير والأصول والكلام، من الأحناف. سكن بغداد وتوفي بها. من كتبه (الواضح) في تلخيص تفسير القرآن للفخر الرازي، و (المقدمة النسفية) و (الفصول في علم الجدل) و (منشأ النظر في علم الخلاف) و (القوادح الجدلية) و (دفع النصوص والنقود) و (شرح الأسماء الحسنى). انظر «الأعلام» (٧/ ٣١)

[385] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٥٠١)

[386] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٣)

[387] انظر : «نهاية المحتاج» (١/ ٣٣) وأما ابن حجر فاعتمد عكسه، انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ٢٥)

[388] انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ٢٥)

[389] القائل ابن حجر الهيتمي.

[390] انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ٢٥)

ثم الإنذار إما وقع كله في ليلة الإسراء، أو بعضه فيها وبعضه في غيرها، ومن ثم أخذ منه شيخ الإسلام الجمال البارزي[391] أنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- أرسل إلى جميع المخلوقات حتى الجمادات، بأن ركب فيها فهم وعقل مخصوص حتى عرفت وآمنت به واعترفت بفضله.[392]

قال : وفائدة الإرسال للمعصوم وغير المكلف طلب إذعانهما لشرفه، و [دخولهما][393] تحت دعوته واتباعه تشريفا له على سائر المرسلين.[394]

والحاصل أنه لا قاطع من أحد الجانبين، وإن كلا من القولين إنما هو أمر ظني بحسب ما دل عليه ظاهر استند إليه كل من القائلين بأخذ ذينك القولين، ولكن القول بالإرسال إليهم أرجح، والله أعلم.

[تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء والرسل والملائكة]

(**فضله**) أي سيدنا محمدا -صلى الله تعالى عليه وسلم- (**على الأنام**) أي الخلق من الأنبياء والملائكة وغيرهم الرب (**المالك**) -عز وجل-، فلا يشركه في ذلك غيره.[395]

---

[391] هو الإمام هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي الجهني الحموي (٦٤٥ - ٧٣٨ هـ) : القاضي، حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية. من أهل حماة. ولي قضاءها مدة طويلة بلا أجر، وعين مرات لقضاء مصر فاستعفى. وذهب بصره في كبره. ولما مات أغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون كتابا، منها " تجريد جامع الأصول في أحاديث الرسول" و " إظهار الفتاوي من أسرار الحاوي" و " تيسير الفتاوي في تحرير الحاوي" و " الشرعة في القراآت السبعة" و "الفريدة البارزية، في شرح الشاطبية" و "البستان في تفسير القرآن" و "توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن " و " روضات جنات المحبين " و " الناسخ والمنسوخ " و "ضبط غريب الحديث" و " بديع القرآن " و " رموز الكنوز". انظر : (٨/ ٧٣)

[392] انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ٢٥)

[393] في الأصل : (ذخولهما)، والصحيح ما أثبته هنا.

[394] انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ٢٥)

[395] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٣)

وقد حكى الإمام في «تفسيره» الإجماع على ذلك، واستثنوه من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر.[396]

واستدل لذلك من القرآن بقوله -تعالى- : ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ؛ إذ لا يكون ممتثلا له إلا إن حوى جميع كمالاتهم.

وبقوله -تعالى- : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، وشرف الأمة بشرف نبيها.[397]

وفي «الصحيحين» : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[398].

وقيل لابن عباس : وما فضله -أي النبي- على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؟ قال : إن الله -تعالى- يقول : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم : ٣] وقال لمحمد : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]. رواه البيهقي.[399]

[أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقية الأنبياء]

(**فالأنبياء بعد**) أي بعد نبينا -صلى الله تعالى عليه وسلم- في الأفضلية، ولم يفصلهم الناظم كـ «أصله».

وذكر بعضهم أن الأفضل بعده -صلى الله تعالى عليه وسلم- إبراهيم الخليل، قال السيوطي : نقل بعضهم الإجماع على ذلك.[400]

---

[396] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٥٠٢) «الغيث الهامع» (٧٦٧)

[397] انظر : «شرح الكوكب» (٢/ ٥٠٢) «الغيث الهامع» (٧٦٧)

[398] رواه البخاري في «صحيحه» (٣١٦٢) (٤٤٣٥) مسلم في «صحيحه» (٦٠٠٤) وهذا لفظه. وابن ماجه في «سننه» (٤٣٠٨) والترمذي في «سننه» (٣١٤٨) وغيرهم.

[399] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١) والطبراني في «الكبير» (١١٦٠) والضياء في «الأحاديث المختارة» (١١/ ٣١٢)

[400] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٠٥)

وفي «الصحيح»[٤٠١] : «خير البرية إبراهيم». خص منه النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- فبقي على عمومه.

[من أفضل الناس بعد إبراهيم عليه السلام؟]

وبعد الخليل موسى، وعيسى، ونوح، ولم أقف على أيهم أفضل، والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى ثم عيسى ثم نوح، وهؤلاء مع النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- هم أولو العزم من الرسل المذكورين في الأحقاف، أي أصحاب الجد والاجتهاد.[٤٠٢]

ثم بعدهما سائر الرسل فهم أفضل من الأنبياء.[٤٠٣]

وقال ابن حجر : ونهيه -صلى الله تعالى عليه وسلم- عن التفضيل بينهم وعن تفضيله عليهم محله لقوله -تعالى- : ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١] فيما يؤدي لخصومة أو تنقيص بعضهم، أو هو تواضع، أو قبل علمه -صلى الله تعالى عليه وسلم- بأنه الأفضل.[٤٠٤]

[الملائكة أفضل من البشر غير الأنبياء]

(فالملائكة) فهم أفضل من البشر غير الأنبياء،[٤٠٥] واستدل لأفضلية الأنبياء عليهم بقوله -تعالى- بعد ذكر الأنبياء : ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ٨٦] والملائكة من العالمين. وبأن الله -تعالى- أسجد لآدم الملائكة، والمسجود له أفضل من الساجد، وفي الأنبياء من هو أفضل من آدم، ولأنه اجتمع فيهم العصمة، مع التركيب

---

[٤٠١] رواه مسلم في «صحيحه» (٦٢١٤)
[٤٠٢] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٠٥)
[٤٠٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٠٥)
[٤٠٤] انظر : «تحفة المحتاج» (١/ ٢٧)
[٤٠٥] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٣)

المعرّض للنوائب التي يجب الصبر عليها، والشهوات التي يجب الصبر عنها، ولأن الناس لفي الموقف إنما يستشفعون بالأنبياء دون الملائكة.[406]

(**قلت**) تقييدا لما أطلقه «الأصل» : فالمراد (**الخواص**) من البشر والملائكة، فخواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم؛ (**إذ عوام البشر**) وهم الأتقياء الأولياء (**أفضل من عوامهم**) أي الملائكة كالسباحين (**في**) القول (**الأشهر**) الذي عليه جمهور أهل السنة[407]، ويدل له حديث : «المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته» رواه ابن ماجه[408].

والمراد بالبعض عوامهم، وبالمؤمن الكامل.

وذهب المعتزلة وجماعة من أهل السنة[409] إلى تفضيل الملائكة على الأنبياء.[410]

قال البيهقي : قد روي أحاديث المفاضلة بين الملك والبشر، ولكل دليل ووجه، والأمر فيه سهل، وليس فيه من الفائدة إلا معرفة الشيء على ما هو عليه[411].

وذهب إلكيا الهراسي[412] إلى التوقف في ذلك.

وقال الشيخ الإمام[413] : لو أقام الإنسان عمره لم يخطر بباله مسالة التفضيل بين الأنبياء والملائكة -عليهم الصلاة والسلام- لم يساله الله -تعالى-. انتهى.[414]

---

[406] انظر : «الغيث الهامع» (٧٦٨)
[407] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٠٦)
[408] رواه ابن ماجة في «سننه» (٣٩٤٧)
[409] كأمثال القاضي الباقلاني والأستاذ أبي إسحاق وأبي عبد الله الحاكم والحليمي والفخر الرازي وأبي شامة، كما أشار إليه السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٠٦)
[410] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٠٦)
[411] انظر : «شعب الإيمان» (١٦٤)
[412] سبقت ترجمته.
[413] هو الإمام تقي الدين السبكي، وقد سبقت ترجمته.
[414] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٠٦)

[معنى المعجزة]

ثم بين معنى المعجزة المؤيد بها الرسل فقال : (**معجزة**) هي مأخوذة من «العجز» المقابل للقدرة وحقيقة الإعجاز إثبات العجز، فاستعير لإظهاره، ثم أسند مجازا إلى ما هو سبب للعجز، ثم جعل اسما له، فقيل : معجزة، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالحقيقة، أو للمبالغة كعلامة. [٤١٥]

وحقيقة المعجزة أمر (**خارق عادة**)، خرج بهذا القيد المعتاد، كطلوع الشمس كل يوم، (**قرن به التحدي**) منهم، فخرج بالخارق من غير التحدي، وهو كرامة الولي، وغير المقرون بالتحدي كالمتقدم عليه وهو الإرهاص، والمتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية. [٤١٦]

(**ومعارض أُمِن**)، خرج به السحر والشعبذة ونحوهما، فإنه يمكن معارضتها. [٤١٧]

وزاد بعضهم قيد الموافقة ليخرج غير الموافق، كأن تحدى بنطق طفل أو جماد، فنطق بتكذيبه، فلا يكون معجزة، ولا يدل على تصديقه على الصحيح، [٤١٨] كما قاله الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وجزم به إمام الحرمين في بعض كتبه [٤١٩].

قال بعضهم : ثم إنه لا يشترط تعيين ذلك الأمر الخارق، فيكفي أن يقول : معجزتي أن تخرق العادة على الإجمال، فيحصل خارق ما.

وقوله : (**تحدن الدعوى**) يعني أن المراد بالتحدي المذكور هو الدعوى للرسالة، وهو تفسير باللازم؛ لأن أصل التحدي طلب المعارضة من صاحبك بإتيانه

---

[٤١٥] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٧٤)

[٤١٦] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥١٩)

[٤١٧] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٤)

[٤١٨] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٧٤)

[٤١٩] ومنها في «الرسالة النظامية» كما أشار إليه الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ١٨١) والولي في «الغيث الهامع» (٧٦٩) والسيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥١٩)

مثل ما فعلته أنت، يقال : تحديتُ فلانا إذا بارَيْتَه في فعل ونازعته الغلبة فيه، وهو مشتق من الحداء.[420]

وفي تفسيره إشارة إلى أنه يكتفي بدعوى الرسالة تنزيلا لها منزلة التصريح بالتحدي، بمعنى طلب الإتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي، كقوله -تعالى- : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ، تأمل.

[الكلام على أركان الدين]

ثم بين أركان الدين الذي قال فيها النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». (و) هي الإيمان والإسلام والإحسان.

[معنى الإيمان]

فـ (الإيمان) لغة : التصديق، وشرعا (يرى) تعريفه بأنه : (تصديق قلبه) بكل ما علم بالضرورة مجيئ الرسول به دون الأمور الاجتهادية.

كذا قاله الأشعري والأكثرون أخذا من قوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- في تفسيره : أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر.[421]

والمراد بالتصديق بذلك الإذعان والقبول له.[422]

قال المحقق[423] : «والتكليف بذلك وإن كان من الكيفيات النفسانية دون الأفعال الاختيارية بالتكليف بأسبابه، كإلقاء الذهن، وصرف النظر، وتوجيه الحواس، ورفع الموانع».[424]

---

[420] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٧٤)
[421] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢٠)
[422] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢١)
[423] هو الإمام جلال الدين المحلي وقد سبقت ترجمته.
[424] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٤)

قال جمع : وهو إشارة إلى الجواب عما يقال : إن التصديق من مقولته الكيف، ولا تكليف إلا بما هو من مقولة الفعل، وحاصل الجواب التكليف إنما هو بتحصيل تلك الكيفية، وذلك بمباشرة الأسباب إلخ.

زاد بعضهم : ولا يخفى أنه بعد تفسير التصديق بالإذعان والقبول يكون من مقولته الانفعال، إن فسرا بتأثر النفس بذلك، فإن فسرا بربط القبل على ما علم مجيئ الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- كانا من مقولة الفعل، وحينئذ لا وَرود للسؤال، ولا حاجة للجواب، فتأمله.[425]

قال أصحابنا : (**ولن يعتبرا**) التصديق المذكور في الخروج به عن عهدة التكليف بالإيمان، (**بلا**) أي بغير التلفظ بـ (**الشهادتين**)، فلا بد من النطق بهما (**إن هو قدر**) عليه، فلا يحصل إلا بمجموع ذلك، فإن القول مأمور كالاعتقاد[426]، قال -تعالى- : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّـهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله».[427]

فإن عجز عنه لخرس أو اخترام منية قبل التمكن منه صح إيمانه، وإن عرض عليه التلفظ فأبى مع القدرة لم يكن مؤمنا، قيل : بالاتفاق، وكذا إن لم يعرض عليه عند الأكثر.[428]

وقال حجة الإسلام[429] : أنه يكفيه، وقال : كيف يعذب من قلبه مملوء بالإيمان؟ وهو المقصود الأصلي، غير أنه لخفائه نيط الحكم بالإقرار الظاهر.

[425] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٧٦)
[426] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢١) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٥)
[427] رواه البخاري في «صحيحه» (٢٥) ومسلم في «صحيحه» (٣٨) وغيرهما من الحفاظ.
[428] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢١) «الغيث الهامع» (٧٧١)
[429] هو الإمام الغزالي، وقد سبقت ترجمته.

وعلى هذا فهو مؤمن عند الله -تعالى-، غير مؤمن في أحكام الدنيا عكس المنافق.[430]

[اختلاف العلماء في شرطية التلفظ بالشهادتين في صحة الإيمان]

وهل (ذا)لك التلفظ بالشهادتين (شرط) في إجراء أحكام المؤمنين الدنيوية أو شرط في صحة الإيمان؟ (أو شطر) أي جزء منه، وركن داخل فيه دون سائر الأعمال الصالحة؟

فيه (تردد) أي خلاف (صدر) من العلماء، والأول قول جمهور المحققين من الاشاعرة والماتردية، والثاني قول جمهور السلف، منهم -كما صرح به السيوطي- أبو حنيفة، والشافعي -رضي الله تعالى عنهما-.[431]

قال بعض المتأخرين : فالعمل عندهم -أي جمهور السلف- اسم لعملي القلب واللسان جميعا، وهما الإقرار والتصديق الجازم الذي ليس معه احتمال نقيض بالفعل.

وعلى هذا فمن صدق بقلبه ولم يتفق له الإقرار في عمره ولا مرة مع القدرة على ذلك لا يكون مؤمنا، ولا عند الله -تعالى، ولا يستحق دخول الجنة ولا النجاة من الخلود في النار، بخلافه على القول الأول.

فعلم من النظم قولان : أحدهما : أن الإيمان هو التصديق، والنطق شرط لإجراء الأحكام الدنيوية على صاحبه أو لصحته. والثاني : أن الإيمان هو التصديق والنطق معا، فالنطق شطر، وعلى هذين القولين العمل غير النطق بالشهادتين شرط كمال، ومقابله بجعل مجموع العمل الصالح والنطق هو الإيمان، تأمل.

---

[430] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢١) «الغيث الهامع» (٧٧١)

[431] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢٢) «الغيث الهامع» (٧٧١)

[معنى الإسلام]

وفسر الإسلام بقوله : (**أعمالنا الجوارح**) هي (**الإسلام**) كما يصرح به قوله - صلى الله تعالى عليه وسلم- تفسيرا له : «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استعطت إليه سبيلا»[٤٣٢].

(**و**) لكن (**حيث الإيمان**) يعني التصديق المذكور (**لا تَنقَام**) اي أعمال الجوارح، ولا تعتبر في الخروج بها عن عهدة التكليف بالإسلام، فالإيمان شرط لصحة الأعمال المذكورة.

قال المحقق ابن حجر : والإسلام والإيمان طال فيما بينهما من النِسَب الكلام، والحق أنهما متحدان ماصدقا؛ إذ لا يوجد شرعا مؤمن غير مسلم، ولا عكسه، ومن آمن بقلبه وترك التلفظ بلسانه مع قدرته عليه نقل النووي الإجماع على تخليده في النار، لكن اعترض بأن كثيرين بل المحققين على خلافه مختلفان مفهوما؛ إذ مفهوم الإسلام الاستسلام والانقياد، ومفهوم الإيمان التصديق الجازم بكل ما علم مجيئه -صلى الله تعالى عليه وسلم- بالضرورة إجمالا في الإجمالي، وتفصيلا في التفصيلي. انتهى.[٤٣٣]

[معنى الإحسان]

(**وقال في**) تفسير (**الإحسان**) نبينا (**سيد البشر**) وأفضل الخلق -صلى الله تعالى عليه وسلم- : (**أن تعبد الله كأنك**) تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

---

[٤٣٢] هو حديث جبريل.

[٤٣٣] ذكر نحو هذا الإمام ابن حجر الهيتمي في «تحفة المحتاج» (١/ ٦١)

وهذا مراد الناظم بقوله : (الخبر) أي اقرأ تمام الخبر في جواب السؤال عن الإحسان، وهو في «صحيح مسلم»[434] من حديث عمر -رضي الله تعالى عنهما-.

ثم تأخير الإحسان عن الإيمان والإسلام وهو مراقبة الله -تعالى- في العبادة الشاملة لهما بأن يستحضر أنه بين يديه -تعالى- لقوة الشهود والحضور الدائم، حتى كأنه يرى الله -تعالى-، ويستحضر أنه يراه حتى تقع على الكمال من الإخلاص وغيره، لأنه كمال بالنسبة إليهما، بل هو المقوم لهما؛ إذ بعدمه يتطرق إليهما نحو الرياء والشرك والنفاق، ومن ثم قال -تعالى- : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّـهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١٢] ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣] فشرطه فيهما.

[الفسق لا يزيل إيمانا]

(والفسق) بارتكاب الكبيرة (لا يزيل إيمانا)، بل مرتكب ذلك مؤمن عاص؛ لأن حقيقة الإيمان هو التصديق، وهو حاصل عنده، وخالف في ذلك الخوارج فقالوا : إن الفسق زيل، ويدخله في الكفر، والمعتزلة فقالوا : إن الفسق واسطة بين الكفر والإيمان[435].

لنا الآيات الناطقة بإطلاق المؤمن على العامي كقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّـهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

والأحاديث الدالة على أن الفاسق مؤمن، حتى قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- لأبي ذر حين بالغ في السؤال : «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر».[436]

---

[434] رواه مسلم في «صحيحه» (١) (٥) (٧) واليخاري في «صحيحه» (٥٠) (٤٤٩٩) وغيرهما من الحفاظ.

[435] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٧) «الغيث الهامع» (٧٧٣)

[436] رواه البخاري في «صحيحه» (١١٨٠) (٣٠٥٠) (٥٤٨٩) (٥٩١٣) (٦٠٧٨) (٦٠٧٩) (٧٠٤٩) ومسلم في «صحيحه» (١٨٥) (١٨٦) (٢٢٦٧) (٢٢٦٨) وغيرهما من الحفاظ.

[من مات على الفسق فهو في مشيئة الله تعالى]

(**ومن هلك**) أي مات حال كونه (**ذا فسق**) أي فاسقا بأن لم يتب إلى الله -تعالى- من ذنوبه لكنه من المؤمنين كما قال: (**بإيمان قرن**) بأن لا يستحل الذنب، وهذه المسألة هي المعروفة عندهم بمسألة «وعيد الفساق، وعقوبة العصاة، وانقطاع العذاب من أهل الكبائر»، وضابطها: أن يرتكب المؤمن كبيرة غير مكفرة بلا استحلال، ويموت من غير توبة.

فمذهبنا أهل السنة أنه (**تحت المشيئة**) أي مشيئة الله -تعالى- (**فـ**) لا نقطع له بعفو ولا عقاب، بل (**إما**) أن يكون عليه (**نقمه**) -بكسر النون وفتحها- أي مكافأة بالعقوبة بإدخاله النار، لكنه لا يخلد فيها بل يخرج منها، (**ثم**) يدخل الجنة، وله (**النعيم**) المقيم فيها لموته على الإيمان، وقد قال -تعالى-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، والإيمان عمل خير للعاصي فلا بد أن يرى المؤمن جزاءه، ولا جائز أن يراه قبل دخول النار ثم يدخلها لقوله -تعالى- في الجنة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. فتعين أنه بعد الخروج من النار إن قدر له دخولها، وفي الحديث: «من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه» رواه ابن حبان[٤٣٧].

وقال -صلى الله تعالى عليه وسلم-: «إن ناسا من أمتي يدخلون النار بذنوبهم، فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم؟ فلا يبقى موحد إلا

---

[٤٣٧] رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٠٠٤) وهذا ليس لفظا له، وإنما هذا اللفظ للبزار في «مسنده» (٨٢٩٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧) وغيرهما من الحفاظ.

أخرجه الله -تعالى- من النار» ثم قرأ صلى الله تعالى عليه وسلم : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]. رواه الطبراني[٤٣٨] وغيره[٤٣٩].

والأحاديث في ذلك كثيرة جدا.

(**أو**) يكون له (**سماح رحمة**) من الله -تعالى- بأن لا يدخل النار أصلا، (**إما بمحض الفضل**) أي بفضله -تعالى- الخاص، لا عن وجوب، ولا عن إيجاب، وهذا هو العفو التام، (**أو معه حبي**) أي أو أعطى مع الفضل المحض (**شفاعة النبي**) -صلى الله تعالى عليه وسلم-.

زاد الناظم تبعا للقاضي عياض[٤٤٠] وغيره : (**أو**) شفاعة (**غير النبي**) من العلماء، والصديقين، والصالحين، وتردد فيه النووي، قال الشيخ الإمام : لأنه لم يرد تصريح بذلك، ولا بنفيه.[٤٤١]

قال : وفي إجازة الصراط بعد وضعه، ويلزم منها النجاة من النار.[٤٤٢]

ولا عبرة بزعم المعتزلة أن الميت الفاسق يخلد في النار، ولا يجوز العفو عنه، ولا الشفاعة فيه[٤٤٣].

---

[٤٣٨] رواه الطبراني في «الأوسط» (٥١٤٦)

[٤٣٩] رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٣٨) وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٣٢) وغيرهما.

[٤٤٠] هو الإمام عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ) : عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى" و " الغنية" و "ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك" و " شرح صحيح مسلم" و "مشارق الأنوار" و " الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ". انظر «الأعلام» (٥/ ٩٩)

[٤٤١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٨)

[٤٤٢] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٨)

[٤٤٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٨)

وإنما لم نقطع بالعفو لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة، ولا بالعقوبة؛ لما تقدم أنه يجوز له -تعالى- أن يغفر ما عدا الشرك، وعلم من ذلك بطلان قول المعتزلة بإحباط السيئات الحسنات، كما علم منه أن المكلف إما كافر فهو مخلد في النار، ويختص المنافق بالدرك الأسفل منها، وإما مؤمن لم يذنب قط كالأنبياء فهو مخلد في الجنة إجماعا، وإما مؤمن مذنب تاب من جريمته فهو في الجنة قطعا، أو ظنا، وإما مؤمن لم يتب فهو محل الخلاف، ثم الصواب أن حكم الفاسق من المؤمنين الخلود في الجنة، إما ابتداء بالعفو أو الشفاعة، وإما بعد التعذيب بالنار بقدر الذنب، والله أعلم.

[وجوب الإيمان بالشفاعة]

ثم الإيمان بالشفاعة، وهي لغة : الوسيلة والطلب، وعرفا : سؤال الخير للغير، واجب سمعا عندنا أهل الحق.

و (**أول شافع**) ومشفع (**وأولاه**) أي أحقه الحبيب الأعظم نبينا (**أحمد**) -صلى الله تعالى عليه وسلم- بوصل الهمزة للوزن.[444]

قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، فهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئا». رواه ابن ماجه[445] وغيره.[446]

وقال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». رواه الترمذي[447] وصححه[448].

---

[444] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٨)

[445] رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٣٠٧)

[446] رواه البخاري في «صحيحه» (٥٩٤٥) ومسلم في «صحيحه» (٤١١) (٤١٢) وغيرهما.

[447] رواه الترمذي في «سننه» (٢٤٣٥) (٢٤٣٦) وابن ماجه في «سننه» (٤٣١٠) وأحمد في «مسنده» (١٣٢٢٢)

[448] قال الترمذي في «سننه» (٢٤٣٥) : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وعن أنس بسند صحيح قال : «من كذب الشفاعة فلا نصيب له فيها»[٤٤٩].

وعنه أيضا قال : «يخرج قوم من النار، ولا نكذب بها كما يكذب أهل حروراء -يعني الخوارج-»[٤٥٠].

وورد : «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[٤٥١].

[أنواع شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم]

وهو -صلى الله تعالى عليه وسلم- الذي يفتح باب الشفاعة لغيره، فيشفع لبقية الشافعين في أن يشفعوا.

وله -صلى الله تعالى عليه وسلم- شفاعات في تعجيل الحساب، والإراحة من طول الوقوف، وفي إدخال قوم الجنة بغير حساب، وفيمن استحق النار فلا يدخلها، وفي إخراج من دخل النار من الموحدين، وفي زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وفي تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها، وفي دخول أمته الجنة قبل غيرهم، وفيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، وفيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرا قط.[٤٥٢]

وفي كل ذلك أحاديث كثيرة[٤٥٣].

---

[٤٤٩] رواه الآجري في «الشريعة» (٧٧٦) (٧٧٧) والقضاعي في «مسنده» (٣٩٩) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٠٨٨)

[٤٥٠] أصل هذا الحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٦١٩١) (٦١٩٨) وأبو داود في «سننه» (٤٧٤٢) وغيرهما.

[٤٥١] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» مرفوعا عن عثمان (١٧٠٧) والشجري في «ترتيب الأمالي الخمسينية» (٢٥٧)

[٤٥٢] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٩) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢٧-٥٢٩)

[٤٥٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢٩)

قال السيوطي : ومن الأسباب المقتضية للشفاعة سؤال الوسيلة له عقب الأذان، كما في «الصحيحين»[٤٥٤]، والصبر على لأواء المدينة وشدتها، كما في «مسلم»[٤٥٥] والموت بها كما في «الترمذي»[٤٥٦] وزيارته -صلى الله تعالى عليه وسلم- كما في حديث رواه ابن أبي الدنيا[٤٥٧]، والله أعلم.[٤٥٨]

[الموت يكون بالأجل]

(**والموت قبل أجل لا يوجد**)، فلا يموت أحد إلا بأجله وهو الوقت الذي كتب الله -تعالى- في الأزل انتهاء حياته، وهذا في غير المقتول بالإجماع، وفي المقتول على الصحيح الذي عليه أهل السنة، وبعض المعتزلة كأبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم؛ لقوله -تعالى- : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].[٤٥٩]

(**قلت**) زيادة على «الأصل» : (**رأى**) عبد الله بن محمود (**الكعبي**) البلخي من المعتزلة (**أن من قتل**) بالبناء للمفعول (**ذو اختلاس**) بقطع الهمزة للوزن، يعني أن القاتل قطع بقتله أجل المقتول، وأنه لو لم يقتله لعاش أكثر من ذلك، (**وهو رأى ما**)

---

[٤٥٤] رواه مسلم في «صحيحه» (٧٧٨) بلفظ : «إذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».
ورواه البخاري في «صحيحه» (٥٨٩) (٤٤٤٢)

[٤٥٥] رواه مسلم في «صحيحه» (٣٣٢٦) بلفظ : «لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي ، إلا كنت له شفيعا يوم القيامة ، أو شهيدا».

[٤٥٦] رواه الترمذي في «سننه» (٣٩١٧) بلفظ : «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها».

[٤٥٧] وهو حديث «من زار قبري وجبت له شفاعتي». قال العجلوني عنه في «كشف الخفاء» (٢/ ٢٩٨) : «قال في الأصل: رواه أبو الشيخ، وابن أبي الدنيا وغيرهما عن ابن عمر، وهو في صحيح ابن خزيمة، وأشار إلى تضعيفه».

[٤٥٨] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٢٩)

[٤٥٩] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٠) «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٩) «الغيث الهامع» (٧٧٤)

نافية (**قبل**) أي غير مقبول، بل مردود؛ لقوله -تعالى- : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦] فنهى -سبحانه وتعالى- عن مثل قول المعتزلة ونسبه إلى الكفار.[٤٦٠]

وأما نقص العمر المشار إليه بقوله -تعالى- : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١] فليس المراد به من عمر ذلك المعمر، بل المراد: وما ينقص من عمر معمر آخر، والضمير له وإن لم يذكر لدلالة مقابله على حد «عندي درهم ونصفه»، أو المراد بالنقص من العمر باعتبار مرور الأيام، فإن مرورها نقص في العمر.[٤٦١]

وأما حديث الطبراني: «إن المقتول يتعلق بقاتله يوم القامة ويقول: يا رب ظلمني، وقطع أجلي» فمتكلم في سنده، بأن فيه ضعيفا، وبتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق في علمه -تعالى- أنه لو لم يقتل لكان يعطي أجلا زائدا.[٤٦٢]

وأما حديث: «من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ في عمره فليصل رحمه»[٤٦٣] فالمراد به البركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وصيانة أوقاته عن الضياع، وبقاء ذكره بعد موته، كما يقال: «ذكر الفتى عمره الثاني». وقال الشاعر:

كم مات قومٌ وما ماتت مآثرهم * وعاش قوم وهم في الناس أموات[٤٦٤]

---

[٤٦٠] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٣٩) «الغيث الهامع» (٧٧٤)

[٤٦١] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٧٨)

[٤٦٢] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٠) «الغيث الهامع» (٧٧٤)

[٤٦٣] رواه البخاري في «صحيحه» (١٩٦١) (٥٦٣٩) (٥٦٤٠) ومسلم في «صحيحه» (٦٦١٦) وغيرهما من الحفاظ.

[٤٦٤] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٧٨)

أو المراد بالنسبة لما يظهر للملائكة في اللوح، فيظهر لهم أن عمره ستون سنة إلى أن يصل رحمه فيزداد أربعون، وأما بالنسبة إلى علمه -تعالى- فالزيادة مستحيلة، والله أعلم.[٤٦٥]

[بقاء النفس بعد موت البدن]

(**والنفس**) التي يحي بها البدن وهي الروح (**بعد**) موت (**الجسم**) لا تفنى، بل (**تبقى**) منعمة أو معذبة، هذا ما اتفق عليه أهل الملل إلا الفلاسفة.[٤٦٦]

لنا قوله -تعالى- : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق.

وقوله -تعالى- : ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] الآيات، وهي نص في بقاء الأرواح وسوقها إلى الله -عز وجل- يومئذ.

وقوله -تعالى- : ﴿وَلَا [تَحْسَبَنَّ][٤٦٧] الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾.[٤٦٨]

وأحاديث تنعيمها وتعذيبها بعد المفارقة، وسلام الزائر على القبور، وأنهم يسمعون، ويردون، ويعلمون بأحوال أهل الدنيا، وأن الأرواح تتلاقى وتتزاور، وهي كثيرة جدا.

[اختلاف العلماء في بقاء النفس عند يوم القيامة]

(**ثم**) على قولنا أهل الحق ببقائها، (**هل تفنى**) أي تذهب صورتها (**لدى البعث**) أي يوم القيامة عند النفخة الأولى، وهي نفخة الفناء، لا يبقى عندها حي إلا مات ولا حادث إلا هلك إلا من شاء الله -تعالى- كالملائكة الأربعة الرؤساء،

---

[٤٦٥] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٤)
[٤٦٦] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٥)
[٤٦٧] في الأصل (يحسبن)، والصحيح ما أثبته هنا.
[٤٦٨] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٥)

والحور العين، وموسى -عليه الصلاة والسلام؛ لأنه صعق في الدنيا مرة فجوزي بها؟.

فيه (تردد) أي خلاف (حصل) للعلماء، فذهبت طائفة إلى الحكم بوجوب فنائها حينئذ؛ لظاهر قوله -تعالى- : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].[٤٦٩]

(وما له) أي القول الذي إليه (الشيخ الإمام) والد صاحب «الأصل» (قد ذهب) ورجحه أنها (لا) تفنى (أبدا)، قال: لأنهم اتفقوا على بقائها بعد الموت لسؤالها في القبر وجوابها وتنعيمها أو تعذيبها فيه، والأصل في كل باق استمراره، حتى يظهر ما يصرف عنه.

قال بعض المحققين[٤٧٠] : وما قاله هو المختار عند أهل الحق، فتكون من المستثنى بقوله -تعالى- : ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّـهُ ٨٧﴾ [النمل: ٨٧].[٤٧١]

[اختلاف العلماء في عجب الذنب]

ومما يناسب هذا الخلاف ما ذكره بقوله: (قولان) للعلماء (في عجب الذنب) -بفتح العين المهملة، وسكون الجيم، وآخره باء موحدة- ويقال: عجم الذنب -بالميم-، وحكي للحياني فيه تثليث العين فيهما، فهي ست لغات، وهو عظم كالخردلة في أصل الصلب عند العجز، وهو رأس العصعص، أحدهما -وهو المشهور- : أنه لا يبلى؛ للخبر المتفق عليه: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، منه [يركب][٤٧٢] الخلق يوم القيامة»[٤٧٣].

---

[٤٦٩] انظر: «الغيث الهامع» (٧٧٦)
[٤٧٠] كمثل الولي العراقي كما ذكره في «الغيث الهامع» (٧٧٦)
[٤٧١] انظر: «الغيث الهامع» (٧٧٦)
[٤٧٢] في الأصل: (تركب) والتصحيح من نسخ صحيحي البخاري ومسلم.
[٤٧٣] هذا الحديث رواه البخاري في «صحيحه» (٤٦٥١) ومسلم في «صحيحه» (٧٥٢٤) وهذا اللفظ له.

وفي رواية لمسلم : «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، ومنه يركب»[٤٧٤].

وفي رواية لأحمد وابن حبان[٤٧٥] : قيل : وما هو يا رسول الله؟ قال : «مثل خردل، منه تنشئون»[٤٧٦].

وثانيهما : أنه يبلى كسائر الجسد، وإليه أشار بقوله (و) الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي (المزني)[٤٧٧] نقل (عنه تصحيح) القول بـ (البلى) -بكسر الباء والقصر- أي فناء عجب الذنب (من ذين) القولين؛ تمسكا بظاهر قوله -تعالى- : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] ، لأن فناء الكل يستلزم فناء الجزء.[٤٧٨]

(و) بين صحة ما قاله بأن (الحديث) المذكور (قد تأولا) بما حاصله أنه يجوز أن يفني الله -تعالى- الإنسان بالتراب، فإذا لم يبق إلا عجب الذنب أفناه الله -تعالى- بلا تراب، كما يميت ملك الموت بلا ملك الموت.[٤٧٩]

قال بعضهم : ولا يشكل على هذا التأويل رواية مسلم المذكورة؛ لأنه ليس فيها تعرض إلا لعدم فنائه بالتراب، والمزني يقول به[٤٨٠].

---

[٤٧٤] رواه مسلم في «صحيحه» (٧٥٢٥)

[٤٧٥] انظر : «صحيح ابن حبان» (٣١٤٠)

[٤٧٦] كذا ذكره المصنف بمعناه، وإلا فرواية أحمد بلفظ : «مثل حبة خردل منه تنبتون». ورواية ابن حبان بلفظ : «مثل حبة خردل منه ينشأ».

[٤٧٧] هو الإمام إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (١٧٥ - ٢٦٤ هـ) : صاحب الإمام الشافعي. من أهل مصر. كان زاهدا عالما مجتهدا قوي الحجة. وهو إمام الشافعيين. من كتبه (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) و (المختصر) و (الترغيب في العلم) . نسبته إلى مزينة (من مضر) قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. وقال في قوة حجته: لو ناظر الشيطان لغلبه!. انظر «الأعلام» (١/ ٣٢٩)

[٤٧٨] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٠) «الغيث الهامع» (٧٧٥-٧٧٦)

[٤٧٩] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤١)

[٤٨٠] وهو قول ابن قتيبة كما أشار إليه المصنف. انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٦)

(**قلت**) زيادة على الأصل : (**له**) أي للمزني أبو محمد عبد الله بن مسلم (**نجل**) أي ابن (**قتيبة**) الدينوري[481] (**قفا**) أي تبع في تصحيح البلا، وقال : إنه آخر ما يبلى من الميت، ولم يتعرضا لوقت فنائه، هل هو عند فناء العالم أو قبل ذلك، وهو محتمل هذا.[482]

(**و**) لكن (**الأخذ بـ**) خصوص (**الحديث**) المذكور (**أحرى بالوفا**)ء من الأخذ بعموم الآية، فهو المخصص لها.[483]

وذكر بعضهم : أن عجب الذنب بالنسبة إلى جسم الإنسان كالبذر بالنسبة إلى النبات، وعليه يدل قوله -تعالى- : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩] إلى أن قال : ﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١].[484]

وقوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «إنه ينزل من السماء ماء فينبتون منه كما ينبت البقل»[485].

---

[481] هو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو محمد (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) : من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه " تأويل مختلف الحديث" و " أدب الكاتب" و " المعارف" وكتاب " المعاني" و " عيون الأخبار" و " الشعر والشعراء" و " الإمامة والسياسة" و " الأشربة" و " الرد على الشعوبية" و " فضل العرب على العجم" و " الرحل والمنزل" و "الاشتقاق" و " مشكل القرآن" و " المشتبه من الحديث والقرآن" و " العرب وعلومها" و "الميسر والقداح" و " تفسير غريب القرآن " و " المسائل والأجوبة" و " النبات" و " الألفاظ المغربة، بالألقاب المعربة" و " غريب الحديث". انظر «الأعلام» (٤/ ١٣٧)

[482] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٢) «الغيث الهامع» (٧٧٦)

[483] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٢) «الغيث الهامع» (٧٧٦)

[484] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٦)

[485] الحديث بهذا المعنى رواه البخاري في «صحيحه» (٤٦٥١) ومسلم في «صحيحه» (٧٥٢٤) وغيرهما من الحفاظ.

قال ابن عقيل الحنبلي[486] : لله -تعالى- في هذا سر عظيم لا نعلمه، فإن من يوجد من العدم لا يحتاج أن يكون لفعله شيء ينبني عليه، ولا خميرة، فإن علل هذا فيجوز أن يكون الباري -سبحانه- جعل هذا علامة للملائكة على أن يحيي كل إنسان بجواهره بأعيانها، لا بأجسام مثلها، ولولا لجوزت الملائكة إعادة الروح إلى أبدان غيره»[487].

وأشار بقوله : «فإن إلخ» إلى عدم ارتضائه له، ووجهه أن الملائكة لا يخفى عليهم هذا الأمر، مع أنهم بأمر الله -تعالى-، على أنه يجوز اللبس فيه نفسه، فالحق أن ذلك تعبدي.

[اختلاف العلماء في حقيقة الروح]

(حقيقة الروح) -بضم الراء وهي النفس- (النبي) -صلى الله تعالى عليه وسلم- (أمسكا عن كشفها) وتبيينها لنا؛ لعدم الأمر ببيانها، فإن اليهود لما سألوا عنها أنزل الله -تعالى- على رسوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال جماعة : معناه فاجعلوا الروح من الكثير الذي لم تؤتوه ولا تسألوا عنه، فإنه سر من أسراري، كما قال الجنيد : الروح شيء استأثر الله -تعالى- بعلمه، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود.[488]

---

[486] هو الإمام علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء، يعرف بابن عقيل (٤٣١ - ٥١٣ هـ) : عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته. كان قويّ الحجة، اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته. وكان يعظم الحلاج، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدة سنين. ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور له تصانيف أعظمها " كتاب الفنون " بقيت منه أجزاء، وهو في أربعمئة جزء، و " الفرق" و " الفصول" و " الرد على الأشاعرة وإثبات الحرف و الصوت في كلام الكبير المتعال" و " كفاية المفتي" و " الجدل على طريقة الفقهاء". انظر «الأعلام» (٤/ ٣١٣)

[487] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٧) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٣)

[488] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٧) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤١)

[استحسان عدم الخوض في أمر الروح]

وحينئذ (**فلائق**) بنا (**أن نتركا**) الخوض فيها، وهذا ما نقل عن جمهور المحققين والمفسرين، وهو الوارد عن ابن عباس، وأكثر السلف، والحكمة في إبهامها تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه، وأن المرء إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى.[٤٨٩]

وتكلمت طائفة فيها وبحثت عن حقيقتها، وأجابوا عن الآية بأن اليهود كانوا قد قالوا : إن أجاب عنها فليس بنبي، وإن لم يجب فهو صادق؛ لأن في التوراة أن روح بني آدم لا يعلمها إلا الله، فلم يجب لأن الله -تعالى- لم يأذن له فيه، ولا أنزل عليه ببيانه.

ولهذا لما نزلت الآية قالوا : هكذا نجده عنها، لكن هذا الجواب عليهم لا لهم.

وأجابوا عنها أيضا : بأن سؤال اليهود إنما كان سؤال تعجيز وتغليط، فإن الروح مشترك بين روح الإنسان وجبريل وملك آخر يقال لها : الروح، وصنف من الملائكة، والقرآن، وعيسى بن مريم، فأراد اليهود أن كل ما أجابوا عنه يقولون : ليس هو المراد، فجاء الجواب مجملا فإن كونه من أمر الرب يصدق على كل من معاني الروح.[٤٩٠]

ورد هذا الجواب بأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله حتى يسأل عنه، ولا تجهل أن جبريل ملك، والملائكة أرواح. وقد ورد عن ابن عباس أن اليهود قالوا

---

[٤٨٩] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٣)

[٤٩٠] انظر : «الغيث الهامع» (٧٧٨) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٣-٥٣٤) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤١)

: أخبرنا عن الروح كيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله؟ فنزلت الآية، فهذا صريح في أنهم سألوا عن روح الإنسان.[491]

نعم، قال بعض المحققين : ليس في الآية دلالة على أن الله -تعالى- لم يطلع نبيه -صلى الله تعالى عليه وسلم- [عن][492] حقيقة الروح، بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يأمره أنه يطلعهم، وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا.

ومن ثم صرح جماعة أنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله على جميع ما أبهمه عنه، لكنه أمر بكتم البعض، والإعلام بالبعض الآخر.

ثم هؤلاء الخائضون اختلفوا فيها على نحو مائة قول.[493]

قال النووي : أصحها قول إمام الحرمين : إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر، والله أعلم.[494]

[وجوب إثبات كرامة الولي]

(كرامة الولي) وهو العارف بالله -تعالى- وبصفاته حسبما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة.[495]

فهو : من تولى الله -سبحانه وتعالى- أمره، فلم يكله إلى نفسه، ولا إلى غيره لحظة.

---

[491] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٤)

[492] كذا في الأصل، لعل الراجح (على)، وهو الثابت في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٤) ويبدو أن المصنف نقل هذا الكلام منه. والله أعلم.

[493] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٣٤)

[494] انظر : «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ٣٢)

[495] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤١)

أو الذي يتولى عبادة الله -تعالى- وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا المعنيين واجب تحققه حتى يكون الولي عندنا وليا في نفس الأمر.

وأما الكرامة فأمر خارق للعادة، غير مقرون بالتحدي، ولا مقدمة للنبوة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعة، مصحوب بصحيح الاعتقاد، والعمل الصالح، علم بها أم لم يعلم.[٤٩٦]

(**حق**) أي جائزة عقلا عندنا أهل السنة؛ لأن ظهور تلك الكرامة أمر ممكن في نفسه، وكل ما هو كذلك فهو صالح لشمول القدرة لإيجاده، وأنه لا يلزم من فرض وقوعها محال، وهي (**حاصلة**) أي واقعة للأمم السابقين، ولهذه الأمة من لدن الصحابة والتابعين إلى هلم جرا.

وهي شائعة ذائعة بحيث لا ينكرها إلا جاهل معاند، فإنها بالغة مبلغ التواتر، ولا عبرة بقول المنكرين لها من المبتدعة، تمسكا بأنه لو جازت الكرامة للأولياء لالتبس النبي بغيره؛ إذ يقال عليهم : أي التباس بعد الفرق بين المعجزة والكرامة باعتبار التحدي في المعجزة دون الكرامة؟! ومن ثم قال الجمهور : ما جاز أن يكون معجزة جاز أن يكون كرامة لولي، لا فارق بينهما إلا التحدي.[٤٩٧]

[الإمام القشيري أنكر بعض الكرامات]

و (**قال**) الإمام زين الإسلام، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (**القشيري**)[٤٩٨] في «الرسالة»[٤٩٩] ما نصه : اعلم أن كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا

[٤٩٦] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨١)
[٤٩٧] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٢) «شرح الكوكب» (٢/ ٥٤٢) «الغيث الهامع» (٧٨٠)
[٤٩٨] ترجمته في باب التصوف.
[٤٩٩] أي : «الرسالة القشيرية».

أنه لا يجوز أن يظهر كرامة للأولياء، وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك، فمنها حصول إنسان لا من أبوين، وقلب جماد بهيمة أو حيوانا، وأمثال هذا كثير، انتهى.[٥٠٠]

وهذا مراد الناظم بقوله حكاية عنه :

(**وليست**) أي الكرامة (**واصلة لنحو فرع**) أي ولد (**دون والد**) وأم، (**و**) لا (**أن يحيى ميتا**).

قال صاحب «الأصل» : وهذا حق لا ريب فيه، وبه يتضح أن قول من قال : ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ليس على عمومه، وأن قول من قال : لا فارق بين المعجزة والكرامة إلا التحدي ليس على وجهه، انتهى.[٥٠١]

وعليه جرى ابن رسلان[٥٠٢] في «نظم الزبد»[٥٠٣] والحافظ ابن حجر في «الفتح» وقال : إنه أعدل المذاهب[٥٠٤]. لكن سيأتي ما فيه.

(**قلت**) زيادة على «الأصل» ومتعقبا عليه : (**قد حكي**) مثل قول القشيري المذكور (**عن رأي لأستاذ**) أبي إسحاق الإسفرائني حيث قال : وكلما جاز تقديره معجزة لنبي لا يجوز ظهور مثله كرامة، قال : مبالغ الكرامات إجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية من غير توقع المياه، أو مضاهي ذلك مما ينحط عن خرق العادات[٥٠٥].

---

[٥٠٠] انظر : «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥٢٣)

[٥٠١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٢) «شرح الكوكب» (٢/ ٥٤٢) «الغيث الهامع» (٧٨٠)

[٥٠٢] هو الإمام أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن أرسلان، أبو العباس، شهاب الدين، الرمليّ (٧٧٣ – ٨٤٤ هـ) : الفقيه الشافعيّ. ولد بالرملة (بفلسطين) وانتقل في كبره إلى القدس، فتوفي بها. وكان زاهدا متهجدا. له (الزبد) و (شرح سنن أبي داود) و (منظومة في علم القراآت) و (شرح البخاري) و (طبقات الشافعية) و (تصحيح الحاوي) و (إعراب الألفية) وغير ذلك. انظر «الأعلام» (١/ ١١٧)

[٥٠٣] المشهور بـ«صفوة الزبد». حيث قال في ص ٣٧ : (والأوليا ذوو كراما رتب * وما انتهوا لولد من غير أب)

[٥٠٤] انظر : «فتح الباري» (٧/ ٣٨٣)

[٥٠٥] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٢) «شرح الكوكب» (٢/ ٥٤٢) «الغيث الهامع» (٧٨٠)

هذا ما نقله جمع من المحققين، كإمام الحرمين، والآمدي[٥٠٦]، وصاحب «الأصل» وهو الصحيح عنه.

وأما نقل بعضهم عنه بأنه أنكرها على الإطلاق فكذب عليه، كما صرح به صاحب «الأصل»، والموجود في مصنفاته هو النقل الأول، ومع ذلك قال جماعة من أصحابنا : إنه مذهب متروك[٥٠٧]، كما قال الناظم:

[بطلان إنكار الإمام القشيري لبعض الكرامات]

(**وهذا**) أي ما قاله القشيري والأستاذ (**فاسد**) لا يعول عليه، وقد قال النووي في «شرح مسلم»[٥٠٨] : إن الكرامات تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها، وادعى بعضهم أنها تختص بمثل إجابة دعاء ونحوه، وهذا غلط من قائله؛ (**إذ هو إنكار لما يشاهد**) من الكرامات، بل الصواب جريانها بقلب الأعيان، ونحوها.

قال بعضهم : نعم، قد يرد في بعض المعجزات نص قاطع على أن أحدا لا يأتي بمثله أصلا كالقرآن، وهو لا ينافي الحكم أن كل ما وقع معجزة لنبي يجوز أن يقع كرامة لولي.[٥٠٩]

---

[٥٠٦] هو الإمام علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (٥٥١ - ٦٣١ هـ) : الأصولي، الباحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها واشتهر. وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا فيها واشتهر. وحسده يبعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد القعيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيا إلى " حماة " ومنها إلى " دمشق " فتوفي بها. له نحو عشرين مصنفا، منها "الإحكام في أصول الأحكام" ومختصره " منتهى السول" و " أبكار الأفكار" و " لباب الألباب " و " دقائق الحقائق " و " المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين". انظر «الأعلام» (٤/ ٣٣٢)

[٥٠٧] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٤٣) «الغيث الهامع» (٧٨٠)

[٥٠٨] انظر : «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ١٠٨)

[٥٠٩] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨١)

وقال صاحب «الأصل» في «الطبقات»[510] بعد أن ذكر من أنواع الكرامات إحياء الموتى ما نصه : «وأنا أؤمن به، غير أني أقول لم يثبت عندي أن وليا حُيي له ميت مات من أزمان كثيرة بعد ما صار عظما رميما، ثم عاش بعد ما حيي له زمانا كثيرا، هذا القدر لم يبلغنا، ولا أعتقده وقع لأحد من الأولياء، ولا شك في وقوع مثله للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، مثل هذا يكون معجزة، ولا تنتهي إليه الكرامة، فيجوز أن يجيئ نبي قبل اختتام النبوة بإحياء أمم انقضت قبله بدهور، ثم إذا عاشوا استمروا في قيد الحياة أزمانا، ولا أعتقد الآن أن وليا يحيى لنا الشافعي وأبا حنيفة -رضي الله تعالى عنهما- حياة يبقيان زمانا طويلا كما عمرا قبل الوفاة، بل ولا زمانا قصيرا يخالطان في الأحياء كما خالطهم قبل الوفاة».[511] والله أعلم.

[لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب]

و (**ما**) نافية (**نكفر امرأ**)، أي لا نحكم بكفر أحد من أهل القبلة (**بـ**) سبب ذنب أصابه؛ لحديث : «لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب اجترحه»[512].

روى الطبراني عن أنس قال : خرج علينا رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- قال : «إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها على الضلالة إلا السواد الأعظم» قالوا : من السواد الأعظم؟ قال : «من كان على ما أنا عليه

[510] أي «طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي.

[511] انظر : «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٣٣٩)

[512] لم أقف على هذا الحديث بهذا اللفظ بعد البحث في كتب الحديث المشهورة، وقد ذكره السيوطي مرسلا في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٤٣) وسبقه إليه الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٨١) ونقل الولي كلام الإمام أحمد : أنه حديث موضوع لا أصل له. هذا، ثم وقفت على حديث فيه معنى ذلك الحديث رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٨٩) بلفظ : «كفوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب» ونحوه في «الأوسط» (٤٧٧٥) وروى نحوه أيضا أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٧٣)

وأصحابي، من لم يمار في دين الله، ومن لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب غفر له»[٥١٣].

وسئل جابر بن عبد الله -رضي الله تعالى عنهما- هل كنتم تسمون من الذنب كفرا أو شركا أو نفاقا؟ قال: معاذ الله، ولكن نقول مؤمنين مذنبين. رواه البيهقي بسند صحيح.[٥١٤]

[لا نكفر أحدا من أهل القبلة ببدعته]

ولا نكفر امرءا بـ (**بدعته**) إذا كان (**من أهل قبلة الهدى، أي شرعته**) كإنكار الصفات، والقدر، والرؤية.

قال المحقق[٥١٥]: ومنا من كفره، أما من خرج ببدعته عن أهل القبلة كمنكري حدوث العالم، والبعث، والحشر للأجسام، والعلم بالجزئيات فلا نزاع في كفرهم؛ لإنكارهم ما علم مجيئ الرسول به ضرورة، أي وإن صلى وصام.[٥١٦]

قال السبكي: غير أني أقول: إن الإنسان ما دام يعتقد الشهادتين فتكفيره صعب، وما يعرض في قلبه من بدعة إن لم تكن مضادة لذلك فلا يكفر، وإن كانت مضادة له فإذا فرضت غفلته عنها و اعتقاده للشهادتين مستمر فأرجو أن يكفيه ذلك في الإسلام، وأكثر أهل الملل كذلك، ويكون كمسلم ارتد، إلا أن يقال: ما كفر به لا بد في إسلامه من توبته عنه، فهذا محل النظر، وجميع هذه العقائد التي يكفر بها أهل القبلة قد لا يعتقدها إلا حين بحثه فيها، لشبهة تعرض له، أو مجادلة وغير ذلك، وفي أكثر الأوقات يغفل عنها، وهو ذاكر للشهادتين لا سيما عند الموت.[٥١٧] والله أعلم.

---

[٥١٣] رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٥٩)

[٥١٤] رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٥)

[٥١٥] المراد به الامام جلال الدين المحلي.

[٥١٦] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٢) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٤٤)

[٥١٧] انظر: «الغيث الهامع» (٧٨١)

[لا يجوز الخروج على السلطان]

(**ولا نجوز**) نحن معاشر أهل السنة (**الخروج أصلا**) -بوصل الهمزة لوزن- (**على سلطاننا**) -أيها المسلمون- وقتاله اتفاقا، إن كان عدلا، وعلى الأصح إن كان جائرا؛ إذ لا يشترط في الإمام كونه معصوما، ولم يزل السلف ينقادون لهم، ولا يرون الخروج عليهم مع ظهور ذلك وانتشاره منهم.[٥١٨]

ولأن الإمام لا ينعزل بالفسق، بخلاف القاضي، وقد قال -تعالى- : ﴿أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[٥١٩].

وورد : «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٥٢٠].

واحترز بالإضافة إلى ضمير المسلمين ما لو طرأ على السلطان كفر، فإنه يخرج عن حكم الولاية، وتسقط طاعته، ويجب على المسلمين القيام والخروج عليه، وقتاله، ونصب غيره، إن أمكنهم ذلك.

(**وذو اعتزال فصلا**) بين العادل والجائر، فجوز الخروج على السلطان الجائر لا نعزاله بالجور عند المعتزلة.[٥٢١]

---

[٥١٨] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٢) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٤٤) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٢٧)

[٥١٩] الحديث رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٥٥٤) وأحمد في «مسنده» (٧٣٣٤)

[٥٢٠] الحديث رواه أبو داود في «سننه» (٤٧٦٠) وأصله في «صحيح البخاري» (٦٦٤٦) و«صحيح مسلم» (٤٨١٨)

[٥٢١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٣) «البدر الطالع» (٢/ ٥٤٥) الغيث الهامع (٧٨٢) تشنيف المسامع (٤/ ٢٢٧)

[وجوب إثبات عذاب القبر ونعيمه]

(**وعندنا**) أهل السنة سلفهم وخلفهم (**أن عذاب القبر**) وهو للكافر والفاسق، المراد تعذيبه بأن ترد الروح إلى الجسد، أو ما بقي منه (**حق**)، فيجب اعتقاده.

قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «عذاب القبر حق». متفق عليه[٥٢٢].

وقال -تعالى- : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٣٦].

والأحاديث في ذلك كثيرة جدا في «الصحيحن»[٥٢٣] وغيرهما.

قال السعد[٥٢٤] : قد أنكر عذاب القبر بعض المعتزلة والرافضة، وقالوا : لأن الميت جماد لا حياة له فتعذيبه محال، وأجيب بأنه يجوز أن يخلق الله -تعالى- في جميع الأعضاء أو بعضها نوعا من الحياة قدر ما يدرك ألم العذاب أو لذة النعيم، وهذا لا يستلزم إعادة الروح إلى بدنه، ولا أن يتحرك ويضطرب، أو يرى أثر العذاب عليه[٥٢٥].

---

[٥٢٢] رواه البخاري في «صحيحه» (١٣٠٦) (١٣٠٧) وهذا اللفظ له، وروى مسلم في عدة مواضع من «صحيحه »ثبوت عذاب القبر، انظر أحاديثه برقم (١٢٥٧) (١٢٥٨) (١٢٦٣) (١٢٦٤) (١٢٦٥) (١٢٦٧) (١٢٦٨) (١٢٧١) (١٢٧٢) (٢٠٥٣) (٢١٩١) (٦٩٧٢) (٧٣١٥) (٧٣١٦) (٧٣٢١) (٧٣٢٢).

[٥٢٣] سبق تخريجهما.

[٥٢٤] هو السعد التفتازاني، وقد سبقت ترجمته.

[٥٢٥] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٣)

قال الولي العراقي : اختلف أصحابنا في أنه هل يكون بعد إحياء الميت بجملته أو بعد إحياء أقل جزء يحتمل الحياة والعقل؟ وبالأول قال الحليمي[٥٢٦]، وبالثاني قال ابن جرير وإمام الحرمين[٥٢٧].

وقال الحافظ ابن حجر : الروح تعود للنصف الأعلى فقط على ظاهر الخبر، وعلى كل حال هي حياة لا تنفي إطلاق اسم الميت عليه، فهو أمر متوسط بين الموت والحياة، كتوسط النوم بينهما.

[وجوب إثبات سؤال الملكين في القبر]

(**مع سؤال ملكيه**) منكر ونكير كما صرح بهما في «الترمذي»[٥٢٨]. وذكر بعضهم أن ملكي المؤمن يقال لهما : مبشر وبشير.

(**فهو حق**) يجب اعتقاده أيضا، ففي الحديث المتفق عليه : «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا النبي محمد؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله، وأما الكافر والمنافق فيقول : لا أدري»[٥٢٩].

وفي رواية لأبي داود[٥٣٠] : «فيقولان له : من ربك؟ وما دينك؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن : ربي الله، وديني الإسلام، والرجل المبعوث رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-، ويقول الكافر في الثلاث : لا أدري».

---

[٥٢٦] هو الإمام الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ) : الفقيه الشافعيّ، القاضي. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له (المنهاج) في شعب الإيمان، ثلاثة أجزاء، قال الإسنوي: جمع فيه أحكاما كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره. انظر «الأعلام» (٢/ ٢٣٥)

[٥٢٧] انظر : «الغيث الهامع» (٧٨٣)

[٥٢٨] رواه الترمذي في «سننه» (١٠٧١)

[٥٢٩] رواه البخاري في «صحيحه» (١٢٧٣) (١٣٠٨)

[٥٣٠] رواه أبو داود في «سننه» (٤٧٥٥)

وذكر بعض الحفاظ أن حديث السؤال بلغ متواترا[531].

واستثنى منه الشهيد فلا يسأل؛ لقوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- حين سئل عنه: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة». رواه النسائي.[532]

ونحوه في الصديق؛ لأنه أجل قدرا.[533]

واختلف في الأطفال فقيل: يسألون؛ لحديث «الموطأ»: أنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- صلى على صبي فقال: «اللهم قه عذاب القبر»[534].

وقيل: لا يسألون؛ لأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل، فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أولا؟

والجواب عن الحديث أن ليس المراد فيه بعذاب القبر عقوبته، بل مجرد نحو الألم والحسرة والضغطة التي تعم الأطفال وغيرهم.

ورجح[535] هذا القول وأُيِّد بما صرحوا به أنه لا يلقن الطفل، بل يختص التلقين باالبالغ.[536]

[وجوب إثبات الحشر يوم القيامة]

(و) أن (الحشر) حق يأن يحي الله الخلق بعد فنائهم، ويعيدهم بأجزائها وعوارضها كما كانت، وتجمعهم للعرض والحساب، قال -تعالى-: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

---

[531] ذكر ذلك السيوطي. انظر «شرح الكوكب الساطع» (٢/٥٤٨)

[532] رواه النسائي في «سننه» (٢٠٥٢)

[533] انظر «شرح الكوكب الساطع» (٢/٥٤٨)

[534] ليس هذا لفظ «الموطأ»، وإنما الوارد في «الموطأ» رواية يحي بن يحي (٦١٠) بلفظ: «اللهم أعذه من عذاب القبر».

[535] رجحه السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/٥٤٩)

[536] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/٥٤٨)

والقرآن والسنة طافحان بذلك.[537]

[وجوب إثبات الحوض]

وأهمل الناظم كـ «أصله» الحوض، فقال -تعالى- : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

روى مسلم أنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- قال : «أتدرون ما الكوثر؟» قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : «فإنه نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة». الحديث[538].

وفي «الصحيح» : «حوضي مسيرة شهر» إلى أن قال : «من شرب منه لم يظمأ بعده أبدا»[539]. وفي رواية : «يشخب فيه ميزابان من الجنة»[540].

وفي «سنن ابن ماجه»[541] : «الكوثر نهر في الجنة»[542].

---

[537] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٥٠)

[538] رواه مسلم في «صحيحه» (٨٢٤) وأحمد في «مسنده» (١٣٤٨٠) وأبو داود في «سننه» (٧٨٤) (٤٧٤٩) والترمذي في «سننه» (٢٥٤٢) وغيرهم من الحفاظ.

[539] رواه البخاري في «صحيحه» (٦٢٠٨) ومسلم في «صحيحه» (٦٠٣٦) وغيرهما من الحفاظ.

[540] رواه مسلم في «صحيحه» (٦٠٥٥) و أحمد في «مسنده» (٢١٣٢٧) والبزار في «مسنده» (٣٩٦٠) وغيرهم من الحفاظ.

[541] رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٣٣٤)

[542] رواه غير ابن ماجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٣١٩) (٣٥٢٣٣) وأحمد في«مسنده» (٥٣٥٥) (٦٤٧٦) (١١٩٩٤) وغيرهم من الحفاظ.

ولذا قال القرطبي[٥٤٣] : وهما حوضان، الأول قبل الصراط وقبل الميزان على الأصح، فإن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيردونه قبلها، والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا.[٥٤٤]

[وجوب إثبات الصراط]

(**و**) أن (**الصراط**) -بالصاد والسين بإشمام الصاد زايا- لغات فصيحة وردت في السبع[٥٤٥].

وهو كما في «مسلم»[٥٤٦] : جسر ممدود على ظهر جهنم، أدق من الشعر، وأحد من السيف.[٥٤٧]

ففي «الصحيح»[٥٤٨] : «يضرب الصراط بين ظهري جهنم، ويمر المؤمنون عليه، فأولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وأشد الرجال، حتى يجيئ الرجل ولا يستطيع يسير إلا زحفا، وفي حافيته كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار».

[٥٤٣] هو الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) : من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن" و " قمع الحرص بالزهد والقناعة " و " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى " و " التذكار في أفضل الأذكار" و " التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة" و " التقريب لكتاب التمهيد" وكان ورعا متعبدا، طارحا للتكلف، يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية. انظر «الأعلام» (٥/ ٣٢٢)

[٥٤٤] انظر : «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (٧٠٢)

[٥٤٥] انظر : «السبعة في القراءات» (١/ ١٠٥)

[٥٤٦] رواه مسلم في «صحيحه» (٣٧٤)

[٥٤٧] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٤) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٥٢)

[٥٤٨] الحديث بهذا المعنى رواه مسلم في «صحيحه» (٤٠١)

وفي «الترمذي»[٥٤٩] : «شعار المؤمنين عليه رب سلم سلم».

وفي «الصحيح»[٥٥٠] أن ذلك قول الرسل.

وعند «ابن أبي الدنيا»[٥٥١] أن ذلك قول الملائكة[٥٥٢].

قال الحافظ السيوطي : فالظاهر أن الكل يقولون ذلك[٥٥٣].

[وجوب إثبات الميزان]

(و) أن (الميزانا) حق.

قال -تعالى- : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية.

وقال -تعالى- : ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨].

ونقل بعضهم إجماع أهل السنة على الإيمان بالميزان.[٥٥٤]

والأحاديث فيه كثيرة.

---

[٥٤٩] رواه الترمذي في «سننه» (٢٤٣١) وأصل هذا الحديث موجود في «صحيح البخاري» (٧٧٣) (٦٢٠٤) (٧٠٠٠) وفي «صحيح مسلم» (٣٧٠) (٤٠١) غير أنه شعار الرسول صلى الله عليه وسلم.

[٥٥٠] سبق تخريجه قبل قليل.

[٥٥١] هو الإمام عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر (٢٠٨ - ٢٨١ هـ) : حافظ للحديث، مكثر من التصنيف. أدّب الخليفة المعتضد العباسي، في حداثته، ثم أدب ابنه المكتفي. له مصنفات اطلع الذهبي على ٢٠ كتابا منها، ثم ذكر أسماءها كلها، فبلغت ١٦٤ كتابا، منها " الفرج بعد الشدة" و " مكارم الأخلاق" و "ذم الملاهي" و " يقيقن" و " الشكر" و " قرى الضيف" و" العقل وفضله " و "قصر الأمل" و " الإشراف في منازل الأشراف" و " العظمة" و " من عاش بعد الموت" و " ذم الدنيا" وكتاب " الجوع" و " ذم المسكر" و " الرقة والبكاء" و " الصمت" و " قضاء الحوائج" و " نوادر" و " الرغائب" و " أخبار قريش ". انظر «الأعلام» (٤/ ١١٨)

[٥٥٢] رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٧٠)

[٥٥٣] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٥٣)

[٥٥٤] نقله الزجاج كما ذكره السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٥٣)

[اختلاف العلماء في الموزون]

واختلف هل الموزون الأعمال بأن تجسد أو الصحف؟

يدل للأول حديث «أبي داود»[٥٥٥] وغيره[٥٥٦] : «ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن».

وللثاني حديث البطاقة التي فيها : «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله» ففي آخره : «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[٥٥٧].

قال الغزالي : ولا يكون -أي الميزان- في حق كل أحد، فالسبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان، ولا يأخذون صحفا، انتهى[٥٥٨].

[وجوب إثبات النار والجنة وأنهما مخلوقتان الآن]

(**نار**) بجميع دركاتها و (**الجنان**) -بكسر الجيم- جمع جنة (**مخلوقتان**) عند أهل السنة (**الآنا**)، يعني قبل يوم الجزاء؛[٥٥٩] للنصوص الدالة على ذلك كقوله -تعالى- : ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] وقوله -تعالى- : ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].[٥٦٠]

فإن صيغة المضي فيهما تدل على كونهما مخلوقتين فيما مضى.[٥٦١]

---

[٥٥٥] رواه أبو داود في «سننه» (٤٨٠١) بلفظ «ما من شيء أثقل فى الميزان من حسن الخلق».

[٥٥٦] رواه البزار في «مسنده» (٤٠٩٨) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٢٠) وأبو نعيم في «حلية العلماء» (٧/ ٢٦٢)

[٥٥٧] الحديث رواه أحمد في «مسنده» (٦٩٩٤) وابن ماجه في «سننه» (٤٣٠٠) والترمذي في «سننه» (٢٦٣٩) وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٥) وغيرهم من الحفاظ.

[٥٥٨] نقله السيوطي في «شرح الكوكب» (٢/ ٥٥٥)

[٥٥٩] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٦)

[٥٦٠] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٥٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٦) «الغيث الهامع» (٧٨٥)

[٥٦١] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٥)

وكقصة آدم وحواء في إسكانهما الجنة، وإخراجهما منها، والأحاديث الصحيحة في معنى ذلك كثيرة جدا.[٥٦٢]

وقد انعقد الإجماع كما قاله جمع قبل ظهور المخالف[٥٦٣] على ذلك، ولا قائل بخلق الجنة دون النار، فثبوتها ثبوتها، وقد أجمع العلماء على أن تأويلها من غير ضرورة إلحاد في الدين.[٥٦٤]

وزاد الناظم -رحمه الله تعالى- قوله : (**وما عليهما**) أي النار والجنة (**فلم يطرأ فنا**)، بل هما مؤبدتان، (**و**) كذا (**لا**) يطرأ فناء (**على من فيهما قد أسكنا**) من الكفار والمؤمنين، للرد على الجهمية القائلين بفنائهما وفناء أهلهما؛ لمخالفتهم فيه الكتاب والسنة.

[وجوب نصب الإمام]

(**وواجب**) وجوبا كفائيا (**على الأنام**) من أهل الحل والعقد، والآحاد تبع لهم من غير اشتراط عدد ولا اتفاق في سائر البلاد، بل لو تعلق الحل والعقد بواحد يطاع كفت بيعته.[٥٦٥]

وقوله : (**قولا**) أي شرعا لا عقلا عندنا وعند جمهور المعتزلة.

وقال قوم من الخوارج : لا يجب.

وبعض المعتزلة : لا يجب عند ظهور العدل والإنصاف.

وبعضهم بالعكس.[٥٦٦]

---

[٥٦٢] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٥٥)
[٥٦٣] كالمعتزلة وأمثالهم.
[٥٦٤] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٥)
[٥٦٥] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٧)
[٥٦٦] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٧) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٤٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٦) «الغيث الهامع» (٧٨٧)

(**نصب إمام**) من الإمامة وهي رياسة عامة في الدين والدنيا خلافة عنه -صلى الله تعالى عليه وسلم-.[٥٦٧]

وذلك لإجماع الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- بعد وفاته -صلى الله تعالى عليه وسلم- على نصب الإمام، حتى جعلوه أهم الواجبات، وقدموه على دفنه -صلى الله تعالى عليه وسلم-، ولم يزل الناس في كل عصر على ذلك، واختلافهم في تعيين من يصلح خليفة غير قادح في اتفاقهم على وجوب نصبه؛ ولذا لم يقل أحد منهم : لا حاجة إلى الإمام.[٥٦٨]

وأفاد بعضهم أنه يؤخذ من قولهم : «إمام» بالإفراد أنه لا يجوز تعدده في عصر وبلد واحد، وادعى الإجماع عليه؛ لقوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر». وفي رواية : «فاضربوه بالسيف كائنا من كان». انتهى.

وأشار بقوله : (**أي ولو**) كان من ينصب (**مفضولا**) إلى انعقاد إمامة المفضول مع وجود أفضل.

قال الولي العراقي : وهو الصحيح عند جمهور أصحابنا. وذهب الأشعري وطائفة من قدماء أصحابه إلى منعه، فإن عقدت له مع وجود أفضل منه لم ينعقد، إلا أنه يكون ملكا لا إماما فتمضي أحكامه، وهذا يقتضي أن المسالة اجتهادية، فإنها لو كانت قطعية لعصى العاقدون للمفضول، وبه صرح الإمام في «الإرشاد» انتهى.[٥٦٩]

---

[٥٦٧] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٧)

[٥٦٨] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٤٥) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٦) «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٧)

[٥٦٩] انظر : «الغيث الهامع» (٧٨٧)

[لا واجب على الله تعالى]

(**وما**) نافية (**على**) الله (**الرب العلي شيء وجب**) لعباده، ومن يوجب عليه ولا حكم إلا له؟.[570]

فإنه خالق الخلق، فكيف يجب للمخلوقين المملوكين له بجملة هوياتهم، وأفعالهم لعملهم المستحق عليهم إجراء رعاية مصلحة، فضلا عما هو الأصلح، تعالى الله عن أن يجب عليه.

فإن قيل: هو أوجبه على نفسه؛ إذ قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].[571]

قلت: قد أجاب الناظم عنه بقوله من زيادته: (**ومحض فضل**) وإحسان لا إيجاب وإلزام (**ما عليه**) أي على نفسه (**قد كتب**)، فهو -تعالى- إن أنعم عليهم فبفضله، كما أنه إن منعهم فبعدله.[572]

ولا عبرة بزعم المعتزلة أنه يجب على الله أشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء، واللطف، والأصلح للعباد في الدين والدنيا.[573]

فقد قال السعد[574]: ولعمري أن مفاسد هذا الأصل أعني وجوب الأصلح، بل مفاسد أكثر أصول المعتزلة أظهر من أن تخفى، وأكثر من أن تحصى، وذلك لقصور نظرهم في المعارف الإلهية، وغاية متشبثهم في ذلك أن ترك الأصلح يكون بخلا، وسفها، وجوابه أن منع ما يكون حق المانع، وقد ثبت بالأدلة القاطعة كرمه وحكمته، وعلمه بالعواقب يكون محض عدل وحكمة.[575]

---

[570] انظر: «الغيث الهامع» (٧٨٧)
[571] انظر: «الغيث الهامع» (٧٨٧)
[572] انظر: «الغيث الهامع» (٧٨٧)
[573] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٧)
[574] سبقت ترجمته وهو التفتازاني.
[575] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٩)

وقال الغزالي[576] : لو كان الأصلح واجبا على الله لفعله، ومعلوم أنه لم يفعله فلم يكن واجبا، فإنه -تعالى- لا يترك الواجب، فإن قيل : لا نسلم أنه يفعله، قلنا : الأصلح بالخلق أن يكونوا بالجنة وتركهم فيها، ومعلوم أنه لم يفعل ذلك، فدل على أنه لم يفعل الأصلح بزعمكم أيها المعتزلة.[577]

[وجوب اعتقاد المعاد الجسماني]

و (**نعتقد**) نحن معاشر المسلمين أن (**المعاد**) أي العود (**بالاجسام**) بأجزائها الأصلية وعوارضها المشخصة لها (**حق يقينا**)، قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧] ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] إلى غير ذلك، فالقرآن والأحاديث طافحان بذلك[578].

حتى قال الإمام[579] : الجمع بين إنكار المعاد الجسماني وبين أن القرآن حق متعذر؛ فإن نصوص الكتاب والسنة تواترت به تواترا لا يقبل التشكيك[580].

قال الولي العراقي : «والعجب من تلقى بعض الجهال أصول دينه من الفلاسفة، وقد زادوا على عبدة الأوثان الذين لا يقرون [بالجزيات][581] في إنكار المعاد بالقول بقدم العالم، وعدم بعلمه -تعالى- بالجزئيات، وكذبوا جميع الأنبياء، أعاذنا الله تعالى من موالاة أعدائه».[582]

---

[576] سبقت ترجمته في باب الاجتهاد.
[577] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٨٩)
[578] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٧) «الغيث الهامع» (٧٨٨)
[579] أي الإمام فخر الدين الرازي، كما أشار إليه الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٨٨)
[580] ذكر الولي أن الإمام الرازي ذكر هذا الكلام في كتابه «الأربعين» انظر : «الغيث الهامع» (٧٨٨)
[581] في الأصل : (بالجزية) والتصحيح من نسخة «الغيث الهامع» (٧٨٨)
[582] انظر : «الغيث الهامع» (٧٨٨)

وقوله : (**بعد ذا الإعدام**) أي فيعدمها الله -تعالى- بلا واسطة، فتصير معدومة بالكلية، كما أوجدها كذلك فصارت موجودة ثم يوجدها، وهذا أحد الأقوال الثلاثة في ذلك، وصححه جمع.

وقيل : لا تعدم الأجسام، فيكون المعاد التأليف لا المؤلف.

قال شيخ الإسلام[٥٨٣] : «والحق التوقف، كما في «المواقف» وأقره شارحه، وصرح به السعد، ثم قال : وهو ما اختاره إمام الحرمين، وعلله بأنه لم يدل قاطع سمعي على تعيين أحدهما»[٥٨٤].

[خير البشر بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم]

(**و**) نعتقد (**أن خير**) أي أفضل (**أمة**) نبينا (**المختار**) -صلى الله تعالى عليه وسلم- (من بعده) وبعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- (**رفيقه**) أي صاحبه (**في الغار**)، أي غار ثور، وهو المراد بقوله : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّـهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال ابن حجر : أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر، ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعا[٥٨٥].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : أن الضمير في ﴿فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ لأبي بكر.[٥٨٦]

---

[٥٨٣] هو شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

[٥٨٤] نقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٤٩٠)

[٥٨٥] ذكره البكري الدمياطي في «إعانة الطالبين» (٤/ ١٥٥)

[٥٨٦] انظر : «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠٠٤٧)

أي ولا ينافيه ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾ إرجاعا للضمير في كل مما يليق به، وجلالته ابن عباس قاضية بأنه لو لا علم في ذلك نصا لما حمل الآية عليه، مع مخالفة ظاهرها له.

وروى الترمذي[٥٨٧] عن ابن عمر وحسنه[٥٨٨] أنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- قال لأبي بكر : «أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار».

[حقيقة أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

(حقيقة الصديق)، لقوله -تعالى- : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

أخرج البزار[٥٨٩] وغيره أن عليا -كرم الله تعالى وجهه- قال في تفسيرها : الذي جاء بالحق هو محمد، والذي صدق به أبو بكر[٥٩٠].

قال الحافظ ابن عساكر[٥٩١] : هكذا الرواية «بالحق»، ولعلها قراءة لعلي.

وورد في أحاديث تسميته بالصديق، وكان علي -كرم الله تعالى وجهه- يحلف لَأَنْزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق[٥٩٢].

---

[٥٨٧] رواه الترمذي في «سننه» (٣٦٧٠)

[٥٨٨] كما أنه صححه فإنه قال : «هذا حديث حسن صحيح غريب».

[٥٨٩] رواه البزار في «مسنده» (٩٢٨)

[٥٩٠] رواه أيضا الطبري في «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٨٩) والآجري في «الشريعة» (٤/ ١٧٢٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢٤٥٧)

[٥٩١] هو الإمام علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر بالدمشقي (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) : المؤرخ الحافظ الرحالة. كان محدث الديار الشامية، ورفيق السَّمْعَاني (صاحب الأنساب) في رحلاته. مولده ووفاته في دمشق. له " تأريخ دمشق الكبير" و " الإشراف على معرفة الأطراف" و "تبيين كذب المفتري في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري" و " كشف المغطى في فضل الموطأ" و " تبيين الامتنان في الأمر بالاختتان" و " أربعون حديثا من أربعين شيخا من أربعين مدينة" و " تاريخ المزة " و " معجم الصحابة " و "معجم النسوان " و " تهذيب الملتمس من عوالي مالك بن أنس" و " معجم أسماء القرى والأمصار" و " معجم شيوخ والنبلاء". انظر «الأعلام» (٤/ ٢٧٣)

[٥٩٢] رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٠٥)

وفي رواية : أنه سئل عن أبي بكر، فقال : ذاك امرؤ سماه الله -تعالى- الصديق. رواه الحاكم[593].

[وجوب اعتقاد صحة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

(**والخلافة**) له -صلى الله تعالى عليه وسلم- (**بالحق**) إجماعا.[594]

فقد قال الشافعي -رضي الله تعالى عنه- : أجمع الناس على خلافة أبي بكر، وذلك أنه اضطرب الناس بعد رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر، فولوه رقابهم. رواه البيهقي[595] عن الزعفراني أنه سمعه يقول ذلك.[596]

وقد صرح بالإجماع جماعة من الصحابة.

قال ابن حجر : ولذا كان هو الأحق بالخلافة عند جميع أهل السنة والجماعة في كل عصر منا إلى الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-، وكذلك عند جميع المعتزلة، وأكثر الفرق، وإجماعهم على خلافته قاض بإجماعهم على أنه أهل لها، مع أنه من الظهور، بحيث لا تخفى، فلا يقال إنها واقعة يحتمل أنها لم تبلغ بعضهم، إلى آخر ما أطال.

[ذكر فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

(**وهو**) سيدنا أبو بكر (**ابن أبي قحافة**) -رضي الله تعالى عنهما-، قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «إن روح القدس جبريل أخبرني أن خير أمتك بعدك أبو بكر». رواه الطبراني[597].

---

[593] رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٠٦)
[594] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩١)
[595] رواه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٣٥٤)
[596] انظر : «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٦٧٣) و «حلية الأولياء» (٩/ ١١٥)
[597] رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤٤٨)

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي بكر، إلا أن يكون نبيا». رواه أبو نعيم[598] وغيره[599].

وقال عمر بن الخطاب على المنبر : «ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير هذا فهو مفتر عليه ما على المفتري». رواه ابن عساكر.[600]

[أفضل البشر بعد أبي بكر الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما]

(فـ) بعده أمير المؤمنين سيدنا (عمر) بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-.

وقوله : (الفاروق) لقب له من النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم، ففي قصة أول إسلامه أنه قال : يا رسول الله ألسنا على الحق؟ قال : «بلى» قال : ففيم الاختفاء؟ فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إلي وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة، فسماني رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- الفاروق يومئذ، وفرق بين الحق والباطل. رواه أبو نعيم[601] وغيره.

وأخرج ابن سعد[602] عن ذكوان قال : قلت لعائشة -رضي الله تعالى عنها- : من سمى عمر الفاروق؟، قالت : رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-.[603]

[أفضل البشر بعد عمر بن الخطاب عثمان بن عفان رضي الله عنهما]

(ثمة) بعده أمير المؤمنين سيدنا (الولي عثمان) بن عفان -رضي الله تعالى عنه-، وتلقيبه بالولي لقوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «عثمان بن عفان وليي في الدنيا ووليي في الآخرة». رواه أبو يعلى من حديث جابر مرفوعا.[604]

---

[598] رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٢٥)
[599] رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٥٠٨) والآجري في «الشريعة» (١٣٠٩) والمخلص في «المخلصيات» (١٩١٥) وغيرهم من الحفاظ.
[600] انظر : «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٤٣)
[601] رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٤٠)
[602] رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٠٥)
[603] رواه أيضا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩٤٤٠) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ١٣٧)
[604] رواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٢٠٥١)

[أفضل البشر بعد عثمان بن عفان علي بن أبي طالب رضي الله عنهما]

(**ثم**) بعده أمير المؤمنين، سيدنا (**المرتضى المولى علي**) بن أبي طالب -كرم الله تعالى وجهه-.

وتلقيبه بالمرتضى مشهور، ولكني لم أستحضر الآن التصريح به في الحديث، وأما بالولي فلقوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٦٠٥].

وهو حديث مشهور، بل متواتر كما اقتضاه قول ابن حجر : إنه رواه عن النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- ثلاثون صحابيا، وإن كثيرا من طرقه صحيح أو حسن.[٦٠٦]

[اختلاف العلماء في تفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما]

وهذا الترتيب الذي ذكره كغيره هو الذي وقع عليه الاتفاق، نعم، اختلف في عثمان وعلي، فقيل بتفضيل علي على عثمان، وقيل -وهو رواية عن مالك- بالوقف عن التفاضل بينهما، والأكثرون منهم الشافعي وأحمد ومالك في المشهور عنه تفضيل عثمان ثم علي.[٦٠٧]

وحكى عياض رجوع مالك عن التوقف في ذلك إلى نفضيل عثمان، قال القرطبي : وهو الأصح إن شاء الله تعالى.[٦٠٨]

---

[٦٠٥] رواه ابن ماجه في «سننه» (١٢١) والترمذي في «سننه» (٣٧١٣) وأحمد في «مسنده» (٦٤١) (٩٥٠) (١٣١١) وغيرهم من الحفاظ. قال الترمذي في «سننه» (٢٧١٣) : «هذا حديث حسن صحيح».

[٦٠٦] انظر : «فتح الباري» (٧/ ٧٤)

[٦٠٧] انظر : «الغيث الهامع» (٧٩١)

[٦٠٨] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩١)

روى البخاري[109] عن ابن عمر : كنا في زمن رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- لا نَعْدِل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- لا نفاضل بينهم.

وفي رواية «أبي داود»[110] : ورسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- حي.

وزاد الطبراني : فبلغ ذلك رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- فلم ينكره.[111]

وأخرج ابن عساكر عنه قال : كنا -وفينا رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- نفضل أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا[112].

[اختلاف العلماء في ترتيب هذا التفضيل]

وهل الترتيب المذكور قطعي، وعليه الأشعري، أو ظني وعليه القاضي أبو بكر؟.[113]

قال ابن حجر : ومما يؤيده أن المجمعين أنفسهم لم يقطعوا بالأفضلية المذكورة، وإنما ظنوها فقط، كما هو المفهوم من عبارات الأئمة وإشاراتهم، وسبب ذلك أن المسألة اجتهادية، ومن مستنده أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله -تعالى- لخلافة نبيه -صلى الله تعالى عليه وسلم- فكان الظاهر أن منزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة.

---

[109] رواه البخاري في «صحيحه» (٣٤٩٤)
[110] رواه أبو داود في «سننه» (٤٦٣٠)
[111] رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٥٧)
[112] رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٤٦)
[113] انظر : «الغيث الهامع» (٧٩١)

[أفضل الناس بعد الخلفاء الراشدين بقية العشرة المبشرين بالجنة]

ثم بعد هؤلاء في الفضل بقية العشرة، ثم أصحاب بدر، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، صرح بذلك جماعة، بل نقل أبو منصور التميمي الإجماع على ذلك.

[وجوب اعتقاد براءة عائشة رضي الله عنها من كل قذف]

(**و**) نعتقد أنْ قد (**برأ الله العليم**) أم المؤمنين سيدتنا (**عائشة**) بنت أبي بكر الصديق من الإفك الذي رماها به المنافقون وقذفوها به، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي سلول رئيس المنافقين، وقد أنزل الله -تعالى- في برائتها العشر آيات، أوائل سورة النور من قوله -تعالى- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور: ١١] إلخ.[٦١٤]

(**فـ**) من ثم انقعد الإجماع على وجوب اعتقاد براءتها من ذلك، و (**يكفر الرامي له**) أي عائشة -رضي الله تعالى عنها- (**بفاحشه**) أي زنا؛ لتكذيبه للقرآن.[٦١٥]

[وجوب الإمساك عن تشاجر الصحابة رضي الله عنهم]

و (**نمسك**) وجوبا (**عن**) ما وقع من (**تشاجر**) أي تخاصم (**الصحابة**) ومنازعتهم ومحاربتهم التي قتل بسببها كثير منهم.[٦١٦]

قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي». رواه الترمذي[٦١٧].

وقال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا».[٦١٨]

---

[٦١٤] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٩) «الغيث الهامع» (٧٩٢) «حاشية العطار» (٢/ ٤٩١)

[٦١٥] انظر : «الغيث الهامع» (٧٩٢)

[٦١٦] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٣) «البدر الطالع» (٢/ ٤٤٩) «الغيث الهامع» (٧٩٢)

[٦١٧] رواه الترمذي في «سننه» (٣٨٦٢) وأحمد في «مسنده» (٢٠٥٤٩) (٢٠٥٧٨) وغيرهما.

[٦١٨] رواه الطبراني في «الكبير» (١٤٢٧) (١٠٤٤٨) وعبد الرزاق في «الأمالي» (٥١) والحارث في «بغية الحارث» (٧٤٢) وغيرهم من الحفاظ.

بل يجب علينا تحسين الظن بجميعهم، والثناء عليهم، كما أثنى الله -عز وجل- ورسوله -صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين-، وما وقع من ذلك لهم فيه تأويلات ومحامل قوية، وعدالتهم ثابتة بنص الكتاب والسنة، فلا تزول بالاحتمال.

بل (**كلا**) منهم (**نراه**) أي نعتقده (**مُحرزا ثوابه**) في ذلك؛ لأنه مبني على الاجتهاد في مسألة ظنية، فللمصيب فيها أجران على اجتهاده وإصابته، وللمخطئ أجر اجتهاده، كما ثبت في الحديث[٦١٩] المتفق عليه.[٦٢٠]

وقد قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[٦٢١]. رواه الترمذي[٦٢٢].

وأما ما حكي عن هفوات لبعضهم فكفرها الله -تعالى- عنهم بقوله -عز قائلا- : ﴿رَّضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ، وإكثار مدحه -صلى الله تعالى عليه وسلم- لهم، ونهيه عن انتقصاهم، وترتيبه الوعيد الشديد على نقص أحد منهم من غير تفصيل، مع كونه في مقام بيان ما نزل إلى الأمة من ربهم، فلولا أن المراد العموم لما ساغ ذلك الإجمال.

والحاصل أن ما وقع بينهم من القتال ونحوه مقصور على الدنيا فقط، وأما في الآخرة فكلهم مجتهدون مثابون، وإنما التفاوت بينهم في الثواب، فهم كلهم ساعون في رضا الله -تعالى- وطاعته، بحسب ظنونهم واجتهاداتهم الناشئة عن سعة علومهم التي منحوها من نبيهم ومشرفهم -صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين-.

---

[٦١٩] وهو حديث «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» رواه البخاري في «صحيحه» (٦٩١٩) ومسلم في «صحيحه» (٤٥٠٧)

[٦٢٠] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٠) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٣)

[٦٢١] الحديث بهذا اللفظ رواه الآجري في «الشريعة» (١١٦٦) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٦٠) وابن بطة في «الإبانة» (٧٠٢)

[٦٢٢] لم أقف على نص هذا الحديث في سنن الترمذي بعد البحث عنه فيه، والله أعلم.

[ذكر فضائل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى]

(و) نرى أن قدوتنا وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس (الشافعي)[١٢٣] كان -رضي الله تعالى عنه- في التمكن من العلوم، عجبا عجابا، مبرزا في الاستنباط من الكتاب والسنة، بارعا في أقسام الخطاب، لم يسبق إلى فتح باب أصول الفقه، وهو أول من دونه إجماعا، كما قاله بعض الحفاظ، آية في الجمع بين الحديث، قوله حجة في العربية.[١٢٤]

وكان يلقب ناصر السنة لما ناظر أكابر بغداد وظفر عليهم، كمحمد بن الحسن الشيباني[١٢٥]، حتى قال في حقه : «إن تكلم أهل الحديث فبلسان الشافعي».[١٢٦]

---

[١٢٣] هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) : أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيا مفرطا. له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) و (المسند) و (أحكام القرآن) و (السنن) و (الرسالة) و (اختلاف الحديث) و (السبق والرمي) و (فضائل قريش) و (أدب القاضي) و (المواريث). انظر «الأعلام» (٦/ ٢٦)

[١٢٤] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٣)

[١٢٥] هو الإمام محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله (١٣١ - ١٨٩ هـ) : الإمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط. ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله. ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري. قال الشافعيّ: (لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد ابن الحسن، لقلت، لفصاحته) ونعته الخطيب البغدادي بإمام أهل الرأي. له كتب كثيرة في الفقه والأصول، منها (المبسوط) و (الزيادات) و (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) و (الآثار) و (السير) و (الموطأ) و (الأمالي) و (المخارج في الحيل) و (الأصل) و (الحجة على أهل المدينة). انظر «الأعلام» (٦/ ٨٠)

[١٢٦] رواه ابن المقرئ في «معجمه» (٨٤١) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٩١)

وكفاه فخرا قوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «عالم قريش يملأ طباق الأرض علما»[127].

فقد حمله أحمد وغيره من المحققين على الشافعي؛ لأنه لم يوجد في قرشي من انتشار علومه، وكثرة أتباعه في سائر الآفاق، ولا سيما في الحرمين والأرض المقدسة، وهذه الثلاثة أهلها أفضل الأرض، وأهلها ما وجد في الشافعي، فكانت إرادته أقرب للفظ الحديث من غيره.[128]

ثم هو العالم المبعوث في رأس المائة الثانية المشار إليه في حديث «أبي داود»[129] : «ويبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها»[130].

ومن خوارقه التي لم يقع نظيرها لمجتهد غيره استنباطه، وتحريره لمذهبه الجديد على سعته المفرطة في نحو أربع سنين.

قال بعض السلف للشافعي -رضي الله تعالى عنه- : «ثلاث لم يسبق إلى واحدة منها :

قوله : إذا صح الحديث فهو مذهبي.

وقوله : وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لا ينسب إلي حرف منه.

وقوله : ما ناظرت أحدا إلا وددت أن يظهر الله الحق على يديه». انتهى.[131]

---

[127] الحديث بهذا المعنى رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٨٥٥) (٢٧٥٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٦٥) والبيهقي في «معرفة السنن» (٤١٤) وابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٤٥٨) والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٢/ ٥٩) وابن عساكر في «تاريخه» (٥١/ ٣٢٦) قال الحافظ ابن كثير في «طبقات الشافعيين» (قال عبد الملك بن محمد أبو نعيم: هذه الصفة لا تنطبق إلا على الشافعي)

[128] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٤)

[129] رواه أبو داود في «سننه» (٤٢٩٣)

[130] رواه أيضا الطبراني في «الأوسط» (٦٥٢٧) والحاكم في «المستدرك» (٨٥٩٢) (٨٥٩٣) وغيرهما من الحفاظ.

[131] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٤)

[ذكر فضائل الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى]

(و) شيخه الإمام، أبو عبد الله (مالك) بن أنس[132]، إمام در الهجرة الذي عليه حمل حديث «الترمذي» : «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة»[133].

ولذا يلقب بأمير المؤمنين في الحديث[134].

وقال الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم[135].

وقال أيضا : إذا وجدت لمالك حديثا فشد يديك به.

وقال أيضا : وما أحد أمنّ عليّ من مالك.

وقال الليث بن سعد[136] : علم مالك علم نقي، علم مالك أمان لمن أخذ به من الأنام.

---

[132] هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله(٩٣ - ١٧٩ هـ) : إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطا انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف " الموطأ". وله رسالة في " الوعظ " وكتاب في "المسائل" ورسالة في "الرد على القدرية" وكتاب في "النجوم" و "تفسير غريب القرآن". انظر «الأعلام» (٥/ ٢٥٧)

[133] رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٨٠) وأحمد في «مسنده» (٧٩٨٠) والطحاوي في «شرح مشكل الاثار» (٤٠١٦) وابن حبان في «صحيحه» (٣٧٣) وغيرهم من الحفاظ.

[134] ذكره السيوطي في «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٤)

[135] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٤)

[136] هو الإمام الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث (٩٤ - ١٧٥ هـ) : إمام أهل مصر في عصره، حديثا وفقها. قال ابن تغري بردي: " كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته ". أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد. وقال الإمام الشافعي: (الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به). أخباره كثيرة، وله تصانيف. ولابن حجر العسقلاني كتاب "الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية". انظر «الأعلام» (٥/ ٢٤٨)

وقال أيضا : والله، ما على وجه الأرض أحب إلي من مالك، اللهم زد من عمري في عمره.

وكان الأوزاعي[١٣٧] يقول فيه : عالم العلماء، عالم المدينة، مفتي الحرمين.

وقال يحي بن سعيد القطان[١٣٨] : مالك رحمة لهذه الأمة.

وقال حماد بن زيد[١٣٩] : إن أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة، واصغ إلى قوله، فإنه حجة، مالك بن أنس إمام الناس.

وقال حماد بن سلمة[١٤٠] : لو قيل لي : اختر لأمة محمد -صلى الله تعالى عليه وسلم- إمام ما يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكا لذلك موضعا، ورأيت صلاحا للامة.

إلى غير ذلك من ثناء الأئمة له.

---

[١٣٧] هو الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو (٨٨ - ١٥٧ هـ) : إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبكّ، ونشأ في البقاع، وسكن ببروت وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع. له كتاب (السنن) و (المسائل). انظر «الأعلام» (٣/ ٣٢٠)

[١٣٨] هو الإمام يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد (١٢٠ - ١٩٨ هـ) : من حفاظ الحديث، ثقة حجة. من أقران مالك وشعبة، من أهل البصرة. كان يفتي بقول أبي حنيفة. وأورد له البلخي سقطات. ولم يُعرف له تأليف الّا ما في كشف الظنون من أن له كتاب " المغازي "، قال أحمد بن حنبل: ما رأيت بعينيّ مثل يحيى القطان. انظر «الأعلام» (٨/ ١٤٧)

[١٣٩] هو الإمام حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضميّ، مولاهم، البصريّ، أبو إسماعيل (٩٨ - ١٧٩ هـ) : شيخ العراق في عصره. من حفاظ الحديث المجوّدين. يعرف بالأزرق. أصله من سبي سجستان، ومولده ووفاته في البصرة. وكان ضريرا طرأ عليه العمى، يحفظ أربعة آلاف حديث. خرّج حديثه الأئمة الستة. انظر «الأعلام» (٢/ ٢٧١)

[١٤٠] هو الإمام حماد بن سلمة بن دينار البصري الرّبعي بالولاء، أبو سملة (ت : ١٦٧ هـ) : مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النحاة. كان حافظا ثقة مأمونا، إلّا أنه لما كبر ساء حفظه فتركه البخاريّ، وأما مسلم فاجتهد وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره. ونقل الذهبي: كان حماد إماما في العربية، فقيها، فصيحا مفوها، شديدا على المبتدعة، له تآليف. وقال ابن ناصر الدين: هو أول من صنف التصانيف المرضية. انظر «الأعلام» (٢/ ٢٧٢)

[ذكر فضائل الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى]

والإمام الأعظم، أبو حنيفة (نعمان) ابن ثابت بن زرطي الكوفي[٦٤١].

وهو العالم المبشر به في الحديث الصحيح : «لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس»[٦٤٢].

وفي رواية : «لو كان العلم معلقا عند الثريا»[٦٤٣].

وفي أخرى : «لا تناله العرب يناله رجال من أبناء فارس»[٦٤٤].

وفي أخرى : «لو كان الإيمان إلخ».[٦٤٥]

فهذا الحديث كما قاله الحافظ السيوطي أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة، وفي الفضيلة التامة له، نظير الحديثين السابقين في الشافعي ومالك؛ إذ لم يبلغ أحد في زمنه من أبناء فارس في العلم مبلغه، ولا مبلغ أصحابه، وليس المراد

---

[٦٤١] هو الإمام النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ) : إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعا. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات (قال ابن خلكان: هذا هو الصحيح) . وكان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقا، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلا لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته! وكان كريما في أخلاقه، جوادا، حسن المنطق والصورة، جهوري الصوت، إذا حدث انطلق في القول وكان لكلامه دوي، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. له كتب منها : "المسند" و " المخارج" وتنسب إليه رسالة " الفقه الأكبر". توفي ببغداد وأخباره كثيرة. انظر «الأعلام» (٨/ ٣٦)

[٦٤٢] الحديث بذكر لفظ (العلم) رواه أحمد في «مسنده» (٧٩٥٠) (٩٤٤٠) (١٠٠٥٧) والحارث في «مسنده» (١٠٤٠) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٢٢٩) وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠٩) وغيرهم من الحفاظ.

[٦٤٣] رواه أبو عوانة في «مسنده» (١٧٣٤)

[٦٤٤] رواه معمر بن راشد في «جامعه» (١٩٩٢٣) والحارث في «مسنده» (١٠٤٠) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣٠٠)

[٦٤٥] رواه البخاري في «صحيحه» (٤٦١٥) أبو يعلى في «مسنده» (١٤٣٨) وأحمد في «مسنده» (٩٤٠٦) وغيرهم من الحفاظ.

بفارس البلد المعروف، بل جنس من العجم وهو الفرس، وقد صرح الأكثرون بأن جده منهم.

وورد في خبر الديلمي : «خير العجم فارس»[٦٤٦].

وقد لقي الإمام أبو حنيفة أنس بن مالك، وجماعة آخرين من الصحابة على خلاف في بعضهم، فهو من التابعين الذين شملهم قوله -تعالى- : ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية.

وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصى.

دخل أبو حنيفة على مالك فرفعه ثم قال بعد خروجه : أتدرون من هذا؟ قالوا : لا، قال : هذا أبو حنيفة النعمان، لو قال : هذه الأسطوانة من ذهب لخرجت كما قال، لقد وفق له الفقه حتى ما عليه كثير مؤنة[٦٤٧].

وقال الشافعي : من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة[٦٤٨].

وفي أخرى : من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولا يتفقه.

وقال الإمام يحي بن معين[٦٤٩] : القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركت الناس[٦٥٠].

---

[٦٤٦] نسبه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٤١٠٩) إلى رواية الديلمي عن علي، وعده الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١٧٤) من الموضوعات. وقال : «هو موضوع، وفي إسناده مجهولون».

[٦٤٧] رواه الصيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (١/ ٨١)

[٦٤٨] رواه الصيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (١/ ٢٦) وابن عبد البر في «الانتقاء» (١/ ١٣٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٤٥) وغيرهم من الحفاظ.

[٦٤٩] هو الإمام يحيى بن معين بن عون بن زياد المرى بالولاء، البغدادي، أبو زكريا (١٥٨ - ٢٣٣ هـ) : من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله. نعته الذهبي بسيد الحفاظ وقال العسقلاني: إمام الجرح والتعديل. وقال ابن حنبل: أعلمنا بالرجال. ومن كلامه: كتبت بيدي ألف ألف حديث. له " التاريخ والعلل" و " معرفة الرجال" و " الكنى والأسماء ". وعاش ببغداد. وتوفي بالمدينة حاجا، وصلى عليه أميرها. انظر «الأعلام» (٨/ ١٧٣)

[٦٥٠] رواه الصيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (١/ ٨٧) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٤٦)

وقال سفيان الثوري : هو أفقه أهل الأرض.[651] انتهى.

(مع) الإمام أبي يعقوب (إسحاق) بن إبراهيم راهويه الحنظلي[652]، أحد أئمة المسلمين، وهداة المؤمنين، الجامع بين الفقه والحديث.

أخبر عن نفسه أنه حفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلب[653].

ويقول أيضا : لكأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفا أسردها.[654]

ويلقب بشهنشاه الحديث[655].

قال الإمام أحمد : لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق[656].

وقال أيضا : لا أعرف له في العراق نظيرا.[657]

وسئل عنه فقال : مثل إسحاق يسأل عنه؟! إسحاق إمام من أئمة المسلمين.

---

[651] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٤٤)

[652] هو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه (١٦١ - ٢٣٨ هـ) : عالم خراسان في عصره. من سكان مرو (قاعدة خراسان) وهو أحد كبار الحفاظ. طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وقيل في سبب تلقيبه (ابن راهويه) أن أباه ولد في طريق مكة فقال أهل مرو: راهويه! أي ولد في الطريق. وكان إسحاق ثقة في الحديث، قال الدرامي: (ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقة). وقال فيه الخطيب البغدادي: (اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، ورحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن). وله تصانيف، منها (المسند). استوطن نيسابور وتوفي بها. انظر «الأعلام» (١/ ٢٩٢)

[653] ذكره ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ١٢٢) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٥) وغيرهما من المؤرخين.

[654] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٩)

[655] ذكره السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٨٧) نقلا من الخليلي في «الإرشاد». وانظر أيضا : «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢/ ٧٢)

[656] رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ١٢٢) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٥)

[657] رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٠)

وقال أيضا : إذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتمسك به[158].

وقال سعيد بن ذؤيب[159] : ما أعلم على وجه الأرض مثل إسحاق.[160]

وقال الدارمي[161] : ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه[162].

وقال ابن خزيمة[163] : والله، لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه، وعلمه، وفقهه[164].

وقال محمد بن أسلم الطوسي[165] : لو كان سفيان الثوري في الحياة لاحتاج إلى إسحاق[166].

---

[158] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٨) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٠)

[159] هو سعيد بن ذؤيب المروزي قال أبو حاتم : مجهول.وذكره أبو حاتم بن حبان في كتاب «الثقات»، وقال: مات سنة سبع وثلاثين ومئتين. وروى له النسائي. انظر «تهذيب الكمال» (١٠/ ٤٢٤)

[160] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٧) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٢٥)

[161] هو الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارميّ السمرقندي، أبو محمد (١٨١ - ٢٥٥ هـ) : من حفاظ الحديث. سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان من خلق كثير. واستقضي على سمرقند، فقضى قضية واحدة، واستعفى فأعفي. وكان عقلا فاضلا مفسرا فقيها أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند. له " المسند" و " الجامع الصحيح " ويسمى " سنن الدارميّ " وله " الثلاثيات". انظر «الأعلام» (٤/ ٩٦)

[162] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٨)

[163] هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر (٢٢٣ - ٣١١ هـ) : إمام نيسابور في عصره. كان فقيها مجتهدا، عالما بالحديث. مولده ووفاته بنيسابور. رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر، ولقبه السبكي بإمام الأئمة. تزيد مصنفاته على ١٤٠ منها (التوحيد وإثبات صفة الرب) و (مختصر المختصر) المسمى (صحيح ابن خزيمة). انظر «الأعلام» (٦/ ٢٩)

[164] ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» طبعة الرسالة (١١/ ٣٧٢) والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٨٦)

[165] هو الإمام محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد، أبو الحسن الكندي، مولاهم (ت : ٢٤٢ هـ)، الطوسي: من حفاظ الحديث. اشتهر بالصلاح، ونعته الذهبي بشيخ المشرق. له (المسند) و (الرد على الجهمية) و (الإيمان والأعمال) في الرد على الكرامية و (أربعون حديثا). انظر : «الأعلام» (٦/ ٣٤)

[166] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٣)

وقال أيضا : ما أعلم أحدا كان أخشى لله من إسحاق، يقول الله -تعالى- : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وكان أعلم الناس. انتهى.[٦٦٧]

[ذكر فضائل الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى]

والإمام أبي عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد (**الأوزاعي**) -بنقل حركة الهمزة وسكون ياء النسبة للوزن-، إمام أهل الشام في زمانه، لم يكن فيه أعلم منه في الحديث والفقه.

قيل : إنه أجاب في سبعين ألف مسألة[٦٦٨].

قال عبد الرحمن بن مهدي[٦٦٩] : أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة.[٦٧٠]

وما كان أحد بالشام أعلم بالسنة من الأوزاعي، وكان سفيان يعظمه جدا.

---

[٦٦٧] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٤٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٣٣)

[٦٦٨] رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١٨٤) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١٦٢)

[٦٦٩] هو الإمام عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي، أبو سعيد (١٣٥ - ١٩٨ هـ) : من كبار حفاظ الحديث. وله فيه (تصانيف) حدّث ببغداد. ومولده ووفاته في البصرة. قال الشافعيّ: لا أعرف له نظيرا في الدنيا. انظر «الأعلام» (٣/ ٣٣٩)

[٦٧٠] رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١١٨) وابن عبد البر في «الانتقاء» (١/ ٢٨) وغيرهما.

روي : أنه بلغه[171] مقدم الأوزاعي فخرج حتى لقيه بذي طوى، فحل سفيان رأس بعيره من القطار، ووضعه على رقبته، فكان إذا مر بجماعة قال : الطريق للشيخ!.[172]

[171] الضمير يرجع إلى سفيان الثوري، انظر «الجرح والتعديل» (١/ ٢٠٨)

[172] في هامش الأصل المخطوط وجدت زيادات تتعلق بترجمة الإمام الأوزاعي وغيره، يبدو أنها للمصنف -رحمه الله تعالى-، وهي واضحة الخط غير أنها غير كاملة لانقطاع الكتابة بانقطاع الورقة المخطوطة في تلك الصفحة. وبعد البحث علمت أن هذه الزيادات مأخوذة بتمامها من كتاب «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي.

ويؤيد تقريري أنني وجدت لفظ «للحافظ الذهبي» في آخر الهامش. قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٣٦) : «أنا الفريابي قال : اجتمع سفيان والأوزاعي وعباد بن كثير بمكة فقال سفيان: يا أبا عمرو حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي -يعني عم السفاح- فقال: لما قدم الشام وقَتَل بني أمية جلس يوما على سريره وعبي أصحابه أربعة أصناف؛ صنف بالسيوف المسللة، وصنف معهم الجرزة، وصنف معهم الأعمدة، وصنف معهم الكافر كوب، ثم بعث إلي، فلما صرت إلى الباب انزلوني عن دابتي وأخذ اثنان بعضدي وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي، فقال لي: أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير. قال: ما تقول في دماء بني أمية؟ قلت: قد كان بينك وبينهم عهود وكان ينبغي أن تفوا بها. قال: ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا، فأجهشت نفسي وكرهت القتل، فذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها فقلت: دماؤهم عليك حرام. فغضب، وانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، فقال لي: ويحك. ولم قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زانٍ، ونفس بنفس، وتارك لدينه"! قال: ويحك أوليس الأمر لنا ديانة؟ قلت: كيف ذاك؟ قال: أليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلي؟ قلت: لو أوصى إليه لم حُكم الحكمين. فسكت وقد اجتمع غضبا، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي فقال بيده هكذا؛ أومى أن: أخرجوه، فخرجت فما أبعدت حتى لحقني فارس فنزلت وقلت: قد بعث ليأخذ رأسي أصلي ركعتين فكبرت فجاء وأنا أصلي فسلم وقال: إن الأمير بعث إليك هذه الدنانير قال: ففرقتها قبل أن أدخل بيتي». اهـ

[ذكر فضائل الإمام داود الظاهري رحمه الله تعالى]

(و) الإمام أبي سليمان (داود) ابن علي بن خلف الأصبهاني[٧٣]، إمام الظاهرية، انتهت إليه رياسة العلم ببغداد في زمانه.

قيل : إنه كان في مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أحضر.[٧٤]

ولقد كان موصوفا بالدين المتين.

قال القاضي المحاملي[٧٥] : رأيت داود بن علي فما رأيت مسلما يشبهه في حسن تواضعه.[٧٦]

قال صاحب «الأصل» : وقول إمام الحرمين أن المحققين لا يقيمون للظاهرية وزنا، وأن خلافهم لا يعتبر محله عندي ابن حزم وأمثاله، وأما داود فمعاذ الله أن يقول الإمام أو غيره أن خلافه لا يعتبر، فلقد كان جبلا من جبال العلم والدين، له من سداد النظر، وسعة العلم، ونور البصيرة، والإحاطة بأقوال الصحابة والتابعين، والقدرة على الاستنباط ما يعظم وقعه، وقد دونت كتبه، وكثرت أتباعه[٧٧].

---

[٧٣] هو الإمام داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري (٢٠١ - ٢٧٠ هـ) : أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أول من جهر بهذا القول. وهو أصبهاني الأصل، من أهل قاشان (بلدة قريبة من أصبهان) ومولده في الكوفة. سكن بغداد، وانتهت إليه رياسة العلم فيها. قال ابن خلكان: (قيل: كان يحضر مجلسه كل يوم أربع مئة صاحب طيلسان أخضر!) وقال ثعلب: كان عقل داود أكبر من علمه. وله تصانيف أورد ابن النديم أسماءها في زهاء صفحتين. توفي في بغداد. انظر «الأعلام» (٢/ ٣٣٣)

[٧٤] ذكره أبو إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء» (١/ ٩٢) والنووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٨٢) والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١١٥)

[٧٥] هو الإمام الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل المحاملي الضبي، أبو عبد الله البغدادي (٢٣٥ - ٣٣٠ هـ) : القاضي، من الفقهاء المكثرين من الحديث. ولي قضاء الكوفة وفارس ستين سنة. وكان ورعا محمود السيرة في القضاء. ثم استعفى فأعفي. له (الأجزاء المحامليات) ويقال لها (أمالي المحاملي). انظر «الأعلام» (٢/ ٢٣٤)

[٧٦] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٦٧)

[٧٧] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥١)

وقد ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في «طبقاته»[١٧٨] من الأئمة المتبوعين في الفروع، وكان مشهورا في زمن الشيخ، وبعده بكثير، ولا سيما في بلاد فارس شيراز، وما والاها إلى ناحية العراق في بلاد المغرب، وكان زاهدا متقللا. ولذا وصفه الناظم بقوله : (**الورع**).

ومما يدل على شدة زهده وورعه ما حكاه ابن خِلكان : أن القاضي المحاملي دخل عليه يوم عيد الفطر مهنئا له به، فرأى بين يديه طبقا فيه أوراق هندبا، وعصارة فيها نخالة، وهو يأكل، فعجب من حاله ورق له، فخرج وحرض بعض الأغنياء المحسنين أن يصل إليه بصنيعة فأعطاه ألفي درهم، فأخذها، ودخل على داود أيضا، فلما جعل الدراهم بين يديه قال : هذا جزاء من ائتمنك على سره، أنا بأمانة العلم أدخلتك إلي، ارجع بما معك فلا حاجة لي فيه. قال المحاملي : فخرجت وقد صغرت الدنيا في عيني. انتهى.[١٧٩]

[ذكر فضائل الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى]

والإمام أبي عبد الله (**سفيان**) بن سعيد بن مسروق الثوري[١٨٠]، نسبة إلى (**ثور**) بن عبد مناة.

كان سفيان أحد الأئمة المجتهدين والمحدثين الزهاد.

قال ابن مهدي : ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري[١٨١].

---

[١٧٨] انظر : «طبقات الفقهاء» (١/ ٩٢)

[١٧٩] انظر : «وفيات الأعيان» (٢/ ٢٥٥) «تاريخ الإسلام» (٩/ ٣٤٢)

[١٨٠] هو الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله (٩٧ - ١٦١ هـ) : أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير) وكتاب في (الفرائض) وكان آية في الحفظ. من كلامه: (ما حفظت شيئا. فنسيته). انظر «الأعلام» (٣/ ١٠٤-١٠٥)

[١٨١] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٥٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٢٢)

وقد لقب بأمير المؤمنين في الحديث، وقد اتفق العلماء على دينه وورعه وزهده وثقته.

قال ابن عيينة[٦٨٢] : ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري، وهو الحجة الثبت[٦٨٣].

وكان أبو صالح المدائني[٦٨٤] يقول : إنني لا أحسب يجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حجة من الله على الخلق، يقال لهم : لم تدركوا نبيكم -صلى الله تعالى عليه وسلم-، فلقد رأيتم سفيان الثوري ألا اقتديتم؟[٦٨٥].

وقال أبو حاتم[٦٨٦] : الحجة على المسلمين الذين ليس فيهم لبس سفيان الثوري، وشعبة، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن زيد[٦٨٧].

---

[٦٨٢] هو الإمام سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد (١٠٧ - ١٩٨ هـ) : محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظا ثقة، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعي: (لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز). وكان أعور. وحج سبعين سنة. انظر «الأعلام» (٣/ ١٠٥)

[٦٨٣] رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٥٥)

[٦٨٤] هو شعيب بن حرب، أبو صالح المدائني : وهو من أبناء خراسان. سمع شعبة، وسفيان الثوري، وزهير بن معاوية، ومحمد ابن مسلم الطائفي، وكامل بن العلاء. روى عنه موسى بن داود الضبي، ويحيى بن أيوب المقابري، وأحمد بن حنبل، وأحمد بن خالد الخلال، وعنبس بن إسماعيل القزاز، والعلاء بن سالم الطبري، ومحمد بن عيسى بن حيان المدائني، وغيرهم. مات بمكة سنة ست وتسعين ومائة. انظر «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٣٩)

[٦٨٥] ذكره ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٩٠)

[٦٨٦] هو الإمام محمد بن إدريس بن المنذر بن داود، بن مهران الحنظليّ، أبو حاتم (١٩٥ - ٢٧٧ هـ) : حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم. ولد في الري، وإليها نسبته. وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم، وتوفي ببغداد. له (طبقات التابعين) و (الزينة) و (تفسير القرآن العظيمو (أعلام النبوة). انظر «الأعلام» (٦/ ٢٧)

[٦٨٧] رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١١) وابن عبد البر في «الانتقاء» (١/ ٣٢)

[ذكر فضائل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى]

(والإمام) أبي عبد الله (أحمدا) بألف الإشباع ابن محمد ابن حنبل الشيباني البغدادي[188]، صاحب المذهب، الناصر للسنة، والصابر على المحنة.

قال الشافعي : خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد[189].

وقال إسحاق بن راهويه : أحمد بن حنبل حجة بين الله وخلقه[190].

وقال ابن مهدي : لولا أحمد لأحدثوا في الدين[191].

وإذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة.[192]

وقال إبراهيم الحربي[193] : رأيت أحمد أن الله جمع له علم الأولين والآخرين[194].

وقال عبد الرزاق : ما رأيت أفقه من أحمد ابن حنبل، ولا أورع.[195]

---

[188] هو الإمام أحمد محمد بن بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي (١٦٤ - ٢٤١ هـ): إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد. فنشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف. وصنف (المسند) وله كتب في (التاريخ) و (الناسخ والمنسوخ) و (الرد على الزنادقة فيما ادعت به من متشابه القرآن) و (التفسير) و (فضائل الصحابة) و (المناسك) و (الزهد) و (الأشربة) و (المسائل) و (العلل والرجال). انظر «الأعلام» (١/ ٢٠٣)

[189] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٨٥)

[190] ذكره السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٩)

[191] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٨٣) وغيره.

[192] رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٠٨) وغيره.

[193] هو الإمام إبراهيم إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، أبو إسحاق (١٩٨ - ٢٨٥ هـ) : من أعلام المحدثين. أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلى محلة فيها. كان حافظا للحديث عارفا بالفقه بصيرا بالأحكام، قيما بالأدب، زاهدا، أرسل إليه المعتضد ألف دينار فردها. تفقه على الإمام أحمد، وصنف كتبا كثيرة منها (غريب الحديث) و (إكرام الضيف) و (مناسك الحج). انظر «الأعلام» (١/ ٣٢)

[194] ذكره الأنباري في نزهة الألباء في «طبقات الأدباء» (١/ ١١٣) والذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٦)

[195] ذكره السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٨)

وذكر أبو زرعة[196] : أن أحمد يحفظ ألف ألف حديث[197].

وصنف «مسنده» وهو أصل من أصول هذه الأمة، فهو كما قاله الحافظ أبو موسى المديني[198] : أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث، انتقى من أحاديث كثيرة، ومسموعات وافرة، فجعل إماما ومعتمدا، وعند التنازع ملجأ ومستندا.

فقد قال حنبل بن إسحاق[199] : جمعنا عمي -يعني الإمام أحمد- أنا، وصالح، وعبد الله، وقرأ علينا «المسند» وما سمعه منه -يعني تاما- غيرنا، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وأثبته من أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا، فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- فارجعوا إليه، فإن كان فيه وإلا [فليس][200] بحجة[201].

---

[196] هو الإمام عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أبو زُرْعَة الرازيّ (٢٠٠ - ٢٦٤ هـ) : من حفاظ الحديث. من أهل الري. زار بغداد، وحدّث بها، وجالس أحمد بن حنبل. كان يحفظ مئة ألف حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. توفي بالريّ. له " مسند ". انظر «الأعلام» (٤/ ١٩٤)

[197] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٨٥)

[198] هو الإمام محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (٥٠١ - ٥٨١ هـ) : من حفاظ الحديث، المصنفين فيه. مولده ووفاته في أصبهان. زار بغداد وهمذان. من كتبه (الأخبار الطوال) و (اللطائف) و (خصائص المسند) و (تتمة معرفة الصحابة) و (الوظائف) و (عوالي التابعين) و (المغيث) و (الزيادات). انظر «الأعلام» (٦/ ٣١٣)

[199] هو الإمام حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيبانيّ، أبو علي (ت : ٢٧٣ هـ) : من حفاظ الحديث. كان ثقة، له كتاب (التاريخ) وكتاب (الفتن) وكتاب (محنة الإمام أحمد بن حنبل) . وهو ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه. خرج إلى واسط فتوفي فيها. انظر «الأعلام» (٢/ ٢٨٦)

[200] في الأصل : (ليس) والتصحيح من «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ١٤٣) و «المقصد الأرشد» (١/ ٣٦٦) و «شذرات الذهب» (٢/ ١٦٢)

[201] انظر : «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ١٤٣) «المقصد الأرشد» (١/ ٣٦٦) «شذرات الذهب» (٢/ ١٦٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٣١)

وقال عبد الله[702] : قلت لأبي : لم كرهت وضع الكتاب وقد عملت «المسند»؟ فقال : عملت هذا الكتاب إماما إذا اختلف الناس في سنة عن رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-. انتهى.[703]

و (**باقي الأئمة**) المجتهدين، والمحدثين، والمقرئين، كالإمام الليث بن سعد[704] عالم مصر، وسفيان بن عيينة[705]، وأبي جعفر محمد بن جرير الطبري[706]، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، ونافع[707]، وابن كثير[708]، وأبي عمرو[709]، ونظرائهم.

كلهم كانوا (**على نهج**) أي طريق (**الهدى**) من ربهم في العقائد وغيرها، ولا التفات إلى من تكلم فيهم بما هم بريئون منه، فقد أوتوا من العلوم اللدنية والمواهب الإلهية والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغريزة والدين والورع والعبادة والزهادة بالمحل الذي لا يسامى[710].

---

[702] هو الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، أبو عبد الرحمن (٢١٣ - ٢٩٠ هـ) : حافظ للحديث، من أهل بغداد. له " الزوائد " على كتاب الزهد لأبيه، و " زوائد المسند " و " مسند أهل البيت" و "الثلاثيات". انظر «الأعلام» (٤/ ٦٥)

[703] رواه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٤) وابن نقطة في «التقييد لمعرفة رواة السنن» (١/ ١٦١)

[704] سبقت ترجمته.

[705] سبقت ترجمته.

[706] سبقت ترجمته.

[707] هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني (ت : ١٦٩ هـ) : أحد القراء السبعة المشهورين. كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة. أصله من أصبهان. اشتهر في المدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة، وتوفي بها. انظر «الأعلام» (٨/ ٥)

[708] هو الإمام عبد الله بن كثير الداريّ المكيّ، أبو معبد (٤٥ - ١٢٠ هـ) : أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة. وهو فارسي الأصل. مولده ووفاته بمكة. انظر «الأعلام» (٤/ ١١٥)

[709] هو الإمام زَبَّان بن عَمَّار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء (٧٠ - ١٥٤ هـ) : من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية. له أخبار وكلمات مأثورة. انظر «الأعلام» (٣/ ٤١)

[710] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٣)

قال المحقق ابن حجر : عليك أيها الموفق أن تعتقد أن كل واحد منهم على هدى من الله ورضوان، وأنهم كلهم مأجورون في سائر الحالات باتفاق أئمة النقل والبرهان، وقد روى البيهقي أنه -صلى الله تعالى عليه وسلم- قال : «مهما أوتيتم من كتاب الله -تعالى- فالعمل به، فلا عذر لأحد في تركه فإن لم يكن في كتاب الله فسنة ماضية مني، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة»[٧١١].

ففيه إخباره -صلى الله تعالى عليه وسلم- باختلاف المذاهب بعده في الفروع، من منذ زمن أصحابه الذي هو زمن الهدى والإرشاد، المشهود له من مشرفهم بأنه خير القرون على الإطلاق، ويلزم من اختلافهم من بعدهم؛ لأن كل صحابي مشهور بالفقه والرواية أخذ بقوله ومذهبه جماعة، ومع ذلك رضي به -صلى الله تعالى عليه وسلم-، وأقرهم عليه، ومدحهم حتى جعل نفس ذلك الاختلاف رحمة للأمة وخيرهم في الأخذ بقول من شاؤوا من أصحابه اللازم له الأخذ بقول من أرادوا من المجتهدين بعدهم، الجارين على منوالهم، والسالكين لمسالكهم في أقوالهم وأفعالهم، وقد أقر -صلى الله تعالى عليه وسلم- اختلاف أصحابه في وقائع جرت لهم في زمنه، ولم يعترض أحدا فيما قاله ورآه مخالفا لما قاله نظيره ورآه، كما يشهد بذلك وقائع كثيرة شهيرة.

قال : ويتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه أن لا تفضل بعض المذاهب على بعض تفضيلا يؤدي إلى تنقيص المفضل عليه، فإن ذلك يؤدي إلى المقت

[٧١١] رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (١٥٢) والخطيب في «الكفاية في علم الرواية» (٤٨/١)

والخزي في الدنيا والآخرة، وقد ورد عنه -سبحانه وتعالى- أنه قال : «من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب»[712].

وعلماء المسلمين العاملون كلهم أولياء الله -تعالى- من غير شك ولا ريب، حفظنا الله -تعالى- من وعير هذه المسالك، وحشرنا في زمرة أولئك الأئمة، فإننا نحبهم ونعظمهم بما نرجو به أن نحشر معهم على الأرائك، آمين.

[ذكر فضائل الإمام أبي الحسن الأشعري]

(**و**) قدوتنا الإمام، علي بن إسماعيل أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري الصحابي -رضي الله تعالى عنه-، (**نراه**) أي نعتقده (**في الدين على أولى سَنَن**) أي طريقة معتقدة، مقدم فيها على غيره.

وقد ذكر جماعة أنه ورد التبشير به حيث أشير إليه في الحديث المتفق عليه : «الإيمان يمان، والحكمة يمانية، أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة، وألين قلوبا»[713].

وفي حديث آخر : «فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري»[714].

وفي آخر : لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّـهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] قال -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «قوم هذا» وضرب بيده على ظهر أبي موسى الأشعري[715].

---

[712] رواه البخاري في «صحيحه» (٦١٣٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤) وهذا للفظ له.

[713] الحديث بنحوه رواه البخاري في «صحيحه» (٣١٢٦) (٤١٢٧) (٤١٢٨) ومسلم في «صحيحه» (٩٢) (٩٨) (٩٩) (١٠٠) وغيرهما من الحفاظ.

[714] رواه أحمد في «مسنده» (١٢٠٢٦) (١٢٥٨٢) (١٢٨٧٢) (١٣٣٣٤) (١٣٧٦٨) وابن حبان في «صحيحه» (٧١٩٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٩٢٣)

[715] رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٩٢٧) والطبراني في «الكبير» (١٠١٦)

وفي رواية «البيهقي»[716] أومأ النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- إلى أبي موسى فقال: «هم قوم هذا».

قالوا: بشر -صلى الله تعالى عليه وسلم- بأبي الحسن الأشعري في هذه الأحاديث إشارة وتلويحا، كما بشر بالشافعي، ومالك، وأبي حنيفة في الأحاديث المتقدمة.

قال البيهقي: وذلك لما وجد من الفضيلة الجليلة، والرتبة الشريفة في هذه الأحاديث لأبي الحسن الأشعري، فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أوتو العلم، ورزقوا الفهم، مخصوصا من بينهم بتقوية السنة، وقمع البدعة، بإظهار الحجة ورد الشبهة[717].

ومن ثم قال الناظم من زيادته: (**وكيف لا**) يكون الأشعري على أولي السنن؟! (**وهو إمام**) المتكلمين، وناصر (**السنة**) أي سنة سيد المرسلين، الساعي في حفظ عقائد المسلمين إلى يوم الدين[718].

كان الشيخ أولا قد أخذ عن أبي علي الجبائي، وتبعه في الاعتزال نحو أربعين سنة، حتى صار مقدم المعتزلة، فلما أراده الله -عز وجل- لنصرة دينه، وشرح صدره لاتباع الحق غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما، ثم خرج إلى الجامع، وصعد المنبر، وقال: معاشر الناس، إنما تغيبت عنكم هذه المدة؛ لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله -تعالى-، فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده قبل، كما انخلعت من

---

[716] رواه البيهقي في «الرسالة الأشعرية» كما أشار إليه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٤١١) وانظر: «تبيين كذب المفتري» (١/ ٤٩-٥٠)

[717] انظر: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» (٥٠)

[718] انظر: «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٨)

ثوبي هذا، أو انخلع من ثوب كان عليه، ورمي به، ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب السنة إلى الناس.

وقد رأى النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- في منامه قبل ذلك ثلاث مرات، وفي كل مرة قال له النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «يا علي انصر المذاهب المروية عني، فإنها الحق» وفي آخر المرات قال له : «لو لا أني أعلم أن الله سيمدك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى أبين لك وجوهها، فجد فيه، فإن الله سيمدك بمدد من عنده»، فاستيقظ وقال : ما بعد الحق إلا الضلال، وأخذ في نصرة الأحاديث في الشفاعة، ورؤية الله، وغير ذلك.[٧١٩]

(و) كان يفتح عليه من المباحث والبراهين بما لم يسمعه من شيخ قط، ولا اعترضه به خصم، فهو (**حافظ الدين**) المحمدي من شبه المبتدعة المعتزلة وغيرهم، (**بأوفى جنة**) -بضم الجيم- أي حجة.

قال أبو بكر [الصيرفي][٧٢٠] : كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله -تعالى- الأشعري، فحجزهم في أقماع السمسم.[٧٢١]

وقد قرر الشيخ أبو الحسن مذاهب السلف، وناضل عما كانوا عليه، فليس بأول متكلم بلسان أهل السنة، بل جرى على سنن من قبله، وعلى نصرة مذهب معروف، وزاده حجة وبيانا، ولم يبتدع مقالة اخترعها، ولا مذهبا انفرد به، ولقد ناظر ابن عمر القدرية، واحتج عليهم بالحديث، وابن عباس، وعمر بن عبد العزيز

---

[٧١٩] ذكر السبكي هذه القصة في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٣٤٩)

[٧٢٠] في الأصل : (البصيرفي) والصحيح ما أثبته هنا وهو الإمام محمد بن عبد الله الصيرفي، أبو بكر (ت : ٣٣٠ هـ) : أحد المتكلمين الفقهاء. من الشافعية. من أهل بغداد. قال أبو بكر القفال: كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعيّ. له كتب، منها (البيان في دلائل الإعلام على أصول الإحكام) وكتاب (الفرائض). انظر «الأعلام» (٦/ ٢٢٤)

[٧٢١] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٨)

الخوارج، وكذلك الشافعي ناظر حفصا الفرد، وسائر الأئمة ممن قبل وجود الأشعري، وإنما أوضح هو ومن بعده من أصحابنا مناهج الأئمة، ووسع إطناب الأصول التي أصلوها، فنسب إليه بذلك.[٧٢٢]

ومثله الشيخ أبو منصور الماتريدي[٧٢٣].

قال المحقق ابن حجر : أخذ العلماء من أن السواد الأعظم من كان على ما عليه النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم-، والصحابة -رضي الله تعالى عنهم- أن المراد بأهل السنة حيث أطلقوا أتباع الأشعري والماتردي؛ لأن هؤلاء هم الذين على ما كان عليه النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- وأصحابه، وتابعوهم، فمن بعدهم، وكل من نحا نحوهم في علم الأصول، وتبع في نفي التشبيه، مع ملازمة الكتاب والسنة جعل من جملتهم، والله الموفق.

[صحة طريقة الإمام الجنيد رحمه الله تعالى]

ونرى أن (**طريقة**) الأستاذ أبي القاسم (**الجنيد**) بن محمد البغدادي[٧٢٤] (**في التصوف**) التي سلكها فيه هو، (**وصحبه قويمة التصرف**)؛ لأنها خالية عن البدع، دائرة على التفويض، والتسليم، والتبري من النفس، وعلى تباع الكتاب والسنة.[٧٢٥]

ففي كلامه إشارة إلى الحض على اتباع طريق سلف الصوفية، ونبذ طريق المتصوفة المتأخرين، وخص الجنيد بالذكر؛ لأنه سيد الطائفة الصوفية[٧٢٦].

---

[٧٢٢] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٦٥)

[٧٢٣] هو الإمام محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت : ٣٣٣ هـ) : من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد) و (أوهام المعتزلة) و (الرد على القرامطة) و (مآخذ الشرائع) وكتاب (الجدل) و (تأويلات القرآن) و (تأويلات أهل السنة) و (شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة) . توفي بسمرقند. انظر «الأعلام» (٧/ ١٩)

[٧٢٤] ترجمته في باب التصوف.

[٧٢٥] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٢)

[٧٢٦] انظر : «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٨٠)

جمع بين العلم والعمل، تفقه على أبي ثور، ويفتي على حلقته بمذهبه.[٧٢٧]

وسمع الحديث من الحسن بن عرفة.[٧٢٨]

ومن طريقه اتصل إلينا حديث أبي سعيد -رضي الله تعالى عنه- قال رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر : ٧٥].

قال أبو بكر الخطيب[٧٢٩] : لا يعرف للجنيد غير هذا الحديث[٧٣٠].

وذكر له ابن الجوزي[٧٣١] حديثا آخر وهو حديث ابن مسعود في رعيه غنم عقبة بن أبي معيط، وقال في آخره : قال النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- : «إنك غلَيِّم معلَّم»[٧٣٢].

---

[٧٢٧] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٣)

[٧٢٨] انظر : «الوافي بالوفيات» (١١/ ١٥٥) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٦٠)

[٧٢٩] هو الإمام أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) : أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غزية) - بصيغة التصغير - منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد. من مصنفاته : (تاريخ بغداد) و (البخلاء) و (الكفاية في علم الرواية) و (الفوائد المنتخبة) و (الجامع، لأخلاق الراويّ وآداب السامع) و (تقييد العلم) و (شرف أصحاب الحديث) و (التطفيل) و (الأسماء والألقاب) و (الأمالي) و (تلخيص المتشابه في الرسم) و (الرحلة في طلب الحديث) و (الأسماء المبهمة) و (الفقيه والمتفقه) و (السابق واللاحق، في تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد) و (موضح أوهام الجمع والتفريق) و (اقتضاء العلم والعمل) و (المتفق والمفترق). انظر «الأعلام» (١/ ١٧٢)

[٧٣٠] انظر : «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٦٨) «صفة الصفوة» (٢/ ٤٢٤)

[٧٣١] هو الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) : علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار) و (الأذكياء وأخبارهم) و (مناقب عمر بن عبد العزيز) و (روح الأرواح) و (شذور العقود في تاريخ العهود) و (المدهش) وغير ذلك. انظر «الأعلام» (٣/ ٣١٦)

[٧٣٢] رواه ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٢٤) والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٦٠)

وكان ابن سريج[٧٣٣] يلازم الجنيد في حلقته، وحصل بركته، فإنه إذا تكلم في الأصول والفروع أذهل العقول، ويقول : هذه بركة مجالسة أبي القاسم الجنيد.[٧٣٤]

قال جعفر الخلدي[٧٣٥] : لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد.[٧٣٦] وقد قال يوما : ما أخرج الله -تعالى- إلى الأرض علما، وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وقد جعل لي فيه حظا ونصيبا[٧٣٧].

وقال أيضا : تفقهت على مذهب أهل الحديث، كأبي عبيد[٧٣٨]، وأبي ثور[٧٣٩]،

---

[٧٣٣] هو الإمام أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس (٢٤٩ - ٣٠٦ هـ) : فقيه الشافعية في عصره. مولده ووفاته في بغداد. له نحو ٤٠٠ مصنف، منها (الأقسام والخصال) و (الودائع لمنصوص الشرائع). وكان يلقب بالباز الأشهب. ولي القضاء بشيراز، وقام بنصرة المذهب الشافعيّ فنشره في أكثر الآفاق. انظر «الأعلام» (١/ ١٨٥)

[٧٣٤] انظر : «الغيث الهامع» (٧٩٤) «طبقات الأولياء» لابن الملقن (١/ ١٣١)

[٧٣٥] هو الإمام جعفر بن محمد بن نصير، أبُو محمد الخلدي (٢٥٣ - ٣٤٨ هـ) : شيخ الصوفية في أيامه ببغداد، وأعلمهم بالحديث. كان خوّاصا (يبيع الخوص، وهو ورق النخل) نسبته الى (قصر الخلد) ببغداد ولم يكن منه وإنما دعاه (الجنيد) بالخلدي، فلزمه. حج ٥٦ حجة. مولده ووفاته ببغداد، له رسالة منسوبة اليه في (محنة الإمام الشافعيّ). ومن كلامه: المحب يجتهد في كتمان محبوبه، وتأبى المحبة إلا اشتهارا، وكل شئ ينم على المحب حتى يظهره. انظر «الأعلام» (٢/ ١٢٨)

[٧٣٦] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٥٢)

[٧٣٧] رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٥١)

[٧٣٨] هو الإمام علي بن الحسين بن بحرب، الملقب بـ أبي عبيد (٢٣٢ - ٣١٩ هـ) : الفقيه المجتهد، من القضاة، له تصانيف. ولد ببغداد وقدم مصر سنة ٢٩٣ فولي قضاءها. وعزل سنة ٣١١ فخرج إلى بغداد، فتوفي فيها. انظر «الأعلام» (٤/ ٢٧٧)

[٧٣٩] هو الإمام إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور (ت : ٢٤٠ هـ) : من أصحاب الإمام الشافعي، قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا، صنف الكتب وفرّع على السنن، وذب عنها، يتكلم في الرأي فيخطئ ويصيب. مات ببغداد شيخا. وقال ابن عَبْد البَرّ: له مصنفات كثيرة منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعيّ وذكر مذهبه في ذلك وهو أكثر ميلا إلى الشافعيّ في هذا الكتاب وفي كتبه كلها. انظر «الأعلام» (٥/ ٢٦٧)

وصحبت الحارث المحاسبي[٧٤٠]، وسري بن المغلس[٧٤١] -رحمة الله تعالى عليهم-، وكان سبب فلاحي، إذْ علمُنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ويتفقه قبل سلوكه فإنه لا يجوز الاقتداء به[٧٤٢].

وقال أيضا : إني لتخطر لي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهين عدلين من الكتاب والسنة.[٧٤٣]

انتهى ما حضرني الآن من كلامه نفعنا الله تعالى به.

[ما لا يضر جهله في العقيدة]

ثم شرع الناظم في القسم الثاني من قسمي أصول الدين وهو علمي لا عملي كما تقدم فقال : (**من الذي عِرْفانه**) أي معرفته (**لنفع**) في العقيدة، وهذا الشطر قد نظمته؛ لأنه وقع في نسختي من هذه المنظومة بياض، ونرجو من الله -تعالى- أن

---

[٧٤٠] هو الإمام الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت : ٢٤٣ هـ) : من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مُبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه (آداب النفوس) و (شرح المعرفة) و (المسائل في أعمال القلوب والجوارح) و (المسائل في الزهد وغيره) و (البعث والنشور) و (مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه) و (الرعاية لحقوق الله عزوجل) و (الخلوة والتنقل في العبادة) و (معاتبة النفس) و (كتاب التوهم) و (رسالة المسترشدين). انظر «الأعلام» (٢/ ١٥٣)

[٧٤١] هو الإمام سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن (ت : ٢٥٣ هـ) : من كبار المتصوفة بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه. قال الجنيد: ما رأيت أعبد من السريّ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة الموت. من كلامه: (من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز). انظر «الأعلام» (٣/ ٨٢)

[٧٤٢] رواه السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٧٤)

[٧٤٣] هذا الكلام في الحقيقة لأبي سليمان الداراني وقد سمعه الجنيد منه. انظر «طبقات الصوفية» للسلمي : ١/ ٧٦) و «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٢٧) و «سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٣١) و «صفة الصفوة» (٤/ ٢٢٩)

يكون موافقا لكلام المصنف، وعبارة «الأصل» : ومما لا يضر جهله وتنفع معرفته الأصح إلخ.

(**ولا يضر جهله**) فيها ولا (**في الشرع**)، بخلاف الذي تقدم في الجملة ما يذكر إلى الخاتمة، والمراد أنه ينفع معرفته باعتبار معرفة اصطلاح القوم الذي تتوقف عليه العقيدة، فما ذكره هنا من مبادي علم الكلام لا من مسائله.

نعم قد ذكر فيما تقدم مسألة جعل الماهية. قيل : وحقه أن يذكرها هنا؛ لأنها من المبادئ، وهي التي عبر عنها المتكلمون بمباحث الأمور العامة، والغالب ذكرها في صدر المؤلفات[٧٤٤].

[اختلاف العلماء في وجود الشيء هل هو عينه أو غيره؟]

فمن ذلك (**أن الأصح**) الذي هو قول الأشعري وغيره (**المستبان زَيْنُه**) أي حسنه عند صاحب «الأصل» وغيره، بناء على أن الماهيات مجعولة كما مر، (**أن وجود كل شيء**) في الخارج واجبا كان وهو الله -تعالى- أو ممكنا وهو الخلق (**عينه**) أي عين حقيقته، وليس زائدا على الماهية، بمعنى أنه ليس في الخارج والمحسوس إلا الذات المتصفة بالوجود، من غير أن يتحقق فيه ذات معروضة للوجود، لها فيه تحقق، ولعارضها المسمى بالوجود وجود آخر، كوجود الذات المتصفة بالحمرة، وعارضها الذي هو الحمرة القائمة بها.[٧٤٥]

فليس معنى العينية الاتحاد في المفهوم؛ لاختلاف المفهومين قطعا، ولا في الماصدق؛ لأن ما صدق عليه الشيء أمر خارج، وما صدق عليه الوجود أمر ذهني انتزاعي، بل معناها أنه غير ممتاز عن الشيء، بأن لا يكون له هوية عارضة؛ لأنه المعقولات الثانية، وهي ما تعتبر عارضة للمعقولات الأولى الموجودة خارجا، وليس

---

[٧٤٤] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٢)

[٧٤٥] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٣)

لها -أعني الثانية- ثبوت إلا في الذهن، وإذا لم يكن زائدا كان الاتصاف غير حقيقي، أي ليس اتصافا بشيء زائد في الخارج، بل في الذهن، بحسب نفس الأمر، بمعنى أنه في حد ذاته، بحيث إذا حصل في الذهن انتزع منه الوجود أمرا زائدا على حقيقته، ولا يلزم من هذا أن لا يكون الموجود موجودا خارجا، بل اللازم أن لا يكون هذا الوجود موجودا خارجيا، والحاصل أن الخارج ظرف لنفس الوجود، لا لوجوده، أفاده بعض المحققين[٧٤٦]، فتأمله.

(وقال) : إن وجود كل شيء (غيره) أي زائد عليه، بأن يقوم الوجود بالشيء من حيث هو، أي من غير اعتبار الوجود والعدم، وإن لم يخل عنهما.

فقوله : (كثير منا) أي من المتكلمين، منهم الإمام فخر الدين فاعل «قال».

ثم قولهم : «إن الوجود قام بالشيء من حيث هو» ليس معناه أنه قام به، وهو غير موجود ولا معدوم، حتى يلزم الواسطة بين الوجود والعدم، بل معناه أنه حال قيامه به موجود بذلك الوجود لا بوجود آخر، وإن كان معدوما قبله، كما أشرنا إلى هذا بقولنا : «وإن لم يخل عنهما».[٧٤٧]

[الراجح عند الإمام الأشموني أن وجود الشيء غيره]

(قلت) مخالفا لـ «الأصل» في الترجيح : (لدي التحقيق هذا) القول هو (الأسنى) أي الأرجح؛ إذ أورد على القول الأول أن ماهية الإنسان لو كانت عين وجوده لكان العلم بالإنسان هو العلم بوجوده، وليس كذلك، فكثيرا ما نتصور الإنسان ولا يخطر ببالنا معنى الوجود وحيثيته، أما الوجود الخارجي فظاهر، وأما العقلي فلأن تعقل الإنسان لا يستلزم تعقل تعقله.[٧٤٨]

---

[٧٤٦] أفاده الشربيني في «حاشيته» (٢/ ٤٩٣)

[٧٤٧] انظر : «حاشية الشربيني مع حاشية العطار» (٢/ ٤٩٤) «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٥) «الغيث الهامع» (٧٩٥) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٦٩)

[٧٤٨] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٣)

هذا، وبتأمل ما قررناه سابقا يعلم جواب هذا الإيراد، تدبر.

[وجود الشيء عينه في الواجب وغيره في الممكن عند الفلاسفة]

(و) قال (**الفيلسوف**) -يعني الحكماء، ومعنى الفيلسوف في الأصل: «محب الحكمة»، كلمة يونانية مركبة من «فيلا» وهو المحب، و «سوفا» وهو الحكمة، فركبا، فقيل: فيلسوف أي محب الحكمة، ومنه اشتقت الفلسفة-[٧٤٩] بالتفصيل: وهو أن وجود الشيء (**عينه في الواجب قد**) أي وغيره في الممكن.[٧٥٠]

قالوا: إن وجوده -تعالى- لو زاد على ماهيته لكان عارضا لها، فيحتاج إلى معروضه الذي هو الماهية ضرورة، فيكون ممكنا؛ لأن كل ما يحتاج ممكن، ولو كان ممكنا لاحتاج إلى سبب، وذلك السبب إن كان مقارنا -وهو ذاته تعالى- يلزم أن تكون ذاته متقدمة على وجوده بالوجود، لوجوب تقدم العلة الموجدة على المعلول بالوجود، فيكون لذاته وجود قبل وجوده، وتنقل الكلام إلى ذلك الوجود، ويلزم التسلسل، وإن كان سببا مبينا -أعني غير ذاته تعالى- يلزم أن تكون ذاته محتاجة في وجوده إلى الغير، فتكون ممكنة وهو باطل[٧٥١].

---

[٧٤٩] انظر: «القاموس المحيط» (١/ ٨٢٢) «تاج العروس» (٢٣/ ٤٧٦)
[٧٥٠] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٥)
[٧٥١] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٥)

وأجيب : بأن سبب وجوده هو العلة المقارنة -أعني ذاته تعالى- ولا يجب تقدم ذاته على وجوده بالوجود، فإن ماهية الممكنات علة قابلة لوجود ذاتها، مع أنها غير متقدمة على وجود ذاتها بالوجود، وأجزاء الماهية علة لقوامها، مع أن تقدم أجزاء الماهية على الماهية ليس بالوجود، فإن وجود الجزء والكل واحد على مذهب الحكماء، كذا في «العطار[752]»[753].

[المعدوم ليس بشيء]

(فعلى أول) هـ(ذي المذاهب) وهو الأصح عند صاحب «الأصل» : (الممكن) الوجود (المعدوم) في حال عدمه (لا) يقال له في الخارج : (شيء)؛ لما عرفت أن الماهيات نفسها أثر الفاعل، لا اتصافها بالوجود، حتى يكون لها تقرر قبله.

(ولا ذات وليس ثابتا) أي لا حقيقة له في الخارج، وإنما يتحقق بوجوده فيه أي وجوده الانتزاعي الذي منشؤه ذاته، ولذا قالوا : إن وجوده عين ذاته، لا أمر زائد[754].

قال العطار : ثم الدليل على أن المعدوم ليس بشيئ أن تقول : أن المعدوم إن كان مساويا للمنفي أو أخص منه يصدق المعدوم منفي، وكل منفي ليس بثابت، ينتج المعدوم ليس بثابت، وهو المدعى، وإن كان أعم فالمعدوم لم يكن نفيا صرفا ولا عدما محضا، وإلا لما بقي فرق بين العام والخاص، أعني بين المعدوم والمنفي، وهو باطل،

---

[752] هو الإمام حسن بن محمد بن محمود العطار (١١٩٠ - ١٢٥٠ هـ) : من علماء مصر. أصله من المغرب، ومولده ووفاته في القاهرة. أقام زمنا في دمشق، وسكن اشكودرة (بألبانيا) واتسع علمه. وعاد إلى مصر، فتولى إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في بدء صدورها، ثم مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ هـ إلى أن توفي. وكان يحسن عمل المزاول الليلية والنهارية. وله رسالة في (كيفية العمل بالأسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط) وكتاب في (الإنشاء والمراسلات) و (ديوان شعر) وحواش في العربية والمنطق والأصول، أكثرها مطبوع. انظر «الأعلام» (٢/ ٢٢٠)

[753] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٥)

[754] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٥)

وإذا لم يكن المعدوم نفيا صرفا كان ثابتا [والمعدوم مقول على المنفي إذ الغرض أنه أعم منه فيصدق المنفي معدوم][755]، والمعدوم ثابت، ينتج المنفي ثابت، هذا خلف، وإذا بطل كون المعدوم أعم من المنفي تحقق أحد القسمين الأولين، ويلزم المطلوب. انتهى.[756]

و (**كذا على ثان**) أي ثاني المذاهب، وهو مرجح الناظم (**لَدَى أكثرهم**) أي أكثر القائلين به، (**ذا**) أي كون الممكن المعدوم ليس بشيء (**أُمَّا**) -بضم الهمزة، وتشديد الميم، وبألف الإطلاق- أي قصد، بناء على أن الوجود والثبوت والتقرر شيء واحد زائد على الذات، فلو كان المعدوم متقررا ثابتا كان موجودا معدوما.[757]

[مذهب المعتزلة أن المعدوم شيء]

وذهب جماعة منهم -وهم المعتزلة- إلى أن المعدوم شيء أي حقيقة متقررة ثابتة في العدم.[758]

واحتجوا بأن المعدوم لكونه معلوما بعضُه كطلوع الشمس غدا الآن دون بعض، ككثير من المعدومات التي لا تخطر ببالنا، ولكونه مقدورا بعضه، كالحركة التي تقدر عليها دون بعض، كالطيران إلى السماء، ولكونه مرادا بعضه، كالمشي إلى بيت الحبيب دون بعض، كالمشي إلى بيت الرقيب تتميز؛ إذ لو لم تتميز استحال الحكم على بعضه بهذه الأمور، وعلى البعض بمقابلها، وكل متميز ثابت وهو المطلوب[759].

ونقض هذا الدليل بجريانه في الممتنعات، والخياليات، والمركبات، كشريك الباري، وإنسان ذي رأسين، فإنا نتصورها، ونتعقل امتياز بعضها عن بعض؛ إذ

---

[755] ما بين المعقوفتين غير موجود في الأصل، وإنما أثبته هنا لأنه ثابت في نسخة «حاشية العطار» المطبوعة (٢/ ٤٩٥)

[756] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٩)

[757] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٩) «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٥)

[758] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٩) «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٥)

[759] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٩)

[تعقل][760] الامتياز بين شريك الباري، والجمع بين الضدين، وإنسان ذي رأسين، وإنسان عديم الرأس، وكذلك المركبات نتعقلها، ولا تقرر لها في العدم؛ لأنها عبارة عن مجموع الأجزاء، متلاقية متماسة على هيئة مخصوصة، وذلك لا يتقرر في العدم[761].

قال الأصبهاني[762] : واتفقوا على أن المنفي ليس بشيء، وأرادوا بالمنفي الماهيات الممتنعة الوجود في الخارج، وعلى هذا محل النزاع في الماهيات الممكنة الوجود[763].

ولذا قال الناظم زيادة على «الأصل» فيما مر : الممكن إلخ، فاعرفه فإنه من محاسنه.

[الأصح أن الاسم عين المسمى]

(و) الأصح (أنه) أي الحال والشأن (الاسم هو) عين (المسمى)، هذا مذهب الأشعري وأتباعه.[764]

وقالت المعتزلة : إنه غيره.[765]

---

[760] في الأصل (لا نعقل) والتصحيح كما في «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٩) بدون «لا».

[761] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٥٩)

[762] هو الإمام محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني، أو الأصبهاني(٦٧٤ – ٧٤٩ هـ) : المفسر، كان عالما بالعقليات. ولد وتعلم في أصبهان. ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها، وأعجب به ابن تيمية. من كتبه (التفسير) و (تشييد القواعد) و (شرح فصول النسفي) و (مطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار للبيضاوي) و (ناظرة العين) مع (شرحه) و (البيان) و (بيان معاني البديع) و (شرح مطالع الأنوار) و (شرح كافية ابن الحاجب) و (شرح منهاج البيضاوي). انظر «الأعلام» (٧/ ١٧٦)

[763] ذكره العطار في «حاشيته» (٢/ ٤٩٥) ونقل هذا الاكلام من «شرح التجريد» للإمام أبي الثناء الأصفهاني وهو مخطوط فيما أعلم.

[764] قال الولي العراقي : وحكي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى. انظر : «الغيث الهامع» (٧٩٦) «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٦)

[765] قال الولي العراقي : وحكي عن سيبويه. انظر : «الغيث الهامع» (٧٩٦)

قيل : التحقيق أنه إن أريد بالاسم اللفظ فهو غير مسماه، وإن أريد به ما يفهم منه فهو عينه، لا فرق في ذلك بين جامد ومشتق[٧٦٦].

وقال البهاء ابن السبكي[٧٦٧] : إن الخلاف خاص بأسماء الأعلام المشتقة، لا في كل اسم[٧٦٨].

وذكر الزركشي[٧٦٩] : أن منشأ الخلاف في المسألة أن المعتزلة لما أحدثوا القول بخلق القرآن وأسماء الله -تعالى- قالوا : إن الاسم غير المسمى، تعريضا بأن أسماء الله -تعالى- غيره، وكل ما سواه مخلوق، كما فعلوه في الصفات حيث لم يثبتوا حقائقها بل أحكامها؛ تعلقا بأن الصفة غير الموصوف، فلو كان له صفات لزم تعدد القديم، وموهوا على الضعفة بأن الاسم من جنس الألفاظ، والمسمى ليس بلفظ، وقالوا : الاسم اللفظ، فليس لله في الأزل اسم ولا صفة، فلزمهم نفي [صفة][٧٧٠] الإلهية، تعالى الله عن ذلك.

ولما رأى أهل الحق ما في هذه المقالة من الدسيسة أنكروها، ونفروا عنها، حتى قال الشافعي : إذا رأيت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة.

وعارضهم من قال : «الاسم هو المسمى»، ولم يقصدوا به أن نفس اللفظ هو حقيقة الذات، فإن فساد ذلك معلوم بالبديهة، وإنما قصدوا به دفع تمويههم، وأن

---

[٧٦٦] هذا كلام العطار في «حاشيته» (٢/ ٤٩٦)

[٧٦٧] هو الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (٧١٩ - ٧٦٣ هـ) : له كتاب : (عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح) ولي قضاء الشام (سنة ٧٦٢ هـ فأقام عاما، ثم ولي قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، وتوفي مجاورا بمكة. انظر «الأعلام» (١/ ١٧٦)

[٧٦٨] نقله الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٩٩)

[٧٦٩] سبقت ترجمته في باب الاجتهاد.

[٧٧٠] كذا في الأصل وفي نسخة «الغيث الهامع» (٢/ ٤٩٦) وفي نسخة «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٧٤) : (الصفة)

الاسم حيث ذكر بوصف أو أخبر عنه فإنما يراد به نفس المسمى، لولا هو لم يذكر أصلا.

واستشهدوا بقوله -تعالى- : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وإنما يسبح الرب -سبحانه وتعالى-. وقوله -تعالى- : ﴿[نُبَشِّرُكَ][٧٧١] بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]. ثم قال تعالى : ﴿يَا يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ١٢] فنادى الاسم، وإنما المقصود المسمى. انتهى.[٧٧٢]

[الأصح أن أسماء الله تعالى توقيفية]

(و) الأصح عند جمهور الأشاعرة (أن أسماء الإله) -سبحانه وتعالى- (الحسنى) تأنيث الأحسن (قصر) أي مقصورة، فالمصدر بمعنى اسم المفعول (على التوقيف) أي التعليم، فيتوقف جواز إطلاق الاسم عليه -تعالى- على تعليم الشارع وإذنه.[٧٧٣]

كما صرح به الناظم بقوله من زيادته : (أعني) بالتوقيف (الإذنا) بأن يسمع من لسان الشارع بطريق صحيح أو حسن، أو بإذن في استعماله كذلك، فما أذن في إطلاقه واستعماله كذلك جاز اتفاقا، وما لا فلا؛ إذ لا يجوز أن يسمى النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- بما ليس من أسمائه، بل لو سمي واحد من أفراد الناس بما لم يسمه به أبوه لما ارتضاه، فالباري -سبحانه وتعالى- أولى.

وذهب القاضي أبو بكر[٧٧٤] كالمعتزلة إلى جواز تسميته -تعالى- بكل ما لاق بجلاله -تعالى- من غير توقيف، إلا إن يوهم نقصا.[٧٧٥]

---

[٧٧١] في الأصل (ويبشرك) والصحيح ما أثبته هنا.
[٧٧٢] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٧٢-٢٧٣) «الغيث الهامع» (٧٩٧-٧٩٨)
[٧٧٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٦) «الغيث الهامع» (٧٩٩) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٧٦)
[٧٧٤] هو القاضي أبو بكر الباقلاني.
[٧٧٥] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٧٦)

وذهب الغزالي إلى جواز إطلاق ما علم اتصافه -تعالى- به على طريق التوصيف، دون التسمية؛ لأن [إجراء][٧٧٦] الصفة إخبار بثبوت مدلولها، فيجوز عند ثبوت المدلول، إلا لمانع، بخلاف التسمية فإنها تصرف في المسمى، وهو -تعالى- منزه عمن يتصرف فيه.[٧٧٧]

وعلى الأول هل يكتفي بالإطلاق مرة، أو لا بد من التكرار والكثرة؟ رأيان، رجح السيوطي منهما الأول؛ لأنه الظاهر من صنيع العلماء[٧٧٨].

وهل يكتفي فيه بخبر الواحد والظواهر كسائر الأحكام أو يشترط فيه القطع؟ قولان، أصحهما كما قاله ابن القشيري الأول[٧٧٩].

وهل يشترط وروده بلفظ الوصف، أو يكفي ورود الفعل والمصدر؟ قال البلقيني : ظاهر كلام الشافعي في («الرسالة»[٧٨٠]) الثاني، فإنه قال في خطبتها : الجاعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

ومن الأسماء الواردة كما حققه ابن حجر في «التحفة» : «الواهب»، فإنه نقل عن «المجموع» : قال أصحابنا يستحب أن يهنأ -أي الوالد عند الولادة- بما جاء عن الحسن -رضي الله تعالى عنه- أنه علم إنسانا التهنئة، فقال : «قل : بارك الله لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشده، ورزقت بره»[٧٨١].

قال -أعني ابن حجر- : فإطباق الأصحاب على أسن ذلك مصرح بأن المراد الحسن بن علي -كرم الله تعالى وجههما- لا البصري؛ لأن الظاهر أن هذا لا

---

[٧٧٦] كذا في الأصل، وفي نسخة «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٦) : (أجزاء) لعل الصحيح ما أثبته المصنف هنا.

[٧٧٧] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٦-٤٩٧) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٧٦)

[٧٧٨] انظر : «الغيث الهامع» (٧٩٩)

[٧٧٩] ذكره ابن القشيري في «المرشد» كما أفاده الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٧٩٩)

[٧٨٠] انظر : «الرسالة» (٢٩)

[٧٨١] انظر : «المجموع شرح المهذب» (٨/ ٤٤٣) «تحفة المحتاج» (٩/ ٣٧٧)

يقال من قبل الرأي، فهو حجة من الصحابي لا التابعي، وحينئذ اتضح منه جواز استعمال الواهب، وأنه من الأسماء التوقيفية، إلخ ما أطال.[٧٨٢]

بل رأيت في «ابن خلكان[٧٨٣]» أن علي بن أبي طالب قاله مهنئا لابن عباس بولده علي، ولفظه : «شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب».[٧٨٤]

وحينئذ لا يعترض على السمرقندي في قوله : «الحمد لواهب العطية»، وقوله في «المنة» : «لواهب العقل»، وقول شيخ الإسلام في بعض نسخ «شرحه» : «الحمد لله الواهب المنان».

[حكم من قال : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى]

(و) الأصح أن المرء يقول : أنا (مؤمن إن شاء) الله (ربي) -عز وجل-، أي يجوز له ما ذكر المشتمل على التعليق، بل (يحكي) ذلك ويؤثره على الجزم، وهذا قول جمهور السلف من الصحابة، والتابعين، والشافعي، ومالك، وأحمد، والأشاعرة، والمحدثين، بل زاد بعضهم على ذلك، فأوجبه.[٧٨٥]

ومنع ذلك طائفة منهم الإمام أبو حنيفة، وقالوا : هو شك، والشك في الإيمان كفر.[٧٨٦]

---

[٧٨٢] انظر : تحفة المحتاج (٩/ ٣٧٧)

[٧٨٣] هو الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) : المؤرخ الحجة، والأديب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما. ولد في إربل (بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي) وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها. وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. وعزل بعد عشر سنين. فعاد إلى مصر فأقام سبع سنين، ورد إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون. يتصل نسبه بالبرامكة . انظر «الأعلام» (١/ ٢٢٠)

[٧٨٤] انظر : «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٧٤)

[٧٨٥] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٠)

[٧٨٦] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٠) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٧٩)

قال عبد الله بن يزيد[٧٨٧] : إذا سئل أحدكم أمؤمن أنت؟ فلا يشكن في إيمانه. رواه ابن أبي شيبة[٧٨٨].

وأجيب عن ذلك بأوجه :

منها : أنه لا يقال ذلك شكا، بل خوفا من سوء الخاتمة ، وعلى هذا اقتصر الناظم كـ «أصله»؛ إذ قال (لخوف سوء الختم) أي من الخاتمة المجهولة، وهو الموت على الكفر، والعياذ بالله -تعالى- المحيط لما قبله من الإيمان وغيره.[٧٨٩]

(لا للشك) في إيمانه في الحال، فإنه حينئذ متحقق له، جازم باستمراره عليه، إلى الخاتمة التي يرجو حسنها، والأعمال معتبرة بالخواتيم، كما أن الصائم لا يصح الحكم عليه بالصوم إلا في آخر النهار؛ إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى الغروب من آخر النهار، والعمر ميقات تمام صحة الإيمان، ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه، والعاقبة مخوفة. [٧٩٠]

قيل لابن مسعود : إن فلانا يقول : أنا مؤمن ولا أستثنى، فقال قولوا له : أهو في الجنة؟ فقال : الله أعلم، قال : فهلا وكلتَ الأولى كما وكلت الثانية؟. أخرجه ابن أبي شيبة[٧٩١].

---

[٧٨٧] هو عبد الله بن زيد ابن عبد ربه بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، المدني، البدري، من سادة الصحابةً شهد العقبة وبدراً وهو الذي أري الأذان٢، وكان ذلك في السنة الأولى من الهجرة. له أحاديث يسيرةً وحديثه في السنن الأربعة. وقيل: إن ذكر ثعلبة في نسبه خطأ. حدث عنه: سعيد بن المسيبٌ وعبد الرحمن بن أبي ليلى ولم يلقه وعمد بن عبد الله ولده. توفي سنة اثنتين وثلاثين. انظر «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٧)

[٧٨٨] رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٠١٥)

[٧٨٩] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٠) «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٧)

[٧٩٠] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٢)

[٧٩١] لم أجد نص هذه القصة في «المصنف» لابن أبي شيبة، وقد روى نحوه القاسم بن سلام في «الإيمان» (٩) بلفظ : «أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى؟» والآجري في «الشريعة» (٢٨٤) وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٨٢) (١١٨٤)

ومنها : أنه للتبرك، وإن لم يكن فيه شك، نحو قوله -تعالى- : ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّـهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] إلخ. وكان -تعالى- عالما بأنهم يدخلون لا محالة وإن شاءه.[٧٩٢]

وقوله -صلى الله تعالى عليه وسلم- لأهل القبور : «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[٧٩٣] واللحوق بهم غير مشكوك فيه، وإنما ذكر المشيئة للتبرك.[٧٩٤]

ومنها : أن المشيئة راجعة إلى كمال الإيمان، فقد يخل ببعضه فيستثنى لذلك.[٧٩٥]

والمعنى : أنا مؤمن حقا إن شاء الله؛ إذ قال -تعالى- في قوم مخصوصين : ﴿أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] ، وظاهر أن كل إنسان شاك في كمال إيمانه، وهو ليس بكفر؛ لأن كمال الإيمان بأعمال الطاعات، ومن يدري بوجودها على الكمال؟!.

وعلم مما قررناه آنفا أن الأقوال في المسألة ثلاثة[٧٩٦].

قال جماعة من المحققين[٧٩٧] : والخلاف في ذلك لفظي؛ لاتفاقهم على أن أمر الخاتمة مجهول، وأن الاعتقاد الحاضر يضره أدنى تردد، وأن الانتفاع به مشروط

[٧٩٢] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٠)

[٧٩٣] رواه مسلم في «صحيحه» (٥٠٥) (٥٠٦) (٢٢١٥) وابن ماجه في «سننه» (١٥٤٧) وأبو داود في «سننه» (٣٢٣٩) وغيرهم من الحفاظ.

[٧٩٤] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٢)

[٧٩٥] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٠) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٢)

[٧٩٦] هذا، وقد ذكر الزركشي أن المسألة فيها مذهب آخر رابع وهو التفصيل بين الإيمان والإسلام يقول : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ولا يقول أنا مسلم ويستثنى، هذا القول حكاه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» عن أحمد بن حنبل وهو غريب. انظر «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨١)

[٧٩٧] منهم الإمام الزركشي كما ذكره في «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٣)

بالموافاة عليه، فلم يبق إلا تسميته إيمانا وهو لفظي، وكل من تكلم في ذلك لم يقصد إلا الخير، وتكلم على قدر حاله، وكل إناء بالذي فيه ينضَح.[٧٩٨]

قال شيخ الإسلام : فمن قال من العلماء بوجوب الاستثناء غلب عليه حال استحضار تلك الأمور المانعة من الجزم، ومن منعه غلب عليه وجوب الجزم بالتصديق، وانغمرت تلك الأمور المقابلة له في قلبه، ومن جوز الأمرين نظر إلى الطرفين، وليس أحد منهم شاكا فيما هو حاصل الآن، ولا مقصرا فيما وجب عليه،[٧٩٩] ولله الحمد و [المنة][٨٠٠].

[الأصح أن ملاذ الكفار استدراج]

(**و**) الأصح (**أنه**) أي الحال والشأن (**تلذذ الكفار**) بما ألذهم الله -تعالى- به من متاع الدنيا (**لمحض الاستدراج**) منه -تعالى- لهم، حيث يلذهم مع علمه بإصرارهم على الكفر إلى الموت، فهي نقمة عليهم يزداد بها عذابهم،[٨٠١] (**لا أبرار**) بالنعمة لهم، وهذا هو المحكي عن الأشعري[٨٠٢].

وقيل -وعليه المعتزلة- : إن ذلك نعمة؛ لقوله -تعالى- : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّـهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣] وقوله -تعالى- : ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّـهِ﴾ [الأعراف: ٦٩].

---

[٧٩٨] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٣)
[٧٩٩] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٧)
[٨٠٠] في الأصل (المنه)
[٨٠١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٧)
[٨٠٢] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠١) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٤)

قال شيخ الإسلام[٨٠٣] : معنى الاستدراج في الأصل طلب التدرج وهو التنقل في الدرجات، ثم استعمل في مطلق التنقل، وأريد [به][٨٠٤] تنقل الكافر فيما [يأتي][٨٠٥] به استحقاقُه العذاب، حيث تمادى في كفره مع وصول النعم إليه، فهي نقم في صورة نعم، فسماها الأشاعرة نقما، نظرا إلى حقيقتها، والمعتزلة نعما نظرا إلى صورتها. انتهى[٨٠٦].

وفيه إشارة إلى أن الخلاف لفظي، فإن من نفى النعم لا ينكر الملاذ في الدنيا، وتحقيق أسباب الهداية، غير أنه لا يسميها نعمة؛ لما يعقبها من الهلاك، ومن أثبت كونها نعما لا ينازع في تعقيب الهلاك لها، غير أنه سماها نعما للصورة.[٨٠٧]

[الأصح أن المشار إليه بـ «أنا» الهيكل المخصوص]

(**و**) الأصح (**أن ما له يشار**) أي المشار إليه (**بـ**) قول الشخص (**أنا الهيكل المخصوص**)[٨٠٨].

أصل الهيكل في اللغة : الضخم من كل شيء، كما في «القاموس»[٨٠٩].

وقد فسره الناظم بقوله : (**أعني البدنا**) المشتمل على النفس[٨١٠].

وإيضاح ذلك أنه اختلف في حقيقة النفس الإنسانية، وهو ما يشير إليه كل واحد بقوله : «أنا»، فقال الجمهور : هو البدن المعين، والهيكل المخصوص؛ لأن كل

---

[٨٠٣] هو شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وقد سبقت ترجمته.
[٨٠٤] كذا في الأصل، وفي نسخة «حاشية زكريا الأنصاري» المخطوطة (ق : ١٨٣) : (ها هنا)
[٨٠٥] كذا في الأصل، وفي نسخة«حاشية زكريا الأنصاري» المخطوطة (ق : ١٨٣) : (يتأكد)
[٨٠٦] انظر : مخطوط «حاشية زكريا الأنصاري على شرح جمع الجوامع» ورقة ١٨٣
[٨٠٧] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠١) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٥)
[٨٠٨] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٨) «الغيث الهامع» (٨٠٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٥)
[٨٠٩] انظر : «القاموس المحيط» (١/ ١٠٧١)
[٨١٠] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٨) «الغيث الهامع» (٨٠٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٥)

عاقل إذا قيل له : ما الإنسان؟ يشير إلى هذه البنية المخصوصة، ولأن الخطاب يتوجه إليها، وكذا الثواب والعقاب[٨١١].

وقيل[٨١٢] -وعليه المعتزلة- : هي اسم لخصوص اللطيفة المودعة فيه، وهي الروح؛ لأنها المدبرة.[٨١٣]

والأول هو الذي يشهد له القرآن واللغة. قال -تعالى- : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] ، والمخلوق من الطين إنما هو البدن هذا.[٨١٤]

(**قلت**) متعقبا على «الأصل» : ولكن (**المناسب**) في التعبير أن يقول : (**وأن النفسا**) المشار إليه بقول الشخص أنا (**الهيكل المخصوص أي ما حسا**)؛ لقول الزركشي : وأعجب من المصنف -أي ابن السبكي- في شيئين :

أحدهما : اقتصاره على إيراد قول الهيكل، مع أن بعضهم قال : هو مبني على إنكار النفوس بعد المفارقة، وهو قول ضعيف.

ولذا قال الناظم : (**ثمة ذا**) الذي ذكره هنا قول (**واه**) أي ضعيف ساقط، تقدم منه الجزم بخلافه حيث قال ثَمَّ : «والنفس باقية بعد موت البدن إلخ»، وقد سئل عن الجمع بين المسألتين فقال : لا ارتباط بينهما حتى يسأل عن الجمع بينهما.

ونظر فيه الزركشي بأن المشار إليه إنما هو الهيكل إذا كان حيا، وبزوال الحياة تزول الركنية.

---

٨١١ ذكره الإمام فخر الدين الرازي في «المطالب» كما أفاده الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٨٠٢)
٨١٢ حكاه الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (٣٣٣) وانظر «الغيث الهامع» (٨٠٢)
٨١٣ انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٨) «الغيث الهامع» (٨٠٢)
٨١٤ انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٧)

قال -أعني الزركشي- : الثاني أنه سبق منه اختيار الإمساك عن الكلام في الروح، فكيف يتكلم عليها هنا؟»[815].

ولذا قال الناظم : (و) قلت (أيضا) في التعقيب على «الأصل» : إنه (ناقضا) بألف الإطلاق (إمساكه عن) التكلم في حقيقة (نفسنا) يعني الروح (فيما مضى)، حيث قال ثم : «وحقيقة الروح لم يتكلم عليها محمد -صلى الله تعالى عليه وسلم- فنمسك عنها». انتهى

وقد انفصل صاحب «الأصل» عن هذا بأنها مسألتان :

إحداهما : في حقيقة الروح، هل هي عرض أو جوهر أو غير ذلك من الأقوال؟ وهو موضع ما سكت عنه.

والثانية : أن المشار إليه بـ «أنا» هل هو هذه الجثة أو الروح؟ فمن قال : الروح الجثة فلا إشكال عنده، وأما من لم يقل بأنها [الجثة][816] وهو الذي يقطع به فإنه يقول : لا يلزم من كون الروح غير الجثة أن لا يكون المشار إليه بـ «أنا» الجثة إذا كانت النفس قائمة بها؛ [لتخرج][817] جثة الميت. انتهى.

وهذا له نوع اتجاه، غير أن الزركشي قال : لا يخفى ما فيه من التعسف، مع خروجه عن طريقة الناس في حكاية هذا المذهب، فلن يصلح العطار ما أفسد الدهر.[818]

---

[815] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٧)

[816] في الأصل : (غير الجثة) وهو خطأ، والصحيح ما أثبته هنا. انظر «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٩) «الغيث الهامع» (٨٠٣)

[817] في الأصل : (ليخرج) والصحيح ما أثبته هنا. انظر «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٩) «الغيث الهامع» (٨٠٣)

[818] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٨٩) «الغيث الهامع» (٨٠٣)

نعم ذكر بعض المحققين[819] أن الخلاف في هذه المسألة لا طائل تحته؛ إذ هو خلاف في إطلاق اللفظ، ومثله لا يكون نزاعا بين المعتزلة وأهل السنة، فتدبره.

[الكلام على الجوهر الفرد]

(**والجوهر**) وهو ما يشغل الحيز، أي الموجود المتحيز بالذات، أعني ما يتحيز غير تابع في تحيزه لغيره، فخرج الواجب الوجود؛ لانتفاء التحيز عنه، والعرض لتبعيته في التحيز لمحله.

والمراد من وصفه بقوله : (**الفرد**) أن لا يقبل الانقسام أصلا، لا قطعا، ولا كسرا، ولا وهما، ولا فرضا، والتعبير بالجوهر الفرد هو للمتقدمين، وقد فسره بعبارة المتأخرين فقال : (**أي الجزء الذي لا يتجزا**) -بإبدال الهمزة ألفا للوزن- (**ثابت**) في الخارج، وإن لم ير في العادة إلا بانضمامه إلى غيره، ووجود ذلك مسبوقا بالعدم؛ لما تقدم من أدلة حدوث العالم، وكل جزء من أجزائه التي منها الجوهر الفرد، ولا معنى للحادث إلا ما كان مسبوقا بالعدم، أي لم يكن ثم كان.

وهذا (**فيما**) أي المذهب الذي (**احتذى**) أي اختير لأهل الحق من المتكلمين، خلافا للفلاسفة فإنهم نفوا ذلك، وزعموا تركب الجسم الطبيعي من الهيولي والصورة، وهما جوهران، الأول أصل لازم مع أن الضرورة أن الصور أعراض تتوارد، ونفى بعضهم التركب، وقال بعضهم بالتضام، ونعوذ بالله من الهوس.

قال الولي العرقي : والقصد بإثبات الجوهر الفرد أنه من مقدمات حدوث العالم، فإن الجسم إذا ثبت أنه مركب من أجزاء مقررة استحال خلوه عن الأكوان التي هي عبارة عن الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق، وهي معان حادثة،

---

[819] ذكره العطار في «حاشيته» (٢/ ٤٩٧)

فيترتب عليه أن ما لا يخلو عن الأكوان الحادثة لا يسبقها، وما لا يسبق الحادث فهو حادث، أو يؤدي إلى ما لا أول له من الحوادث، وهو محال.[820]

ومن ثم قال بعض المحققين : أن الأجسام متماثلة، أي متحدة بالحقيقة، وإنما الاختلاف بالعوارض. وهذا أصل ينبني عليه كثير من قواعد الإسلام، كإثبات القادر المختار، وكثير من أحوال النبوة والمعاد، فإن اختصاص كل جسم بصفاته المعينة لا بد أن يكون لمرجح مختار؛ إذ نسبته الموجب إلى الكل على السواء، ولما صار على كل جسم ما يجوز على الآخر، كالبرد على النار، والحرق على الماء، ثبت جواز ما نقل من المعجزات وأحوال القيامة، ومبنى هذا الأصل عند المتكلمين على أن أجزاء الجسم ليست إلا الجواهر الفردة، وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف حقيقة، ولا محيص لمن اعترف بتماثل الجواهر واختلاف الأجسام بالحقيقة من جعل بعض الأعراض داخلة فيها[821].

[لا واسطة بين المعدوم والموجود]

(و) الأصح وهو قول جمهور المتكلمين : (أنه لا حال) أي لا واسطة (بين ذي العدم) أي المعدوم، (وذي الوجود) أي الموجود[822].

واحتج الإمام فخر الدين[823] على ذلك بأن تلك الواسطة إن كان لها ثبوت بوجه ما كانت موجودة، وإن لم تكن فمعدومة[824].

---

[820] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٤)

[821] نقل العطار هذا الكلام في «حاشيته» (٢/ ٤٩٨) من «شرح المقاصد».

[822] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٣)

[823] أي الإمام فخر الدين الرازي.

[824] انظر : «المحصول» (٥/ ٢٩٦) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٥) «الغيث الهامع» (٨٠٤)

(**خلف ما القاضي**) أبو بكر الباقلاني (**حكم**) من ثبوت الواسطة بينهما، (**و**) كذا إمام الحرمين (**ابن**) الشيخ أبي محمد (**الجويني**) في بعض كتبه[٨٢٥] كجمهور المعتزلة، فإنهم أثبتوها وسموها بالحال، وعرفوها بأنها صفة لموجود لا توصف بوجود ولا عدم، أي أنها غير موجودة في الأعيان، ولا معدومة في الأذهان.[٨٢٦]

قالوا : الوجود وصف مشترك بين الموجودات كلها، وهو ليس بموجود؛ إذ لو كان موجودا لساوى غيره من الماهيات في الوجود، فيزيد وجود الوجود على ماهيته، لأن ماهيته مخالفة لسائر الماهيات، وما به المساواة زائد على ما به المخالفة، فللوجود وجود آخر زائد عليه، والكلام فيه كالكلام في الأول، ويلزم التسلسل، وأنه محال، فثبت أن الوجود ليس بموجود ولا معدوم أيضا؛ لأنه لا يتصف الوجود بمنافيه وهو العدم، وإذا لم يكن الوجود موجودا ولا معدوما كان صفة غير موجودة ولا معدومة قائمة بموجود وهو الحال[٨٢٧].

وأجيب من طرف الجمهور بمنع قول هؤلاء : «لو كان موجودا لساوى إلخ» بأن وجوده عين ذاته، ويمتاز عن سائر الوجودات، فلا يتسلسل.[٨٢٨]

(**قلت**) مستدركا على صاحب «الأصل» في جزمه بالنقل عن ابن الجويني : (**لكن**) إنما قال بالأحوال في أول أمره، وقد (**نخبا**) -بألف الإطلاق- أي اختار ابن الجويني آخرا (**رجوعه عنه**) أي عن القول بها، فإنه قال في «المدارك» : اخترنا في

[٨٢٥] ذكره إمام الحرمين في كتابه «الشامل»، لكنه رجع عنه في «المدارك» كما نقله عنه الآمدي وغيره. انظر «حاشية البناني» (٢/ ٤٢٦) «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٨)

[٨٢٦] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٨) «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٨)

[٨٢٧] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٨)

[٨٢٨] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٨)

«الشامل» المشي على أساليب الكلام في القطع بإثبات الأحوال، ونحن الآن نقطع بنفيها. انتهى.[829]

[الأصح أن النسب والإضافات أمور اعتبارية لا وجودية]

(**و**) الأصح عند أكثر المتكلمين (**أن النسبا**) -بكسر النون وفتح السين- جمع نسبة، وهي ما يتوقف تعقلها على تعقل غيرها[830].

فقوله : (**مع الإضافات**) جمع إضافة، وهي نسبة تعرض للشيء بالقياس إلى نسبة أخرى، كالأبوة، والبنوة، من ذكر الخاص بعد العام؛ لأن كلا من طرفي الإضافة نسبة (**أمور تعتبر في الذهن**)، أي أمورا اعتبارية يعتبرها العقل، (**لا ذات وجود استقر**) بالوجود الخارجي، بل بالوجود الذهني.[831]

فالتحقيق أن الأمور الاعتبارية لا وجود لها إلا في الذهن فقط، وقول من قال : إن صادقها له تحقق في نفسه بخلاف كاذبها غير معول عليه، كما بين في موضعه[832].

وخالف الحكماء في الأعراض النسبية، وهي سبعة :

الأين : وهو حصول الجسم في المكان.

والمتى : وهو حصول الجسم في الزمان.

والوضع : وهو هيئة تعرض للجسم باعتبار نسبة أجزائه بعضها إلى بعض، وبنسبتها إلى الأمور الخارجية عنه، كالقيام، والانتكاس.

---

[829] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/٢٩٣-٢٩٤) «الغيث الهامع» (٨٠٤) «حاشية العطار» (٢/٤٩٨)

[830] انظر : «حاشية العطار» (٢/٤٩٨)

[831] انظر : «حاشية العطار» (٢/٤٩٨)

[832] بينه العطار مفصلا في «حاشيته على مقولات الشيخ أحمد السجاعي». وقد رأيته مطبوعا في نحو ٥٥ صفحة. انظر : «تشنيف المسامع» (٤/٢٩٦) «حاشية العطار» (٢/٤٩٨)

والملك : وهو هيئة تعرض للجسم باعتبار ما يحيط به، وتنتقل بانتقاله، كالتقمص.

والفعل : وهو تأثير الشيء في غيره ما دام يؤثر.

وأن ينفعل : وهو تأثر الشيء عن غيره مادام يتأثر، كحال المسخن والمتسخن مادام يتسخن.

والإضافة : ومر آنفا معناها.[٨٣٣]

فهذه السبعة قالت الحكماء أنها موجودة في الخارج،[٨٣٤] ووافقهم في الأين طائفة من المتكلمين[٨٣٥]، بل قيل : إنه لا خلاف في وجوده خارجا، وسموه «الأكوان الأربعة» : الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق.[٨٣٦]

قالوا : إن وجوده ضروري بشهادة الحس[٨٣٧].

وتلك السبعة من جملة المقولات العشر، وبقي ثلاث : الجوهر، وتقدم، والكم وهو ما يقبل القسمة لذاته، سواء كان متصلا أو منفصلا، والكيف وهو ما لا يقبل القسمة لذاته، ولا يتوقف تصوره على تصور غيره.

---

[٨٣٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٥٩)

[٨٣٤] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٩)

[٨٣٥] انظر : تشنيف المسامع (٤/ ٢٩٦) الغيث الهامع (٨٠٥)

[٨٣٦] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٩)

[٨٣٧] انظر : «حاشية العطار على شرح مقولات السجاعي» (١٤)

وقد أشار بعضهم[838] إلى العشر بقوله :

قمرٌ [عزيزٌ][839] الحُسن ألطف مصره * قد قامَ يكشفُ غمتي لما انْثَنَى[840]

وقد أفردت بتأليف[841].

[الكلام على العرض]

ثم ذكر مسائل تتعلق بالعرض وهو ما لا يقوم بنفسه، بل يفتقر في وجوده إلى محل يقوم به، كالحركة، والسكون، والبياض، والسواد.[842]

فقال : (ما) نافية (عرض بعرض) آخر (يقُوم)، بل إنما يقوم بعض الأعراض بالجوهر الفرد، أو المركب أي الجسم، وهذا ما عليه جمهور المتكلمين.[843]

قالوا : إن قيام العرض بالمحل أنه تابع له في التحيز، فما يقوم به العرض يجب أن يكون متحيزا بالذات، ليصح أن يكون الشيء تابعا له، والمتحيز بالذات ليس إلا الجوهر.[844]

وجوزت الحكماء قيام العرض بالعرض. وسيأتي في زيادة الناظم أن الإمام[845] مال إليه.[846]

---

[838] ذكره الجرجاني في «التعريفات» (٢٢٦)

[839] كذا في الأصل، وفي «التعريفات» (٢٢٦) للجرجاني : (غزير)

[840] هذا البيت المراد به أن لفظ «قمر» هنا يشير إلى الجوهر، ولفظ «غزير» يشير إلى الكم، ولفظ «الحسن» يشير يشير إلى الكيف، ولفظ ألطف يشير إلى الإضافة، ولفظ «مصر» يشير إلى الأين، ولفظ «قام» يشير إلى الوضع، ولفظ «يكشف» يشير إلى الفعل، ولفظ «غمتي» يشير إلى الملك، ولفظ «لما» يشير إلى المتى، ولفظ «انثنى» يشير إلى الانفعال. والله أعلم.

[841] قد سبقت أن ذكرت أن العطار كتب «حاشية على مقولات الشيخ السجاعي».

[842] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٨)

[843] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٩) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٨) «الغيث الهامع» (٨٠٥)

[844] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٩)

[845] أي الإمام فخر الدين الرازي.

[846] انظر : البدر الطالع (٢/ ٤٦٠) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٧) «الغيث الهامع» (٨٠٥)

[العرض لا يبقى زمانين]

(ولا) العرض (زمانين معا يدُوم)، بل ينقضي، ويتجدد مثله بإرادة الله -تعالى- في الزمان الثاني، وهكذا على التوالي، حتى يتوهم من حيث المشاهدة أنه أمر مستمر باق.[847]

قال الولي العراقي: هذا مذهب الأشاعرة، ورتبوا عليه نفي قدم العالم؛ لأنه إذا لم يبق زمانين لم يستقل بنفسه، بل ينفتقر إلى الله -تعالى- على مرور الأزمان، وإليه الإشارة بقوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّـهِ﴾ [فاطر: ١٥] فالجوهر مفتقر إلى الفاعل في إيجاده، و [إبقائه][848]، وإمداده بأعراضه، فلو بقي العرض زمانين لما احتاج إلى فاعل.[849] وسيأتي ما فيه.

وقال الحكماء: إنه يبقى إلا الحركة والزمان، بناء على أنه عرض كما سيأتي.[850]

[العرض لا يحل محلين]

(ولا) العرض (محلين يحل)، فسواد أحد المحلين مثلا غير سواد الآخر، وإن تشاركا في الحقيقة.[851]

قال العطار: لأنه لو قام بمحلين لزم اجتماع العلتين المستقلتين على معلول واحد هو تشخص ذلك العرض، وهذا المطلب ضروري، والضرورات قد ينبه عليها، وأجلى منه بداهة امتناع قيام العرض بنفسه[852].

وقيل[853]: القرب ونحوه مما يتعلق بطرفين يحل محلين.

---

[847] انظر: البدر الطالع (٢/ ٤٦٠) «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٨) «الغيث الهامع» (٨٠٦)

[848] كذا في الأصل، وفي نسخة «الغيث الهامع» للولي العراقي (٨٠٦): (بقائه)

[849] انظر: «الغيث الهامع» (٨٠٦)

[850] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٠)

[851] خلافا لأبي هاشم فإنه زعم أن التألف عرض واحد في محلين. انظر: «الغيث الهامع» (٨٠٦) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٠) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٠)

[852] انظر: «حاشية العطار على شرح جمع الجوامع» (٢/ ٥٠٠)

[853] وهو قول قدماء المتكلمين. انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٦١)

وعلى الأول قرب أحد الطرفين مخالف لقرب الآخر بالشخص، وإن تشاركا في الحقيقة النوعية، والوحدة النوعية كافية في الربط بين المضافين[٨٥٤].

وعلم مما قررنا أن قوله : (**في الأصح**) راجع للمسائل الثلاث، أعني عدم قيام العرض بالعرض، وعدم بقائه زمانين، وعدم حلوله محلين.

نعم، خالف جماعة من المحققين في الثانية، فضعفوا القول بها، وإنما دعى قائليها إلى ذلك جعلهم علة احتياج الممكن إلى الفاعل هي الحدوث، فألزموا الاحتياج بعد حدوثه، فقالوا : إن بقاء الجوهر مشروط بالعرض، والعرض لا يبقى زمانين، فالحاجة باقية، ومن قال : إن علة الاحتياج الإمكان لم يحتج إلى ذلك؛ لأن وصف الإمكان باق.

(**قلت**) مصرحا بمن اختار خلاف الأصح في عدم قيام العرض بالعرض : (**الجواز**) أي جواز ذلك الإمام (**الفخر**) أي فخر الدين الرازي (**في**) المسألة (**الأولى جنح**) أي مال إلى الجواز في «المحصول»؛ لأن السرعة والبطأ قائمان بالحركة، وليسا قائمين بالجسم، إذ يقال : جسم بطيئ في حركته، ولا يقال : جسم بطيء في جسميته.[٨٥٥]

وأجيب بأن السرعة والبطء قائمان بالمتحرك بواسطة الحركة لا بنفس الحركة، وإيضاحه أن السرعة أو البطء ليس عرضا قائما بالحركة عليها، بل الحركة أمر ممتد يتخلله سكنات، أقل أو أكثر باعتبارها تسمى سريعة أو بطيئة.[٨٥٦]

ولو سلم أن البطء ليس يتخلل السكنات فالحركة أنواع مختلفة، والسرعة والبطء عائدان إلى الذاتيات دون العرضيات، أو هما من الاعتبارات اللاحقة بحسب

---

[٨٥٤] انظر : «حاشية الشربيني» (٢/ ٥٠٠)
[٨٥٥] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٧) «الغيث الهامع» (٨٠٥)
[٨٥٦] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٢٩٨) «حاشية العطار» (٢/ ٤٩٩) «الغيث الهامع» (٨٠٥)

الإضافة إلى حركة أخرى تقطع المسافة المعينة في زمان أقل أو أكثر، ولهذا تختلف باختلاف الإضافة، فتكون السرعة بطأ بالنسبة إلى الإسراع. تأمل.[857]

[الأصح أن المثلين لا يجتمعان]

(**و**) الأصح (**أنه**) -الضمير للحال والشأن- العرضان (**المثلان**[858])، بأن يكونا من نوع واحد كالسوادين.[859]

وإنما قيدت تبعا للمحقق بالعرضين؛ لأن مفهوم المثلين أعم، إذ هما موجودان يتشاركان في حقيقة واحدة، سواء كانا عرضين، أو جسمين، أو جوهرين، والقرينة على هذا التقييد كون الكلام في الأعراض لا يجتمعان في محل واحد،[860] خلافا للمعتزلة فإنهم جوزاو اجتماعهما؛ لأن الجسم المغموس في صبغ ليسود يعرض له سواد، ثم آخر وآخر إلى أن يبلغ غاية السواد بالمكث.[861]

قال المحقق[862] : وأجيب بأن عروض السواد له ليس على وجه الاجتماع، بل البدل، فيزول الأول ويخلفه الثاني، وهكذا بناء على أن العرض لا يبقى زمانين كما تقدم، انتهى.[863]

ومر ما فيه، فالأولى ما يفيده قول العراقي : أن أصحابنا احتجوا على أنهما لا يجتمعان بأن المحل لو قبل المثلين للزم أن يقبل الضدين؛ فإن القابل للشيء لا يخلو

---

[857] هذا الجواب نقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٤٩٩) من «شرح المقاصد».

[858] المثلان هما اللذان لا يجتمعان ويمكن ارتفاعهما مع التساوي في الحقيقة كالبياض والبياض. انظر «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠١)

[859] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦١)

[860] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٠)

[861] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦١)

[862] هو الإمام جلال الدين المحلي، وقد سبقت ترجمته.

[863] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦١)

عنه أو عن مثله أو ضده، فلو قبل المثلين لجاز وجود أحدهما في المحل وانتفاء الآخر، فيخلفه ضده، فيجتمع الضدان وهو محال[٨٦٤].

[الضدان لا يجتمعان]

كما قال: (**كالضدين**) كالسواد والبياض؛ فإنهما (**لا يجتمعان في المحل**) الواحد (**مسجلا**) يعني اتفاقا، (**دون الخلافين**).

وهما على ما قاله المحقق: أعم من الضدين، فإنهما يجتمعان من حيث الأعمية كالسواد والحلاوة.[٨٦٥]

لكن إنما يتم ذلك كما حققه شيخ الإسلام بناء على تفسير الخلافين بأنهما موجودان لا يشتركان في جميع الصفات النفسية، أي سواء امتنع اجتماعهما في محل من جهة واحدة وهما الضدان أم لا، وأما على تفسيرهما بأنهما لا يشتركان في ذلك ولا يمتنع اجتماعهما في محل من جهة واحدة فلا يتم ذلك لخروج الضدين كالمثلين بذلك، وحينئذ فالثلاثة متباينة.[٨٦٦]

قال[٨٦٧]: والصفات النفسية هي التي لا تحتاج في وصف لشيء بعدها إلى تعلق أمر زائد عليه، كالحقيقة الإنسانية، والوجود للإنسان، ويقابلها الصفات المعنوية وهي: التي تحتاج فيما ذكر إلى ذلك، كالتحيز، والحدوث، ويعبر عن الأولى بأنها التي تدل على الذات دون معنى زائد عليها، وعن الثانية بأنها التي تدل على معنى زائد على الذات[٨٦٨].

---

[٨٦٤] انظر: «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠١) «الغيث الهامع» (٨٠٥)
[٨٦٥] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٦١)
[٨٦٦] انظر: مخطوط «حاشية زكريا الأنصاري» (ورقة :١٨٧) ونقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٥٠١)
[٨٦٧] القائل شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.
[٨٦٨] انظر: مخطوط «حاشية زكريا الأنصاري» (ورقة :١٨٧-١٨٨) ونقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٥٠١) والبناني في «حاشيته» (٢/ ٤٢٧)

قال بعض المحققين: ومن هنا قال الأشاعرة إن وجود الشيء عينه كما تقدم؛ لأنه لو كان غيره فإما موجود فيحتاج لوجود فيدور أو يتسلسل، أو معدوم فيتصف الشيء بنقيضه، وأنه محال.

لكن أجاب القائلون بالغيرية بأن المحال وصف الشيء بنقيضه حمل مواطأة، وهو عبارة عن أن يكون الشيء محمولا على الموضوع بالحقيقة بلا واسطة، كـ «الإنسان حيوان ناطق»، ويعبر عنه بحمل «هو هو».[869]

بخلاف حمل الاشتقاق أي «حمل هو ذو هو»؛ إذ لا يتحقق في أن يكون المحمول كليا للموضوع، فلا يضر، كما يقال: «الإنسان ذو بياض» و «البيت ذو سقف».[870]

ومنه يعلم وجه ما حققه الناظم فيما مر.

[النقيضان لا يجتمعان]

(**وأما ما جرى**) من العرضين (**بينهما تناقض**) كوجود زيد وعدمه، والقيام وعدمه، (**فلا يرى**)، بل يستحيل (**أنهما**) أي النقيضين (**على الوجود**) أي المحل (**اجتمعا، ولا**) هما (**معا عن الوجود ارتفعا**)، بخلاف المثلين، والضدين، والخلافين يجوز ارتفاعهما عن المحل.[871]

لا يقال: قد مُثِل أن من الضدين الموت والحياة، مع أنهما لا يمكن ارتفاعهما عن الحيوان؛ لأنا نقول يمكن ارتفاعهما بانعدام الحيوان، وإنما لا يرتفعان مع وجوده.

وتلخص من كلامه حصر المعلومات في الأربعة، بيانه أن المعلومين إن أمكن اجتماعهما فهما الخلافان، وإن لم يمكن فإن لم يمكن ارتفاعهما فهما النقيضين، وإن

---

[869] انظر: «الكليات» لأبي البقاء (١/ ٣٧٩)

[870] انظر: «الكليات» لأبي البقاء (١/ ٣٧٩)

[871] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٥٠١)

أمكن ارتفاعهما فإما أن يختلفا في الحقيقة أم لا، والأول الضدان، والثاني المثلان. تأمل.[٨٧٢]

[أحد طرفي الممكن ليس أولى به]

(و) الأصح (أنه) -أي الحال والشأن- (أحد شقي) أي طرفي (ممكن) -وهما الوجود والعدم- (ليس به أولى) من الطرف الآخر، بل هما بالنظر إلى ذاته -جوهرا كان أو عرضا- على السواء؛ لأنه لو كان أحدهما أولى به وتحقق بسبب الطرف الآخر فإن لم تبق تلك الأولوية لا تكون من ذاته، وإن بقيت فإن لم يصر الطرف الآخر أولى به لم يكن السبب، وإن صار فيكون كلا الطرفين أولى، لكن أحدهما بالذات، والآخر بالغير، وما بالذات أقوى، فإن تحقق الطرف الآخر كان ما بالغير أقوى، وإن لم يتحقق لم يكن السبب سببا[٨٧٣].

وقيل: العدم أولى به؛ لأنه أسهل وقوعا في الوجود لتحققه بانتفاء شيء من أجزاء العلة التامة، للوجود المفتقر في تحققه إلى تحقق جميعها.[٨٧٤]

وفيه أن الأولوية هنا ليست خارجا، والكلام في النظر إليه في حد ذاته.[٨٧٥]

وقيل: الوجود أولى به عند وجود العلة وانتفاء الشرط؛ لأنه قد وجدت العلة، وإن لم يوجد هو لانتفاء الشرط[٨٧٦]، وهذا من ناحية ما قبله.[٨٧٧]

---

[٨٧٢] انظر: «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٢)
[٨٧٣] انظر: «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٣)
[٨٧٤] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢)
[٨٧٥] انظر: «حاشية البناني» (٤٢٨)
[٨٧٦] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢)
[٨٧٧] انظر: «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠١) «الغيث الهامع» (٨٠٧)

[الممكن يحتاج في بقائه إلى المؤثر]

و (**بقاء الممكن**) الباقي (**يحتاج للسبب**) المؤثر فيه على الأصح الذي عليه الأكثرون، كما يحتاج إليه في ابتداء وجوده، بمعنى أنه يدوم ذلك الموجود لدوام ذلك المؤثر الأول. وخالف في ذلك الفلاسفة[٨٧٨].

(**وينبني**) هذا الخلاف على ما قاله العراقي والمحقق[٨٧٩].

ولكن الأولى -كما بينه شيخ الإسلام- رجوع الضمير إلى الأصح؛ ليكون مبنيا على كل منهما، كما يشير إليه دفع المخالفة الآتي.[٨٨٠]

(**على أن علية احتياج ما انجلى**) أي ظهر (**من أثر**) أي ممكن في وجوده (**إلى المؤثر**) أي العلة التي يلاحظها العقل في ذلك.[٨٨١]

وعبارة الولي العراقي : وهذا الخلاف مبني على الخلاف في مسألة أخرى، وهي أن علّية احتياج الأثر على المؤثر(**بها**)ذا؟ الباء زائدة، هل هو (**إمكانه**) أي استواء الطرفين بالنظر إلى الذات، وهو حال البناء حاصل لأن الإمكان ضروري، وإذا كانت العلة متحققة كان المعلول متحققا، فيكون البقاء مفتقرا إلى المؤثر لوجود علة الافتقار وهو الإمكان؟. قال الولي العراقي : وهذا اختيار الإمام فخر الدين، وحكاه عن أكثر الأصوليين.[٨٨٢]

(**أو الحدوث**) أي الخروج من العدم إلى الوجود؟ كذا ذكره جمع[٨٨٣].

---

[٨٧٨] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٨) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢)
[٨٧٩] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٨) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢)
[٨٨٠] نقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٥٠٢)
[٨٨١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢)
[٨٨٢] انظر : الغيث الهامع (٨٠٨) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٤) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢) «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٢)
[٨٨٣] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٨) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢)

وذكر بعضهم : أن التحقيق في المراد بالحدوث مسبوقية الوجود بالعدم، قال : فلا شك في اتصاف العالم به حال بقاه، فيكون محتاجا إلى المؤثر حال البقاء.

(**أو هما**) أي الإمكان والحدوث معا (**تركبا**) على أنهما جزآ علة؟ (**أو أول**) أي الإمكان فقط (**فعال**) أي مؤثر (**والثان**) أي الحدوث (**شرطه**) في التأثير؟.[884]

قال الولي العراقي : والفرق بينهما أن الحدوث هو كون الوجود مسبوقا بعدم الإمكان، وهو كون الشيء في نفسه بحيث لا يمتنع وجوده ولا عدمه امتناعا واجبا ذاتيا.[885]

(**وذا**) الخلاف في علة الاحتياج (**أقوال**) أربعة، قال السيد[886] : من قال علة حاجة الممكن إلى المؤثر هي الحدوث وحده أو مع الإمكان، أو قال العلة الإمكان بشرط الحدوث يلزمه أن يكون الممكن حال بقائه مستغنيا عن المؤثر؛ إذ لا حدوث حال البقاء، فلا حاجة، وقد التزمه جماعة منهم، وتمسكوا ببقاء البناء حال فناء البناء، وقالوا : إن العالم محتاج إلى الصانع في أن يخرجه من العدم إلى الوجود، وبعد أن يخرج إليه لم يبق له حاجة إليه، حتى لو جاز العدم على الصانع -تعالى عن ذلك علوا كبيرا- لما ضر العالم، ولما كان هذا أمرا شنيعا[887].

قال بعضهم : إن الأعراض غير باقية، بل هي متجددة دائما، إما بتعاقب الأمثال، وإما بتوارد الوجود على عدم بعينه، فهي محتاجة إلى الصانع احتياجا مستمرا، وأما الجواهر -أعني الأجسام- وما تتركب هي منها -أعني الجواهر الفردة- فيستحيل خلوها عن الأكوان المتجددة المحتاجة إلى الصانع، فهي أيضا محتاجة دائما، وأما القائلون بأن العلة الإمكان وحده فذهبوا إلى أن الممكن الباقي

---

[884] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٨) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٢) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٢)
[885] انظر : «الغيث الهامع» (٨٠٨)
[886] هو السيد الجرجاني.
[887] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٣)

محتاج إلى المؤثر حال البقاء؛ لأن علة حاجته إلى المؤثر هو الإمكان، وهو لا ينفك عنه[٨٨٨].

(**قلت**) متوركا على صاحب الأصل : (**اقتضى هذا**) البناء منه (**علو**) أي رجحان القول (**الأول**)، أي كونه العلة الإمكان عنده.

وعبارة المحقق : وكأن ابن السبكي أشار بذكر هذا البناء المأخوذ من «الصحائف»[٨٨٩] -هو اسم كتاب في الكلام للسمرقندي- [هو][٨٩٠] إطلاق الأقوال، وتقديم الإمكان إلى أنه ينبغي ترجيح الإمكان الذي هو قول الحكماء وبعض المتكلمين، وإن كان جمهورهم على الحدوث، حتى لا يخالف التصحيح في المبنى التصحيح في المبنى عليه.[٨٩١]

(**لكن لدى الجمهور**) أي جمهور المتكلمين، كما أفهمه قول المحقق المذكور[٨٩٢]، فلا ينافي ما مر من حكاية الإمام قول الإمكان عن أكثر الأصوليين. (**ثانيها**) أي الأقوال، وهو قول الحدوث هو (**العلي**) أي الراجح، ودفعت المخالفة المذكورة كما قاله المحقق بما قالوا من أن شرط بقاء الجوهر العرض، والعرض لا يبقى زمانين، فيحتاج في كل زمان إلى المؤثر.[٨٩٣]

والمراد بشرطية ذلك أن بقاءه -أي الجوهر- ممتنع بدون العرض، فلا ينافي القول باستناد جميع الممكنات إلى الله -تعالى- ابتداء؛ لأنه بعد كونه ممكنا.

---

[٨٨٨] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٣)

[٨٨٩] المشهور بـ «الصحائف الإلهية» وهو مطبوع.

[٨٩٠] في الأصل (هو) والتصحيح من نسخة «البطر الطالع» المطبوعة (٢/ ٤٦٣)

[٨٩١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٣)

[٨٩٢] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٣)

[٨٩٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٣)

والحاصل أن الأشاعرة لما اشترطوا بقاء الجوهر العرض وهو لا يبقى زمانين لزم الاحتياج في كل زمان إلى المؤثر، سواء جعلنا العلة الحدوث أو هو مع الإمكان شرطا أو شطرا.[٨٩٤] فليتأمل.

[الكلام على المكان والخلاء والزمان]

ثم ذكر الناظم كـ «أصله» هنا من علم الحكمة ثلاثة أمور : المكان، والخلاء، والزمان.

أما المكان فذكر فيه ثلاثة أقوال[٨٩٥] بقوله :

(قيل) -وهو لأرسطو[٨٩٦]، والفارابي[٨٩٧]،

---

[٨٩٤] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٣)

[٨٩٥] وذكر الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٧) أربعة أقوال.

[٨٩٦] هو أَرِسْطُو (٣٨٤ق.م - ٣٢٢ ق.م) أو أَرِسْطُوطَالِيس أو أرسطاطاليس الفيلسوف اليوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، تغطي كتاباته مجالات عدة، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان .وهو واحد من أهم مؤسسي الفلسفة الغربية. انظر موقع :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨A%٣D%٨B%١D%٨B%٣D%٨B%٧D٨٨%٩

[٨٩٧] هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ) : أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. ويقال: إن الآلة المعروفة بالقانون، من وضعه، ولعله أخذها عن الفرس فوسعها وزادها إتقانا فنسبها الناس إليه. وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) له كتب : منها (الفصوص) و (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) و (إحصاء الإيقاعات) و (المدخل إلى صناعة الموسيقى) و (الموسيقى الكبير) و (الآداب الملوكية) و (مبادئ الموجودات) و (إبطال أحكام النجوم) و (أغراض ما بعد الطبيعة) و (السياسة المدنية) و (جوامع السياسة) و (النواميس) و (الخطابة) و (وما ينبغي أن يتقدم الفلسفة) (حركة الفلك سرمدية). انظر «الأعلام» (٧/ ٢٠)

وابن سينا[٨٩٨]، وإليه مال الغزالي، والإمام[٨٩٩]، والآمدي-[٩٠٠] :

(**المكان**) الذي لا خفاء في أن الجسم ينتقل عنه وإليه، ويسكن فيه، فيلاقيه، ولا بد بالمماسة، أو النفوذ، (**سطح حاوٍ بطنا**) يعني السطح الباطن الحاوي، (**مس من المحوي سطحا علنا**) أي ظاهرا، كالسطح الباطن للكوز المماس للسطح الظاهر من الماء الكائن فيه، لكن مع سطح الهواء المماس لسطح أعلى الماء في هذا المثال، فإن كان المتمكن على نحو أرض مستوية اعتبر في المكان سطح الهواء من أعلى وجوانب، فالشخص الجالس يحيط به سطح من الأرض، وسطوح من الهواء، فإن الهواء شاغل للفراغات، والطير في الهواء أحاط سطوح من الهواء.[٩٠١]

ويوضح ذلك ما قاله بعض المحققين[٩٠٢] : أن المكان قد يكون سطحا [واحدا][٩٠٣] كمكان الفلك، وقد يكون سطوحا يتركب منها مكان كالماء في النهر، فإن مكانه مركب من سطحين، أعني سطح الأرض تحته، وسطح الهواء فوقه، وقد يكون بعض هذه السطوح متحركا، وبعضها ساكنا، كالحجر الموضوع على الأرض الجاري

[٨٩٨] هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) : الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيت. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها. ومن تصانيفه (القانون) و(المعاد) و (الشفاء) و (السياسة) و (أسرار الحكمة المشرقية) وأرجوزة في (المنطق) ورسالة (حي بن يقظان) و (أسباب حدوث الحرو ف) و (الإشارات) و (الطير) و (أسرار الصلاة) و (لسان العرب) و (الإنصاف) و (النبات والحيوان) ورسالة في (الهيئة) و (أسباب الرعد والبرق) و (الدستور الطبي) و (أقسام العلوم) و (الخطب) و (العشق). وأشهر شعره عينيته التي مطلعها: (هبطت إليك من المحل الا رفع) وقد شرحها كثيرون. انظر «الأعلام» (٢/ ٢٤١)

[٨٩٩] أي الإمام فخر الدين الرازي. انظر «الغيث الهامع» (٨٠٩)

[٩٠٠] ذكره الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٧) «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٣)

[٩٠١] ذكره العطار في «حاشيته» (٢/ ٥٠٤)

[٩٠٢] نقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٥٠٤) من كتاب «شرح حكمة العين».

[٩٠٣] في الأصل : (واحد)، والصحيح ما أثبته هنا.

عليه الماء، وقد يكون الحاوي أي المكان متحركا، والمحيوي أي المتمكن ساكنا، كحال العناصر الساكنة مع الفلك، وقد يكونان متحركين كالأفلاك[٩٠٤].

(**وقيل**) -وهو المحكي عن أفلاطون[٩٠٥]- : المكان (**بُعد ذو وجود**) أي موجود (**معلمي**) يعني قائما بنفسه، (**ينفذ فيه**) أي في هذا البعد (**بعد ذات الجسم**) القائم به في ذلك البعد، بحيث ينطبق بعد المكان على بعد الجسم لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وخرج بقيد النفوذ بعد الجسم؛ لأنه نافذ لا منفوذ فيه.[٩٠٦]

قال العطار : وقد اختار هذا النصير الطوسي[٩٠٧] قائلا : أن الأمارات تساعد أن المكان هو البعد؛ فإن الناس كلهم يحكمون بأن الماء فيما بين أطراف الإناء يزول ويفارق، ويحصل الهواء في ذلك البعد بعينه، وأيضا كون الجسم في مكان ليس

---

[٩٠٤] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٤)

[٩٠٥] هو أفلاطون (٤٢٧ ق.م – ٣٤٧ ق.م) الفيلسوف اليوناني الكلاسيكي، الرياضياتي، كاتب عدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو .وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم، كان تلميذاً لسقراط، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم. ظهر نبوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية) نحو ثلاثين محاورة) التي تتناول مواضيع فلسفية مختلفة : نظرية المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقا، الأخلاق والسياسة. انظر موقع :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨A%٣D%٨١%٩D%٨٤%٩D%٨A%٧D%٨B%٧D%٨٨%٩D٨٦%٩

[٩٠٦] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٤) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٣) «الغيث الهامع» (٨٠٩)

[٩٠٧] هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي (٥٩٧ – ٦٧٢ هـ) : الفيلسوف. كان رأسا في العلوم العقلية. وصنف كتبا جليلة، منها (شكل القطاع) يقال له (تربيع الدائرة) و (تحرير أصول أقليدس) و (تجريد العقائد) و (تلخيص المحصل) و (حل مشكلات الإشارات والتنبيهات لابن سينا) و (شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا) و (أوصاف الأشراف) و (تحرير المجسطي) و (الأكر) و (الحرارة والبرودة وتضاد فعليهما) و (تحرير كتاب المساكن) و (تحرير كتاب المناظر) و (مئة مسألة وخمس من أصول إقليدس) و (تحرير الطلوع والغروب) و (تحرير المطالع) و (تحرير المأخوذات) و (تحرير المفروضات) و (التذكرة في علم الهيئة) و (تحرير ظاهرات الفلك) و (تحرير جرمي النيرين وبعديهما) و (شرح كتاب ثمرة بطليموس) و (المتوسطات الهندسية) و (تحرير الكرة المتحركة) و (المقالات الست) و (البارع) و (التحصيل) و (المخروطات) و (بقاء النفس بعد بوار البدن) و (مصارع المصارع و (آداب المتعلمين) و (الجبر والمقابلة) و (إثبات العقل). انظر «الأعلام» (٧/ ٣٠-٣١)

بسطحه، بل بحجمه وكميته، فيجب أن يكون ما فيه الجسم مساويا له، فيكون بعدا؛ لأن المكان مساو للمتمكن، والمتمكن ذو ثلاثة أقطار، فالمكان ذو ثلاثة أقطار، يعني الطول، والعرض، والعمق، بخلاف السطح فإنه ما ينقسم طولا وعرضا[٩٠٨].

(وقيل) -وعليه المتكلمون كما نسبه إليهم السيد وغيره[٩٠٩]- : المكان بعد (مفروض) أي منتزع؛ فإن العقل ينتزع من كل جسم بعدا بقدره، ويحكم بأنه مكان، وتمكن الجسم في الخارج عبارة عن كونه بحيث لا يصح أن ينتزع منه البعد المذكور، (وذا البعد) المفروض هو (الخلا) أي الفراغ بين الجسمين. [٩١٠]

قال الأصبهاني[٩١١] : فعلى المذهبين المكان عبارة عن الخلاء، لكن الخلاء على مذهب أفلاطون أمر موجود، وعلى مذهب المتكلمين أمر عدميز انتهى.[٩١٢] وسيأتي عن السيد ما يوضحه.

[اختلاف العلماء في جواز الخلاء]

(ثم) هذا (الخلاء جائز)، هذه مسألة برأسها، ومعنى جوازه أنه ممكن حصوله، بأن يكون جسمان لا هواء بينهما، وصور بصفحتين منطبقتين ارتفعت إحداهما عن الأخرى دفعة واحدة، فإن حصول الهواء في الأطراف قبل حصول الهواء في الوسط.[٩١٣]

---

[٩٠٨] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٤)
[٩٠٩] ونسبه الولي العراقي في «الغيث الهامع» (٨٠٩) إلى قدماء الفلاسفة.
[٩١٠] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٣) «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٤) «الغيث الهامع» (٨٠٩)
[٩١١] سبقت ترجمته، ذكره الأصبهاني في شرحه على «الطوالع الأنوار».
[٩١٢] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٥)
[٩١٣] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٣) «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٤) «الغيث الهامع» (٨٠٩)

(**وقيل**) : الخلاء (**لا**) أي غير جائز، بمعنى أنه لا يمكن خلو المكان عن الهواء، ولكل من القولين أدلة مبينة في محله، غير أنها كما قاله بعض المحققين إقناعية لا برهانية.[٩١٤]

ثم إن الناظم عرف الخلاء بقوله : (**ذا كون جسمين تباعدا**) بحيث لا يتماسان، (**وما**) أي ولا يكون (**بينهما**) أي الجسمين (**شيء مما يمسسهما**) بفك الإدغام، وهذا التعريف لا يخلو عن تسامح؛ إذ الخلاء هو ما بين الجسمين، لا الكون المذكور، وذلك كما أفاده السيد أن الخلاء المكان الخالي عما يشغله، فإن كان المكان بعدا مجردا موجودا فخلوه أن لا ينطبق عليه بعد متمكن فيه، وإذا انطبق عليه كان ملأ لاخلاء، وكذا الحال إن كان بعدا موهوما، إلا أن الانطباق هنا وهمي، وإن كان سطحا فخلوه أن لا يكون في داخله متمكن، وإلا كان ملأ لاخلاء.[٩١٥]

وبالجملة فالخلاء هو المكان الخالي عن الممكن، فالقائلون بالسطح لم يجوزوا أنه يكون داخله خاليا عما يتمكن فيه، وأما القائلون بالبعد الموجود فقد جوز بعضهم خلوه عن الشاغل، وكذا القائلون بالبعد الموهوم، وهذا كلام أهل العلم الطبيعي في المكان.

[٩١٤] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٥)

[٩١٥] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٥)

وأما بالنسبة للمدلول اللغوي فنقل عن ابن جني[916] أنه : ما استقر فيه أو تصرف عليه؛ لأن التصرف هو الأخذ في جهات مختلفة، كتصريف الرياح، فكأنه قال : المكان ما وجد فيه سكون أو حركة.

قالوا : والسكون هو الحصول في حيز أكثر من زمان واحد، والحركة انتقال من حيز إلى حيز، ووزنه «فعال» من «التمكن»، فالميم فيه أصلية، كسين «سحاب».

وقيل : إنه «مفعل» من «الكون» كـ «المقال» من «القول»، ورد بأنهم قالوا في الجمع : «أمكنة» و «أمكن»، و«أفعله» و «أفعل» إنما كانا لجمع ما الفاء أوله، وبأنهم قالو : «يتمكن»، فلو كان من الكون لقالوا : «يكون» كـ «يقول» من «القول».[917]

[اختلاف الناس في تعريف الزمان]

(**و**) أما الزمان فذكر فيه خمسة أقوال، أحدها ما ذكره بقوله : (**جوهر قد قيل في الزمان جُرِد**)، يعني قال بعض قدماء الفلاسفة : أن الزمان جوهر مجرد عن المادة قائم بنفسه، (**لا**) هو (**جسم**) مركب، (**ولا جسماني**)، أي ولا حالٌ في الجسم.[918]

قيل : ولا يقبل العدم؛ لأن فرض عدمه يستلزم المحال، لأنه لو قبل العدم لكان عدمه بعد وجوده بعدية لا تتحقق إلا مع الزمان، إذ معنى كون عدمه بعد وجوده هو أن عدمه وقع في زمان بعد زمان وجوده، ومتى كان كذلك يلزم وجود الزمان حال عدمه، وأنه محال.

---

[916] هو الإمام عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح (ت : ٣٩٢ هـ) : من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٦٥ عاما. وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في " من نسب إلى أمه من الشعراء" و " شرح ديوان المتنبي" و " المبهج" و "المحتسب" و " سر الصناعة" و " الخصائص" و " اللمع" و " التصريف الملوكي" و "التنبيه" و " المذكر والمؤنث " و " المصنف" و " التمام" و " إعراب أبيات ما استصعب من الحماسة" و " المقتضب من كلام العرب". انظر «الأعلام» (٤/ ٢٠٤)

[917] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٠٧)

[918] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٤) «الغيث الهامع» (٨١١)

ورد بأن المحال المذكور إنما لزم من فرض عدمه مقيدا بأن يكون بعد وجوده لا من فرض عدمه مطلقا، وإذا كان كذلك لا يلزم أن لا يقبل العدم لذاته.[919]

(**قلت**) مصرحا بمن اختار : هذا القول من أهل السنة (**ارتضى الإمام**) فخر الدين الرازي (**ذا**) في «المطالب» وغيره.[920]

قال الولي العراقي : واستُدِل على أنه ليس بجسم بأنه لو كان جسما لكان قريبا من جسم، وبعيدا من آخر، وبديهة العقل شاهدة بأن نسبة جميع الأزمان إلى جميع الأشياء على السوية[921].

(**و**) القول الثاني : الزمان اسم (**لفك، معدل النهار**)[922]، أي الفلك التاسع، وأضيف لمعدل النهار الذي هو منطقته للتعيين؛ إذ لفظ الفلك شامل له ولغيره، ودائرة معدل النهار أعظم الدوائر العشر عند أهل الهيئة، ويسمى بـ «فلك معدل النهار» على المجاز، من إطلاق اسم المحل على الحال، فإنهم يطلقون اسم الفلك على منطقته التي وجدت فيه باعتبار الحركة، لا على كل دائرة حالة فيه، إذ لا يقال فلك الأفق أو الارتفاع، لأن الحركة معتبرة في مفهوم الفلك، قيل سميت بـ «معدل» لتعادل الليل والنهار أبدا، عند من يسكن تحتها، وهم سكان خط الاستواء، وأيضا قد يتساوى الليل والنهار في جميع البقاع سوى عرض تسعين إذا وصلت الشمس إليها.[923]

---

[919] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٧)
[920] نسبه إليه الولي في «الغيث الهامع» (٨١١)
[921] انظر : «الغيث الهامع» (٨١١)
[922] انظر : «الغيث الهامع» (٨١١) «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٤)
[923] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٨)

و (بعضهم) قد (سلك) هذا القول في تعريف الزمان، واستدل له بأن الفلك الأعظم محيط بجميع الأجسام، كما أن الزمان محيط بجميع الزمان، فالزمان هو الفلك الأعظم[٩٢٤].

قال الأصبهاني : وخلل هذا ظاهر؛ لأن الوسط غير مكرر، إذ إحاطة الفلك الأعظم بجميع الأجسام معناه كونه حاويا لجميعها، ولا كذلك الزمان، فإن معنى إحاطته بها مقارنته إياها، ولو سلم فإنه لا ينتج أيضا؛ لأنه قياس من الشكل الثاني مركب من موجبتين، وهو عقيم. انتهى[٩٢٥].

(و) القول الثالث ما (قيل) : إن الزمان غير الجسم، (بل) عرض، فقيل : هو (حركة لفلكه)، أي فلك معدل النهار، واستدل له بأن الزمان غير قار الذات، والحركة كذلك، فالزمان هو حركته[٩٢٦].

قال الأصبهاني : ومُنِع هذا القول مع أنه قياس من الشكل الثاني مركب من موجبتين، وهو غير منتج بأن الحركة توصف بالسرعة وبالبطء؛ إذ يقال : الحركة إما سريعة وإما بطيئة، والزمان لا يوصف بذلك، إذ لا يقال : الزمان إما سريع وإما بطيئ، فالحركة غير الزمان، انتهى.[٩٢٧]

ولذا قيل[٩٢٨] : ليس لهذا القول حقيقة.

(و) القول الرابع : ما (قيل) أي قاله (بل مقدار تلك الحركة) -بإمالة الكاف هنا أحسن من عدمها-. [٩٢٩]

---

[٩٢٤] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٨٠٧)
[٩٢٥] نقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٥٠٨) من «شرح الأصبهاني على طوالع البيضاوي».
[٩٢٦] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٤) «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٩) «الغيث الهامع» (٨١١)
[٩٢٧] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٩)
[٩٢٨] قاله المعري في كتابه «رسالة الغفران» ونقله الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٣) والولي في «الغيث» (٨١١)
[٩٢٩] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٤) «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٩) «الغيث الهامع» (٨١١)

وعلل العطار هذا القول : بأن الدليل دل على أن الزمان يقبل المساواة والمفارقة لذاته، وكل ما كان قابلا لهما فهو كم، فالزمان كم، ولا يجوز أن يكون كما منفصلا؛ لأنه لو كان كما منفصلا لانقسم إلى ما لا ينقسم، لأن الكم المنفصل لا بد من انتهائه إلى الوحدات، وهي غير منقسمة، لكن الزمان منقسم أبدا، بناء على امتناع الجزء الذي لا يتجزأ، فالزمان كم متصل غير قار الذات؛ لأن أجزاء الزمان لا تجتمع في الوجود، فتكون أجزاؤه موجودة على سبيل التصرم والتجدد، تأمل.[٩٣٠]

(و) القول الخامس ما قاله المتكلمون، و (اختير) أي اختاره صاحب «الأصل» كالآمدي وغيره : وهو أن الزمان (قرن) أي مقارنة (متجدد وُهِم) أي موهوم (بمتجدد تجددًا علم) أي لمتجدد معلوم، (إزالة لذلك الإبهام) في الأول بمقارنة الثاني، والمراد أن الزمان أمر موهوم ينتزعه الوهم من تصور مقارنة الحوادث، وتقدم بعضها عن بعض، وتأخره عنها، ولا سبيل إلى فهمه وتعينه، إلا باعتبار الحوادث التي يجعلونها أعلاما له، كما في «آتيك عند طلوع الشمس»، فإن طلوعها معلوم، ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإبهام[٩٣١].

قال العطار : وقد يتعاكس التقدير بين المتجددات بحسب ما هو متصور ومعلوم للمخاطب، فإذا قيل -مثلا- : «متى جاء زيد؟» يقال : «عند طلوع الشمس»، إن كان السائل مستحضرا لطلوعها دون مجيئ زيد بدليل سؤاله، ثم إذا قال غيره : «متى طلعت الشمس؟»، يقال : «حين جاء زيد» لمن استحضر مجيئ زيد دون طلوعها[٩٣٢].

---

[٩٣٠] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٩)

[٩٣١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٤) «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٩) «الغيث الهامع» (٨١١)

[٩٣٢] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٩)

ومن ثم اختلف بالنسبة للأقوام، فيقدر كل منهم بما هو معلوم، فهو مجرد اعتبار، ووصفه بالطول والقصر إنما هو على طريق التخيل، أو على فرض وجوده، وفي الحقيقة ليس هناك شيء موجود، وإلى ذلك يشير الحديث القدسي : «يسب ابن آدم الدهر» و «أنا الدهر» أي ليس هناك شيء يقال له : «الدهر» وإنما أنا خالق الأشياء، وعلى هذا فوصفه بالحدوث تسمح؛ لأن حقيقة الحادث هو الموجود بعد عدم، فهو بمعنى التجدد.[٩٣٣]

وهذه الأقوال الثلاثة الأخيرة متفقة على أن الزمان عرض، كما أن الأولين متفقان على أنه جسم،[٩٣٤] تأمل.

[امتناع تداخل الأجسام]

وقوله : (**ممتنع**) خبر مقدم عن قوله (**تداخل الأجسام**) أي دخول بعضها على بعض على وجه النفوذ فيه، والملاقاة له بأسره من غير زيادة في الحجم.[٩٣٥]

لأنه لو جاز التداخل لجاز أن يكون هذا الجنس المعين أجساما كثيرة متداخلة، وجاز أن يكون الذراع الواحد من [القماش][٩٣٦] ألف ذراع مثلا، بل تداخل العالم كله في حيز خردلة واحدة، وأن ينفصل عنها عوالم متعددة مع بقائها على هيئتها، والبديهة تكذبه.[٩٣٧]

وأيضا ففي جواز ذلك مساواة الكل للجزء في العظم، لأن مجموع الجسمين بالنظر لكل واحد على انفراده كل، وكل واحد منهما جزء، وقد صارا شيئا واحدا.[٩٣٨]

---

[٩٣٣] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥٠٩)
[٩٣٤] انظر : «الغيث الهامع» (٨١١)
[٩٣٥] انظر : «البدر الطالع (٢/ ٤٦٥)
[٩٣٦] كذا في الأصل، وفي «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠) : (الكرباس)
[٩٣٧] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠)
[٩٣٨] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٥) «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠)

قيل : ولم يخالف في ذلك إلا إبراهيم بن سيار النظام[939] من المعتزلة، فإنه جوز تداخل الأجسام، وهذا إن التزمه وقال به صريحا وصح النقل عنه كان مكابرة لمقتضى عقله،[940] والله أعلم.

[امتناع خلو الجوهر عن جميع الأعراض]

(**و**) ممتنع (**أن عن الأعراض يخلو**) -بسكون الواو- على إهمال «أن» المصدرية عن النصب، حملا لها على ما، فالفعل مرفوع وهي لغة كما نص عليه ابن مالك[941]، (**جوهر**).

أي يمتنع خلو الجوهر مفردا أو مركبا عن جميع الأعراض، بأن لا يقوم به واحد منها، بل يجب أن يقوم به عند وجوده شيء منها؛ لأنه لا يوجد بدون التشخص، والتشخص إنما هو بالأعراض[942].

قال الولي العراقي وغيره : وخالف في ذلك بعض الفلاسفة لقولهم بقدم الجواهر وحدوث الأعراض[943].

---

[939] سبقت ترجمته.

[940] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠)

[941] هو الإمام محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) : أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه (الألفية) و(تسهيل الفوائد) و (شرحه) و (الضرب في معرفة لسان العرب) و (الكافية الشافية) و (شرحها) و (سبك المنظوم وفك المختوم) و (لامية الأفعال) و (عدة الحافظ وعمدة اللافظ) و (إيجاز التعريف) و (شواهد التوضيح) و (إكمال الإعلام بمثلث الكلام) و (مجموع) و (تحفة المودود في المقصور والممدود) و (العروض) و (الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد). انظر «الأعلام» (٦/ ٢٣٣)

[942] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٥)

[943] انظر : «الغيث الهامع» (٨١٢)

وذكر العطار[٩٤٤] : أن بعض المعتزلة[٩٤٥] جوزوا الخلو أيضا، وبعضهم يجوزونه في غير الألوان[٩٤٦].

[امتناع تركيب الجوهر من الأعراض]

و (**تركيبه**) أي الجوهر (**منها**) أي من الأعراض (**كذاك يحظر**) أي يمتنع، فالجسم غير مركب من الأعراض فقط؛ لأنه يقوم بنفسه بخلافها، هذا قول الجمهور.[٩٤٧]

خلافا للنظام، والنجار[٩٤٨] من المعتزلة[٩٤٩].

قال[٩٥٠] في «المواقف»[٩٥١] و «شرحه» : لا محيص لمن اعترف بتجانس الجواهر الأفراد وتماثلها في الحقيقة، كالأشاعرة قاطبة وأكثر المعتزلة، عن جعل الأعراض داخلة في حقيقة الجسم، فيكون الجسم حينئذ جوهرا مع جملة من الأعراض، منضمة إلى ذلك الجوهر؛ إذ لو كانت مؤلفة من الجواهر المتجانسة وحدها لكانت الأجسام كلها متماثلة في الحقيقة، وأنه باطل بالضرورة.

---

[٩٤٤] وسبقه إليه الزركشي، فإنه ذكره في «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٤)

[٩٤٥] منهم فرقة تسمى «الصالحية» وهم من المعتزلة، أفاده العطار في «حاشيته» (٢/ ٥١٠)

[٩٤٦] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠)

[٩٤٧] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٥) «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠) «الغيث الهامع» (٨١٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٥)

[٩٤٨] هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار الرازي، أبو عبد الله (ت : نحو ٢٢٠ هـ) : رأس الفرقة (النجارية) من المعتزلة، وإليه نسبتها. كان حائكا، وهو من متكلمي (المجبرة) وله مع النظام عدة مناظرات. وأكثر المعتزلة في الري وجهاتها من النجارية، وهم يوافقون أهل السنة في مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد وإمامة أبي بكر، ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات وخلق القرآن وفي الرؤية. وهم ثلاث فرق: البرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة. له كتب، منها (البدل) و (المخلوق) و (إثبات الرسل) و (الإرجاء) و (القضاء والقدر) و (الثواب والعقاب) وغير ذلك. انظر «الأعلام» (٢/ ٢٥٣)

[٩٤٩] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٥) «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠) «الغيث الهامع» (٨١٢) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٥)

[٩٥٠] نقله العطار في «حاشيته» (٢/ ٥١٠)

[٩٥١] انظر : «المواقف» للإمام الإيجي (٢/ ٣٢٥)

وأما النظام والنجار فقالا : إذا تركبت من أعراض مختلفة فهي مختلفة، وإذا تركبت من أعراض متجانسة فمتجانسة، قالا : ولذلك اتصفت الأجسام المؤلفة تارة بالتخالف، وأخرى بالتماثل، والحاصل أنهما قالا : إن الجواهر أعراض مجتمعة[952].

[الأبعاد متناهية]

(**ويتناهى بعد كل جوهر**) أي جسم، فلو عبر به لكان أولى[953]، فكل جسم بعده وهو الطول والعرض والعمق متناه، أي له نهاية أي حد، وهو الطرف الذي لا يجد بعده شيئا آخر[954].

قال العطار : هذا الحكم مما اتفق عليه العقلاء، إلا الهنود زعموا أن الأبعاد غير متناهية، وقد بُرهن على ذلك الحكم براهينُ ألطفُها [برهان][955] السُلّمي، وهو أن نفرض من نقطة ما خطين ينفرجان، كساقي مثلث، بحيث يكون البعد بينهما بعد ذهابهما ذراعا ذراعا، وبعد ذهابهما ذراعين ذراعين.

وعلى هذا يتزايد البعد بينهما، بقدر ازديادهما، يكون الانفراج بينهما بقدر امتدادهما، فإذا ذهبا إلى غير النهاية كان البعد بينهما غير متناه أيضا بالضرورة، وإلا لزم محال؛ لأنه محصور بين حاصرين، والمحصور بين حاصرين يمتنع أن لا يكون له نهاية ضرورة.[956] تأمل.

---

[952] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١٠)

[953] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١١)

[954] انظر : «الغيث الهامع» (٨١٣)

[955] كذا في الأصل، وفي نسخة «حاشية العطار» (٢/ ٥١١) : (البرهان)

[956] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١١)

[المعلول يعقب العلة]

(وقارنَ المعلول عند الأكثر علته) العقلية والوضعية (في وقتها)، هذا هو المصحح في «أصل الروضة»[٩٥٧]، وبه أجاب إمام الحرمين وارتضاه، ونسبه للمحققين، ونقله عنه الرافعي.[٩٥٨]

(والمجتبى) أي المختار، تبعا لصاحب «الأصل» (بالوفق) أي وفاقا (للشيخ الإمام) والده، (عقبا) بألف الإطلاق، أي عقب المعلول (ذي) العلة (مطلقا)، أي سواء كانت وضعية أم عقلية، ضرورة توقف وجوده على وجودها؛ إذ لو تقارنا لما كان وجودها منشأ له، فإن العلة ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجا مؤثرا فيه، إما تامة أو ناقصة، فالتامة تمام ما يتوقف عليه وجود الشيء، بمعنى أنه لا يكون وراءه شيء يتوقف عليه، والناقصة بخلاف ذلك، نعم إن أريد أن العلة باعتبار وجودها الذي به تؤثر مقارنة للوجود الذي هو أثرها لزم أن العلة لا بد أن تكون مقارنة،[٩٥٩] تأمل.

(ثالثها) أي الأقوال التفصيل وهو : (الرُّتْبِية وضعية)، يعني أن العلة الوضعية -ومنها الشرعية- سابقة على المعلول، (لا ما) أي العلة التي (ترى عقلية) فتقارن المعلول لكونها مؤثرة بذاتها.[٩٦٠]

قال جمع[٩٦١] : وهذا ظاهر نص الشافعي في «الأم» في كتاب الطلاق[٩٦٢].

---

[٩٥٧] قال الإمام النووي في «روضة الطالبين» (٨/ ١٢٩) : «الطلقة المعلقة بصفة، هل تقع مع الصفة مقترنة بها، أم تقع مترتبة على الصفة؟ وجهان، أصحهما والمرضي عند الإمام وقول المحققين: أنها معها، لأن الشرط علة وضعية، والطلاق معلولها فيتقاربان في الوجود، كالعلة الحقيقية مع معلولها».

[٩٥٨] انظر : «الغيث الهامع» (٨١٣) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٦)

[٩٥٩] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١١) «تقريرات الشربيني مع حاشية البناني» (٢/ ٤٢٩)

[٩٦٠] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٦)

[٩٦١] وهو قول الزركشي في «التشنيف» (٤/ ٣١٦)

[٩٦٢] انظر : «الغيث الهامع» (٨١٣) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٦)

(**أما التقدم**) أي تقدم العلة (**عليه**) أي المعلول، وهو ما يصدر عنها (**مرتبة**) أي في الرتبة (**فلا خلاف**) بين العلماء (**مانع تَرَتُّبه**)، بل كلهم اتفقوا على ذلك.

هذا، وذكر البدر الزركشي في موضعٍ اختلافَ أصحابنا في السبب القولي كصيغ العقود، والحلول، وألفاظ الأمر والنهي، هل يوجد المسبب كالملك في البيع عند آخر حرف من حروف أسبابها؟ أو عقبه على الاتصال؟ أو تبين بآخره حصوله من أوله؟.

قال ابن عبد السلام : والمختار عند الأشعرية وحذاق أصحابنا الأول. وقال الرافعي : الأكثرون على الثاني، وأجروا الخلاف في السبب الفعلي كالرضاع.

وذكر في موضع آخر أنه إذا تعلق الحكم بعدد أو ترتب على متعدد هل يتعلق بالجميع أو بالآخر؟ قال : وكذا لو وقع عقب جملة مركبة من أجزاء، أو ترتب على لفظ؟.

ثم ذكر أن المعزو لمذهبنا أن المؤثر هو المجموع، وظاهر ما ذكره في الموضعين التناقض، فحمل بعضهم ما في الموضع الثاني على حكم مترتب على سبب مركب من أسباب متعاقبة، كالخلاف بيننا وبين الحنفية في السكر بالقدح العاشر، فنحن نُسنده للكل وهم للأخير، فلا يجب الحد بما قبله وما في الموضع الأول على سبب واحد لا تركب فيه، والفرق حينئذ متجه؛ لأن هذا الاتحاد جرت فيه أوجه ثلاثة، وما قبله لتركبه لم يجر فيه إلا وجهان، وكان الأصح أن المؤثر هو المجموع، كما هو شأن الأسباب المجتمعة، لكن التحقيق أنه لا تناقض، فضلا عن ظهوره؛ لأن كلامه الأول في وقت وجود المسبب، والثاني في أن وجوده يستند إلى مجموع المتعدد، أو إلى جزئه الأخير، وهما معنيان متميزان لا يشتبه أحدهما بالآخر، فأين التناقض؟ فتأمله.[٩١٣]

---

[٩١٣] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٧)

[الكلام على اللذة]

(**وحصر اللذة**) أي الدنيوية (**في المعارف**)، أي ما يعرف أي يدرك، وما يتوهم من لذة حسية أو خيالية، فهو دفع ألم، لا لذة حقيقة، (**الفخر**) أي الإمام فخر الدين الرازي، على ما نقله صاحب «الأصل»، (**والشيخ الإمام**) والده (**يقتفي**) أي يتبع الإمام في الحصر المذكور[964].

لكن ذكر جمع أن كلام الإمام يدل على عدم الحصر، وإنما جعل المعارف أعلى اللذات. فإنه قال: اللذات المطلوبة في هذه الحياة العاجلة محصورة في ثلاث:

أدناها: اللذات الحسية، وهي قضاء الشهوتين، ويشارك فيها الآدمي غيره من الحيوانات.

وأوسطها: اللذات الخيالية، وهي الحاصلة من الاستعلاء والرياسة، لدفع ألم القهر والغلبة، وهي أشد التصاقا بالعقلاء؛ إذ لم ينالوا رتبة الأولياء.ولذلك قال بعضهم: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرايسة،

وأعلاها: اللذات العقلية، وهي الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها، وهي اللذة على الحقيقة. انتهى.[965]

[964] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٧)

[965] انظر: «الغيث الهامع» (٨١٤)

(وهي) أي اللذة (لدى) أي عند أبي بكر محمد (ابن زكريا) الرازي[٩٦٦] الطبيب المشهور أمر (عدمي)؛ إذ زعم أنها عبارة عن التبدل، والخروج عن حالة غير طبيعية إلى حالة طبيعية، (وهو الخلاص) أي معنى الخلاص (عن شباك الألم)، من إضافة المشبه للمشبه، أي الألم المشبه بالشباك -بكسر الشين وتخفيف الباء- جمع شبكة وهي شركة الصياد، وذلك كالأكل والشرب للجوع والعطش، والجماع لدغدغة المني لأوعيته[٩٦٧].

وزيفه الإمام وغيره بأنه قد تحصل اللذة من غير سابقة ألم، أو حالة غير طبيعية، كما إذا حصل وقع البصر على صورة حسنة، فإنه يلتذ بأبصارها، مع أنه لم يكن له شعور بها حتى يجعل تلك اللذة خلاصا عن الشوق إليها، وكذلك قد تحصل للإنسان لذة عظيمة بالعثور على كنز مال فجأة.[٩٦٨]

(وقيل) -وبه جزم السيد في بعض كتبه- : (ذي) اللذة (إدراك ما يلائم) من حيث إنه ملائم، كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق، والنور عند البصر، وحضور المرجو عند القوة الوهمية، والأمور الماضية عند القوة الحافظة تلتذ بتذكرها، وقيد

---

[٩٦٦] هو محمد بن زكريا الرَّازي، أبو بكر (٢٥١ - ٣١٣ هـ) : الفيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب. له تصانيف، منها (الحاوي) و (الطب المنصوري) و (الفصول في الطب) ويسمى (المرشد) و (الجدري والحصبة) و (برء الساعة) و (الكافي) و (الطب الملوكي) و (مقالة في الحصى والكلى والمثانة) و (الأقرباذين) و (تقسيم العلل) و (المدخل إلى الطب) و (خواص الأشياء) و (الفاخر في علم الطب) و (الباه ومنافعه ومضارة ومداواته) و (سر الصناعة) و (أسئلة من الطب) و (تلخيص كتاب جالينوس في حيلة البرء) و (منافع الأغذية ودفع مضارها) وكتاب (الفقراء والمساكين) و (جراب المجربات وخزانة الأطباء) و (الخواص) و (مقالة في النقرس) و (القولنج) و (مجموع رسائل) وكتاب (من لا يحضره الطبيب). انظر «الأعلام» (٦/ ١٣٠)

[٩٦٧] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١٢)

[٩٦٨] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٢٠) «الغيث الهامع» (٨١٥)

الحيثية للاحتراز عن إدراك الملائم لا من حيث ملائته؛ فإنه ليس بلذة، كالدواء النافع المر، فإنه ملائم من حيث إنه نافع فيكون لذة، لا من حيث إنه مر[٩٦٩].

(**والحق**) عند صاحب «الأصل» تبعا للسمرقندي في «الصحائف»[٩٧٠] : (**الإدراك لهذى لازم**)، أي أن الإدراك ليس نفس اللذة، بل ملزومها[٩٧١]؛ لأن الإدراك سبب اللذة[٩٧٢].

[الصحيح أن اللذة لا تحد]

(**قلت**) تبعا للإمام[٩٧٣] وصاحب «الطوالع»[٩٧٤] : (**الصواب أن هذه**) اللذة (**تُعد كالري**) والشبع (**وجدانية**)، من الأمور التي يجدها كل أحد، (**فلا تحد**) أي لا حاجة إلى تعريفها بالحد[٩٧٥].

[اللذة يقابلها الألم]

(**قابلها**) أي اللذة (**الألم**) الدنيوي،[٩٧٦] فهو على قول ابن زكريا وجودي، وهو الوقوع في الألم، وعلى قول السيد : إدراك ما لا يلائم.[٩٧٧]

وعبارة السيد : الألم إدراك المنافر من حيث إنه مافر، ومنافر الشيء هو مقابل ما يلائمه، وفائدة قيد الحيثية للاحتراز عن إدراك المنافر لا من حيث إنه منافر فإنه ليس بألم، انتهى.

---

[٩٦٩] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١٣)

[٩٧٠] في الأصل «اللطائف» وهو تصحيف، والصحيح ما أثبته هنا كما ثبت في «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٢٢) و «الغيث الهامع» (٨١٥) واسمه الكامل «الصحائف الإلهية» وهو مطبوع.

[٩٧١] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٨)

[٩٧٢] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٢٢) «الغيث الهامع» (٨١٥)

[٩٧٣] أي الإمام فخر الدين الرازي.

[٩٧٤] وهو الإمام البيضاوي فإنه له كتاب «طوالع الأنوار» شرح عليه الأصفهاني في «مطالع الأنظار».

[٩٧٥] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٢١) «الغيث الهامع» (٨١٥-٨١٦)

[٩٧٦] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٨)

[٩٧٧] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٢١)

وعلى قول صاحب «الأصل» : الحق أن الإدراك المذكور ليس نفس الألم، بل ملزومه، وعلى قول الناظم : أنه -كالعطش والجوع- وجداني، فلا يحد.

ثم الكلام في الدنيوي كما قيدناه به في الموضوعين، فقد قال[978] الشيخ عز الدين : هذا مختص بدار المحنة، أما دار الكرامة -وهي الجنة- فإن اللذة تحصل بها من غير ألم يتقدمها، ويقترن بها؛ لأنها خرقت العادة فيها، فيجد أهلها -جعلنا الله تعالى منهم- لذة الشرب من غير عطش، ولذة الطعام من غير جوع.[979]

قال : وكذالك خرقت العادة في العقوبات، فإن أقل عقوبات الآخرة لا يبقى معه في الدنيا حياة، وأما في تلك الدار فإن أحدهم ليأتيه أسباب الموت من كل مكان، وما هو بميت، انتهى.[980]

[أحكام العقل]

(**ثم ما جُمِع في العقل**) بأن حصلت صورته فيه، فشمل التصديق لما تقرر في موضعه أن هل بسيطةً يطلب بها وجود الشيء في نفسه؟ أو مركبة يطلب بها وجود شيء لشيء؟ فإذا نُسب المفهوم إلى وجوده في نفسه أو وجوده لأمر حصل في العقل معان هي الوجوب، والامتناع، والإمكان[981]، كما يصرح به قوله : (**إما واجب أو ممتنع أو ممكن**)[982].

وكل منها إما ضروري، أو نظري.

نعم تصورات تلك المعاني كما قاله العطار : ضروريته حاصلة لمن لم يمارس طرق الاكتساب، إلا أنها قد تعرف بتعريفات لفظية، فيقال : الوجوب ضرورة

---

[978] ذكره الشيخ عز الدين بن عبد السلام في «القواعد»، كما أفاده الزركشي في «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٩)

[979] انظر : تشنيف المسامع (٤/ ٣١٩)

[980] انظر : «تشنيف المسامع» (٤/ ٣١٩)

[981] انظر : «حاشية العطار» (٢/ ٥١٣)

[982] انظر : «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٨) «تشنيف المسامع» (٤/ ٣٢٢)

الوجود، أو اقتضاؤه، أو استحالة العدم، والامتناع ضرورة العدم أو اقتضاؤه أو استحالة الوجود، والإمكان جواز الوجود والعدم، أو عدم ضرورتهما، أو عدم اقتضاء شيء منهما[٩٨٣].

ولهذا لا يتحاشى عن أن يقال: الواجب ما يمتنع عدمه، أو ما لا يمكن عدمه، والممتنع ما يجب عدمه، أو ما لا يمكن وجوده، والممكن ما لا يجب وجوده ولا عدمه، أو ما لا يمتنع وجوده ولا عدمه، فلو كان القصد إلى تصورات هذه المعاني لكان دورا.[٩٨٤]

(**لأن ذاته**) أي ما جمع في العقل (**قضت في أنها إما وجوده اقتضت في خارج**)، بأن لا يكون وجوده متوقفا على غيره، وليس المراد ما هو ظاهره، من أن الذات علة في نفسها[٩٨٥].

(**أو اقتضت**) ذاته (**أن يعدما**) أي عدمه، (**أو ما**) نافية (**اقتضت شيئا هناك**) أي أو لم يقتض شيئا (**منهما**) أي من وجوده وعدمه، والأول الواجب، والثاني الممتنع، والثالث الممكن[٩٨٦].

ويمثل للثلاثة بحركة الجرم وسكونه، فالواجب ثبوت أحدهما لا بعينه، والممتنع خلوه عنهما، أو اجتماعهما جميعا، والممكن ثبوت أحدهما معينا، بدلا عن الآخر.

وأما ما قيل: إنه إذا نقل الجرم من حيز إلى حيز فكونه في الحيز الثاني من حيث إنه استقرار فيه سكون، ومن حيث إنه نقلة عن الأول حركة فضعيف؛ لأن الكون الأول في الثاني حركة لا غير، والكون الثاني سكون لا غير.

---

[٩٨٣] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٥١٣)
[٩٨٤] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٥١٣)
[٩٨٥] انظر: «حاشية العطار» (٢/ ٥١٣)
[٩٨٦] انظر: «البدر الطالع» (٢/ ٤٦٨)

وعلم من التقسيم إلى الثلاثة أن المراد بالإمكان في الممكن بالمعنى الأخص، فلا ينافي تقسيم بعضهم إلى اثنين، فأدرج الواجب في الممكن؛ لأن المراد الإمكان بالمعنى الأعم.[٩٨٧]

والله سبحانه وتعالى أعلم[٩٨٨].

---

[٩٨٧] انظر : «الغيث الهامع» (٨١٦)

[٩٨٨] قال الفقير إلى عفو ربه الغني ابن حرجو الجاوي -عامله الله تعالى بلطفه الخفي- : انتهيت من نسخ هذا الكتاب بعد عشاء ليلة الأحد الموافقة / ٩/ ١/ ٢٠١٦ م، وانتهيت من تحقيق هذا الجزء صباح يوم السبت الموافق / ٢٦/ ٣/ ٢٠١٦ م، بعد أن شرعت فيه صباح يوم الجمعة الموافق ١١/ ٣/ ٢٠١٦ م، والحمد لله أولا وآخرا.

[فهرس المراجع التي ذكرت في تحقيق هذا الباب ولم تذكر في تحقيقي للأبواب الأخرى لهذا الكتاب]

١) **الإبانة الكبرى** : أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، عدد الأجزاء: ٩

٢) **إحياء علوم الدين** : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٤

٣) **أخبار أبي حنيفة وأصحابه** : الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصَّيْمَري الحنفي (المتوفى: ٤٣٦هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م

٤) **أخبار مكة** : أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤، عدد الأجزاء: ٦ أجزاء في ٣ مجلدات

٥) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤

٦) **أسد الغابة** : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨

٧) **إعانة الطالبين** : أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (المتوفى: ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

٨) **الأمالي** : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة

٩) **الانتقاء** : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

١٠) **بغية الحارث** : أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: ٢٨٢هـ)، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ) .، المحقق: د. حسين أحمد صالح الباكري، الناشر: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ - ١٩٩٢

١١) **تاريخ الإسلام** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٥٢

١٢) **تاريخ بغداد** : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢٤

١٣) **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري** : ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤

١٤) **تذكرة الحفاظ** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤

١٥) **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة** : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ

١٦) **ترتيب الأمالي الخمسينية** : يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: ٦١٠هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢

١٧) **التعريفات** : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١٨) **تفسير ابن أبي حاتم** : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

١٩) **تفسير ابن كثير** : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨

٢٠) **تفسير البغوي** : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، عدد الأجزاء :٥

٢١) **تفسير الثعلبي** : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٠

٢٢) **تفسير الخازن** : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء / ٧

٢٣) **تفسير الطبري** : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٤

٢٤) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠، عدد الأجزاء: ٣٥

٢٥) **التوحيد** : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٢

٢٦) **جامع بيان العلم وفضله** : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢

٢٧) **جامع معمر بن راشد** : معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ٢

٢٨) **الجرح والتعديل** : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية -

بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م
٢٩) **حاشية البناني على شرح جمع الجوامع** : العلامة البناني، دار الفكر، سنة ١٤٠٢ هـ
٣٠) **حاشية العطار على شرح مقولات السجاعي** : حسن العطار، الطبعة الأولى، سنة ١٣١٢ هـ، المطبعة الأزهرية، مصر.
٣١) **حلية الأولياء** : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠
٣٢) **خلق أفعال العباد** : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض
٣٣) **الدر المنثور** : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: ٨
٣٤) **الرسالة القشيرية** : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢
٣٥) **الزهد** : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم بن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م
٣٦) **السبعة في القراءات** : أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ
٣٧) **السنة** : أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠، عدد الأجزاء: ٢
٣٨) **سنن سعيد بن منصور** : أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية – الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م
٣٩) **سير أعلام النبلاء** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء : ٢٥

٤٠) **سير أعلام النبلاء** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨

٤١) **شذرات الذهب** : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١١

٤٢) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** : أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة – السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٩

٤٣) **شرح صحيح مسلم** : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨

٤٤) **الشريعة** : أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن – الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥

٤٥) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** : عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء – عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٢

٤٦) **صفة الصفوة** : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢

٤٧) صفوة الزبد : أحمد بن الحسين الرملي (ت : ٨٤٤ هـ)، تحقيق : أحمد جاسم، دار المنهاج، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠ هـ

٤٨) **طبقات الأولياء** : ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) ، بتحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر، الناشر: مكتبة الخانجي، بالقاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

٤٩) **طبقات الحنابلة** : أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٢

٥٠) **طبقات الشافعيين** : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

٥١) **طبقات الصوفية** : محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (المتوفى: ٤١٢هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م
٥٢) **طبقات الفقهاء** : أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) ، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠
٥٣) **العظمة** : أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ٥
٥٤) **غاية البيان** : شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت
٥٥) **فتح الباري** : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، عدد الأجزاء: ١٣
٥٦) **الفصل في الملل والأهواء والنحل** : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، عدد الأجزاء: ٥ × ٣
٥٧) **فضائل الصحابة** : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣، عدد الأجزاء: ٢
٥٨) **القاموس المحيط** : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
٥٩) **القدر** : أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
٦٠) **قوت القلوب** : محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٢
٦١) **الكامل في ضعفاء الرجال**: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٦٢) **الكفاية في علم الرواية** : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبدالله السورقي أإبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة
٦٣) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** : علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
٦٤) **المجموع شرح المهذب** : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر
٦٥) **المحصول** : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م
٦٦) **المحكم والمحيط الأعظم** : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١
٦٧) **مخطوط حاشية زكريا الأنصاري**
٦٨) **مسند أبي داود الطيالسي** : أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤
٦٩) **مسند أبي عوانة** : أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني المتوفى: ٣١٦ هـ، المحقق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٥
٧٠) **المعجم الأوسط** : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد أعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠
٧١) **معجم ابن المقرئ** : أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٧٢) **المعجم الصغير** : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي أدار عمار - بيروت أعمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢

٧٣) **معرفة السنن** : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥

٧٤) **معرفة الصحابة** : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧

٧٥) **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج** : شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٦

٧٦) **المقصد الأرشد** : إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٣

٧٧) **موارد الظمآن لدروس الزمان** : عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ٦ أجزاء

٧٨) **المواقف** : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر : دار الجيل - بيروت

٧٩) **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** : شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ط أخيرة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٨

٨٠) **وفيات الأعيان** : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت

[فهرس الموضوعات]

الموضوعات	الصفحات